حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث

منذ عام ١٨٧٠ حتى قيام الحرب العالمية الثانية

تأليف

عربية توفيق لازم

ساعدت على نشره - وزارة التربية

ساعدت وزارة التربية على نشره

حركة التطور والتجديد

في

الشعر العراقي الحديث

منذ عام ١٨٧٠ حتى قيام الحرب العالمية الثانية

تأليف

عربية توفيق لازم

١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م

مطبعة الايمان

بغداد – شارع المتنبي ت ٦١٩٤٥

اطروحه قدمت لكلية الآداب جامعة عين شمس للحصول على درجة

ماجستير في الآداب

سنة ١٩٥٨

الطبعة الاولى

١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

الاهداء

إلى التي سكبت في قلبي نور الايمان وعلمتني تقديس المثل الانسانية النبيلة وغرست في دربي .. زهور حبها وحنانها .

إلى امي .. الحبيبة .

التي رحلت قبل أن ترى مولد نتاجي الاول أقدم هذا الكتاب ..

تخليداً لذكراها الطاهرة .

عربية توفيق

المقدمة

منذ ان بدأت تباشير النهضة الحديثة تطرق عالم أمتنا العربية ، بعد فترة الركود الطويلة ، شغلت الدراسات الاكاديمية الحديثة في البلدان العربية بدراسة النهضة الادبية الحديثة ، وقد اتسعت تلك الدراسات وتشعبت بتشعب الأجناس الادبية واتساعها ، الا أن الأدب العراقي كاد ان يكون بمعزل عن تلك الدراسات ، ولم يحظ من اهتمام الدارسين إلا بنصيب ضئيل لا يتفق والمكانة الادبية التي يتمتع بها القطر العراقي . بل لعل سبب الاحجام عن دراسة الادب في العراق يعود الى غموض تلك الفترة ، وقلة المراجع أو توزعها في اماكن عديدة يصعب على الباحثين الحصول عليها ، هذا اذا استثنينا من ذلك الدراسة التي قام بها الدكتور بدوي طبانة لدراسة شاعر العراق معروف الرصافي ، والدراسة التي قدمها الدكتور ماهر حسن فهمي عن حياة الزهاوي .

وادرك أبناء العراق مؤخراً مبلغ هذا النقص فوجدوا من واجبهم محاولة القيام بسد تلك الثغرة في الادب العربي الحديث . وقاموا بعدة دراسات أنتهى بعضها . والبعض الاخر لا يزال في طريقه الى الظهور .

ومن بين تلك الدراسات التي اختصت بالشعر الدراسة التي قدمها الدكتور يوسف عزالدين عن الشعر العراقي فى القرن التاسع عشر ثم الحقها بدراسة ثانية عن الشعر العراقي الحديث ، واثر التيارات السياسيه والاجتماعية فيه . كما قام الاستاذ ابراهيم الوائلي بدراسة للشعر السياسي في القرن التاسع

عشر وكتبت دراسات للشعراء العراقيين من بينها دراسة عن الشاعر معروف الرصافي وأدبه لرؤوف الواعظ ، ودراســة جامعية لا تزال مخطوطة عن الزهاوي والكاظمي .

ولما كنت قد عزمت على دراسة الماجستير لم أجد خيراً من ان أدرس حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي ، وهو موضوع لم تتطرق اليه ايدي الباحثين بعد . وربما يكون البعض قد اشار اليه اشارات مقتضبة في دراساتهم المختلفة ، ولعل هذا ما دفعني الى دراسة تلك الحركة ووضعها في بحث علمي منظم يختص بها ، رغم علمي ان هذا الموضوع الواسع قد يتطلب مني جهداً كبيراً لكثرة الشعراء في العراق أولا ، ولصعوبــة الحصول على دواوينهم جميعاً . ومع ذلك فقد اقدمت عليه بتشجيع من استاذي المشرف الدكتور عبدالقادر القط الذي وجدت لديه رغبة مخلصة في اخراج مثل هذا البحث .

وكما هو معروف عن العراق أنـه بلد الشعر والشعراء ، فالشعراء هم الفئة الغالبة من طبقة الأدباء العراقيين ، وهذه الكثرة قد تجعل من العسير على الباحث أن يتتبع هذا العـدد الضخم منهم ، ولذلك حاولت في دراستي ان اقتصر على الاعلام المجددين ، وتقديمهم كنماذج لتطور حركـة النهضة الادبية الحديثة .

ولـكي ادرس تطور تلك الحركة عكفت على دراسة تراثهم الشعري منذ بـدأ تحرك الوعي في العراق حتى آن لتلك الحركـة ان تثبت اقدامها في المجال الفكري الحديث .

وحاولت جاهدة ان اصاحب النصوص الشعرية مصاحبة زمنية قدر الامكان لـكي اتمكن من دراسة تطور تلك الحركة وبيان خطوطها . ولعل الصعوبة التي واجهت عملي هذا ان اكثر تلك النصوص لم تكن تحمل تاريخاً ولذا فقد حاولت معرفة الزمن الذي قيلت فيه من خلال الاحداث والمناسبات التي كانت تكمن بين سطورها .

ومن داخل تلك النصوص الشعرية نحدد ملامح الطريق الذي سارت فيه الحركة .

والآن وانا اقدم هذا البحث اسهاماً مني في كشف بعض جوانب الحركة الادبية الناهضة في العراق لايسعني الان اوجه شكري الى الاستاذ الدكتور عبدالقادر القط الذي اشرف على هذا البحث ، والذي أفدت من تجاربه كناقد مرهف الحس ، مثقف الذوق ، كما اتوجه بازجاء الشكر الى الدكتور عبدالمنعم اسماعيل والأساتذة الذين افادوني بأفكارهم أو بتقديم ما لديهم من مساعدات لاكمال هذا البحث ، واخص بالذكر منهم الدكتور يوسف عزالدين الذي وضع امامي امكانيات المجمع العلمي العراقي ، وساعدني في الحصول على كثير من المخطوطات خاصة مايتعلق منها بشعر القرن التاسع عشر . والاستاذ الكبير محمد بهجت الاثري الذي افادني بتوجيهي الى كثير من مصادر هذا البحث كما اتوجه بشكري الى كل من السادة الاديب عبدالله الجبوري مدير مكتبة الاوقاف ببغداد ، والسيد صبيح رديف أمين مكتبة المجمع العراقي والسيد كاظم مجيد بمكتبة المجمع العلمي العراقي ، والى السادة العاملين في مكتبة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ومكتبة جامعة القاهرة لهم مني كل العرفان والشكر .

والله الموفق .

عربية توفيق

الفصل الأول

حالة الشعر العراقي في الفترة السابقة على عصر النهضة

اولا : طبيعة العصر واثرها فى انحطاط الشعر .

ثانياً : مظاهر انحطاط الشعر :

أ - في القسم الموضوعي

ب - فى الشكل الفني .

حالة الشعر العراقي

في الفترة السابقة على عصر النهضة

هذا الفصل محاولة للتعريف بالحالة التي كان عليها الشعر في المرحلة السابقة على عصر النهضة ، لكنها محاولة لا تستهدف بيان القيمة الفنية والموضوعية لهذه الحصيلة بقدر ما تهدف الى توضيح ابعاد النهضة الشعرية التى تحققت في الفترة التى شهدت مولد العراق الحديث .

واول ما نلاحظه ان الملامح العامة لذلك العصر كانت تحمل سمات التأخر والجمود والانغلاق . ولما كان الأدب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما تتعرض له حياة الامة التى تنتجه ، وتخضع لما تخضع له من ظروف وتقلبات . فقد كان من الطبيعي ان يصاب بالضعف والهبوط نتيجة حتمية لتردي الاوضاع العامة في العراق خلال الفترة التى نحن بصدد الحديث عنها .

لقد عاش الاديب في ذلك العصر رهين بيئة ضيقة محدودة الآفاق ، مضطربة الاحوال ، كما انه لم يجد امامه غير ثقافة محلية بسيطة لم تساعده في كثير او قليل على الخلق والابداع . فالحكم التركى الذي استمر زمناً طويلا جعل العراق يعيش بعزلة تكاد تكون تامة عن العالم الخارجي والثقافي كما سد امامه منافذ الاتصال التي من شأنها ان تنمي التطور الحضاري يضاف الى ذلك ان الحكام الذين تولوا حكم العراق لم يقوموا بأية محاولة للاصلاح الداخلي ، ولم يوجهوا أي اهتمام لتنمية الثقافة المحلية الموجودة فكانت النتيجة ان ضحلت موارد تلك الثقافة وجفت منابعها . هذا اذا اضفنا ان الاديب

وجد نفسه امام حكم سياسي مستبد خنق الحريات وكبت كل رأي مستقل ، ولا شك ان فقدان الحرية من شأنه الا يفسح المجال للأديب ان ينطلق في اجواء رحبة يكون فيها اكثر ارتباطاً بموضوعات الحياة العامة ، بل من شأنه ان يخلق نموذجاً مشدوداً الى طريق مرسوم وتقاليد جامدة .

وكلما اضطربت حياة الاديب الاجتماعية والاقتصادية وفقد حريته السياسية والفكرية ، فقد الدوافع المشجعة على الخلق والابتكار .

والمعروف ان الادب العربي في عصور الاولى كان يزدهر وتتجدد اغراضه وموضوعاته في رعاية حكام تعهدوه بالعناية ، فشجعوا الموهوبين من الادباء بمكافأتهم وتقريبهم ، اما في هذا العصر الذي نتحدث عنه فقد خلا العراق من حاكم يثيب او خليفة يرعى او وزير يهب . باستثناء ماسجله الثلث الاول من القرن التاسع عشر لواليين من ولاة بغداد هما : « داود المملوك » ثم « علي رضا » رغم ما عرفا به من ظلم واستبداد ، وما سجله التاريخ لولاة الجليليين في الموصل . اما في الثلثين الاخيرين من ذلك القرن، فأن العراق لم يشهد والياً او حاكماً قرب الشعراء واثابهم ، فيما عدا ذلك النفر القليل الذين كان الوقوف على ابوابهم مشوباً بكثير من الذل والمهانة . وقد ذهب هؤلاء وليس لهم اثر بارز في نهضة ادبية او حركة علمية (١).

ولعل عدم تشجيع الحكام للشعراء يرجع في الغالب الى جهلهم وعجزهم عن فهم اللغة العربية ، ومن ثم فانهم لم يجدوا في نفوسهم الرغبة في تشجيع الشعر العربي وما يتصل به من لذة المسامرة والغناء . وفي الأحوال التي كان يتعلم فيها بعض الحكام من الاتراك لغة غير لغتهم فإن هذا كان يتم

---

(١) راجع الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي — ص ١٠٨

بالقدر الذى يتيح لهم القدرة على التخاطب وفهم ما يوجه اليهم من حديث لا بالقدر الذي يتيح لهم تذوق أدبها والانفعال به ، كما ان أكثرهم لم يكن يقدر الفن أصلا بحكم ملكاتهم الحربية المتأصلة . وكانت ظروف حكمهم وقلقهم على مراكزهم كثيراً ما تجعلهم أبعد ما يكونون عن الفن وتذوقه ، وبهذا فقد الحكام الأتراك الدافع الوجداني لتشجيع الشعراء .

وكما فقد الأدب مكانته بين السلاطين والحكام ، فقد أوساطه المشجعة بين صفوف الشعب ، فلم يجد الأديب تلك الطبقة المثقفة التى تهتم بالأدب وتتذوقه ، ولم يعد هناك رواد لمجالس الشعر ولا رجال مبرزون يقومون على حلقات الدراسة بحيث يمكن أن يتوجه اليهم الشعراء والأدباء ، يلتمسون منهم التأيد ويستعيضون بتأييدهم عن تأيد الدولة .

ومن الأمور التى ساعدت على إتساع الهوة بين الشاعر وجمهوره ضعف نفوذ اللغة العربية الفصحى في شتي المجالات والمحافل ، ذلك ان الأتراك حاولوا جهد امكانهم القضاء على كل أثر للعروبة ومناهضة لسانها وآدابها ، خاصة في أخريات هذا الدور عندما حاول بعض قادتهم تتريك الأمة العربية ، بأن جعلوا اللغة التركية اللغة الرسمية للدولة ولغة التعليم في المدارس ولعل الأخطر من ذلك انها حظرت فى آخر عهدها إستعمال اللغة العربية في كثير من المجالات ، « فحاربت بذلك العرب والعربيه جهاراً ، حتى أتى زمن ولا من يحسن القراءة العادية . (١)

هذا الإهمال الخطير للغةالضاد أدى إلى إيجاد فجوة واسعة بين ما يكتبه الشعراء وبين الجمهور الذي لم يعد يتفهم ما يكتبون أو يتذوق ما ينظمون ، وكان أن فقد الشعر الفصيح تلك المكانة التى كان يتمتع بها في سابق العهود لانصراف الجمهور عنه ، كما فقد الشاعر مكافئته التى كان يحظى بها في عصور العرب السابقة .

---

(١) محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ص ٣٣٥ .

وفي ضوء ما سلف نستنتج ان أدباء تلك الفترة عاشوا معزولين عن بقية قطاعات المجتمع ، لا يكادون يشعرون بشعورة ومن ثم لا يقدرون على التعبير عن خوالجه او وصف احواله ، وهذا يعني ان الموضوعية التى تنشأ من قوة إرتباط الفنان بالحياة الإنسانية وبواقع مجتمعه ، وما تختلج به نفوس افراده لم يكن من الممكن ان تظهر في تلك الفترة ، والشيء الذي يمكن ان نتوقعه في هذه الحالة ، ان تصبح الانعزالية والفردية المطلقة هي السمة الغالبة على اكثر ما يقوله الشعراء من الشعر في هذه الحقبة من الزمن .

ولعل في هذا ما يكشف عن السبب في ابتعاد شعر تلك الفترة عن الحياة ومعالجة موضوعاتها العامة ولكي نعطي صورة واضحة لحالة الشعر الذي كان حصيلة هذه الفترة التى نؤرخ لها ، نقول ان الشعر الذى عاش في ذلك الزمن خلواً من معرفة هيكله ورعاة عهده ، قد هبط جملة وتفصيلا سواء في مضمونه او في اشكاله الفنية .

ومن الناحية الموضوعية نلاحظ ان شعر تلك الفترة يكاد لا يتجاوز ثلاثة محاور :

اولها : يتمثل في الموضوعات التقليدية من مدح ورثاء وغزل وحكم وامثال، وهي الموضوعات التى كانت ولا تزال تمثل العلقة بين ماضي الشاعر وحاضره، لانها حقيقتها تشكل الانعكاس الطبيعي لموروثات مجتمعنا العربي وماساده قديما وحديثاً من وحدة التقاليد والأخلاق والعادات والأفكار والمشاعر . وقد تناولها الشعراء تمشياً مع ذلك التقليد المتوارث ، اما ان يكونوا قد نجحوا فى ان يكون لهم من القدرة والاصالة مثلما كان لأسلافهم فذلك شيء لم يتحقق ، ولعل فى المدح خير مثل نسوقه باعتباره ابرز الأغراض التى تناولها شعراء هذا العصر .

والمدح فى رأي قدامة بن جعفر لا يخرج عن اربع صفات هي :

« العقل وما يتبعه ، والعدل والشجاعة والفقه » (١) .

وحين نتتبع هذه السمات التقليدية فى مدح العصر الذي نتحدث عنه لا نجد لها بقية تذكر فقد ضاعت القيم العربية التى كان العربي يعتد بهـا ، وتاهت فى هذا الخضم الزاخر بالاضطرابات والفتن والثورات والقلاقل، لا سيما وإن السلاطين والحكام - الذين لم يقنعوا بكف الادب عن نقـد اعمالهم - قد اتخذوا من نفر من رجاله ابواقاً للاشادة بمآثرهم ماصح منها وما بطل ، وكما اتخذوا من الجنـد أنصاراً لهم لإخضاع الرعية ، إتخـذوا من مرتزقة الشعراء اعواناً على تضليها ، وكان ان هبط هـذا الارتزاق بالادب عن مكانته السامية درجات ، وحسبك ان يهبط الشاعر من قمة الفن والشعور والصـدق الى وهدة الشحاذة والتملق والكذب .

ونذكر على سبيل المثال ان السلطان عبدالعزيز كان ملكا كثير الاخطاء ، يحارب الحرية ويخنق صوت الاحرار (٢) ، ومع ذلك نجـد الشاعر « الاخرس » الذي كان في مقدمة المجلين في هذه الحلبة يمدحه بقوله:

وما أرى مذ رأى السلطان موكبه
كمثل عبدالعزيز اليوم سلطانا (٣)
فلو وزنت ملوك الارض قاطبـة
به لزاد ملوك الارض رجحانا
اشـدهم في الوغى بأساً وارفعهـم
قـدراً واعظمهم فى ملكه شأنا

---

(١) فى النقد الادبي الحديث - غنيمي هلال - ص ١٨٢ .

(٢) يقظة العرب ص١٢٧ .

(٣) نشرت هـذه القصيـدة فى جريدة الجرائد الصادرة فى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٦٨م ، العدد ٣٥٩ .

ثم يمدح رجاله من وزراء وموظفين ، ولم يكن هؤلاء في صفاتهم بأقل من سلطانهم بعدا عن الأمانة والكفاءة ، فيقول :

نعم الرجال رجال يحدقون به
كانوا لدولته الغراء أركانا
فنهم « النامق » المولى المشير وهل
تبغي علي من يقول الحق برهانا
قد أظهرت في البلاد العدل رأفته
من بعد ماملئت ظلما وعدوانا
ساس العراق فأمسى وهو في دعة
وزاد فحايته امنا وايمانا

ولم يقتصر مدح الشعراء على السلاطين والولاة ، بل تعداه الى صغار الموظفين ماداموا يمثلون السلطة ، ذلك ان النفوس التي اذلها الفقر وسحقت مثلها المحنه وجدت في المديح سلماسهلاللارتزاق ،وهذا شيء يملكه اصحاب السلطة ، فلا غرو اذن في ان يسخر الشعر لذلك وان يتخذ مهنة للاستجداء يقول الشاعر بكتاش (١) في مقدمة ديوانه « فخفضت جناح الذل،ومدحت الأعيان بقصائد قوافيها قلائد الجمان ، فقوم رتعت في مربع نعمهم،ونشلتني من وهاد العازة كفوف همهم ، وقوم مالوا بي عن سواء الطريق » .

ويترجم صالح التميمي (٢) (١١٩٠ هـ - ١٢٦١ هـ) ذلك شعرا حين يقول في توديع « داود باشا » بعد سفره من بغداد :

---

(١) ترجمته في غاية المرام لياسين العمري وله ديوانمخطوط نسخة منه في مكتبة الأستاذ يعقوب سركيس .

(٢) انظر ترجمته في البابليات لعلي الخاقاني جـ٣ ص ١٤٢ طبعة ١٩٥٢ .

وحقك لايرجى اصطباري عنكم
فكيف ولولا وجودكم ضامني العسر
انا الحر الا انني عبد فضلكم
ولاغرو ان الحر يملكه البر
رفعت حضيض القلب مني تكلفا
اذا انجر من فكري لاحسانك الشكر
فان نالني منك النوال فحبذا
والا فما في الكف عندي هو الذخر

وهكذا اذل الشعراء شعرهم كفن له قدسيته عندماملأوه بالأكاذيب كما اذلوا كل خلق كريم عندما مدحوا القاتل والظالم مادام في دستالحكم.

والمحور الثاني : يتمثل في الشعر الديني الذي يشكل ظاهرة بارزة في شعر تلكالفترة ، فقد حفلت دواوين الشعراء بهذا اللون من الشعر ، بل ان ماقالوهفيهذا الاتجاه يكاد يفوق كل مالهم من نتاج شعري في الموضوعات الاخرى .

واهتمام الشعراء بالدين نتيجة طبيعية لرد الفعل الذي احدثه احساسهم بالظلم وشعورهم بالاضطهاد والحرمان من التمتع بحياتهم وخيرات بلدهم ، هذا بالاضافة الى ما كان ينتابهم منخوف وهلع من التعرض للتنكيل والقتل نتيجة الافصاح عما في النفوس .

وهكذا وجد الشعراء في الدين متنفساً لهم عن واقعهم المرير ، وقد اتخذ الشعراء لذلك مسالك عدة ، فمنهم من التجأ الى الرسول (ص) يمدحه ويتغنى بأمجادهومآثره ، ويطلب الشفاعة بين يديه ، وفي هذا الشعر نلمحظلالا ترتبط الى حد بعيد بالجانب الوجداني للحياة الانسانية بوجهها المرير المعذب الذي يصطرع فيه نضال النفس الحائرة بين التمرد المكبوت على واقع مرير

والتطلع الى افياء الرسول الكريم بحثاً وراء السلوى وتنفساً للكرب .

يقول الشاعر البزاز (١) :

واذا نابك خطب لذ به
تلقه حصناً لمن فيه تعامى (٢)
باغيات الخلق والغيث الذي
لم يزل نائله يجري ارتكاما
كن مجيري من أذى الدهر فقد
جردت ايديه للبغي حساماً
والرزايا وضعت لي موردي
ورمت عن قوسها في سهاما
فأغثني يا ابا الجود من
فضله عم الورى خاصاً وعاما

الى ان يقول :

او تعد تمر ليالينا التي
نلت فيها من دمي الحي المراما
ليت شعري كيف ارجو عودها
من زمان دأبه البغي دواما
ويعادى الحر بالغدر ولم
يهو من ابنائه الالئاما

---

(١) انظر ترجمة في العقود الجوهرية ص ٢٧ تحت اسم حسن البزاز — المجمع العلمي العراقي .

(٢) اورد هذا النص الدكتور يوسف عزالدين في كتابه عن الشعر العراقي في القرن التاسع عشر — ص ٦٨ و ٨٩ .

فالشاعر يعلم أن أساس البلوى التي يعانيها وقومه، الحكام، ولكنه لا يستطيع الجهر بما يجول بخاطره وما يؤلم نفسه .

وكذلك اتجه قسم من الشعراء إلى مدح آل الرسول ورثائهم ، خاصة الحسين رضي الله عنه ، وقد تركز هذا الإتجاه كأقوى ما يكون عند الشعراء من أبناء الشيعة الذين وجدوا في نكبة الحسين وتصوير مأساته موضوعاً خصباً دار فيه معظم إنتاجهم .

والواقع إن تلك الظاهرة ليست جديدة أو طارئة على الشعر العربي فى العراق ، فقد برزت منذ صدر الإسلام ، حيث نجد إهتماماً خاصاً بالنزعة العلوية الهاشمية . وقد مثل هذا الإتجاه الشريف الرضي وأضرابه من الشعراء العلويين القدامى . ولقد إستمر هذا الإتجاه قوياً نابضاً يساير حياة العلويين وما تعرضوا له خلال العصور من إضطهاد على أيدي الأمويين والعباسين حتى إنتهى بهم المآل إلى آل عثمان الذي ضاعف حكمهم وإضطادهم للشيعة من النكبة فوجدوا في مأساة الحسين متنفساً لما تفيض به نفوسهم من مرارة وآسى .

وقد سلك الشعراء فى التعبير عن هذه الحالة طرقاً مختلفة فمنهم من إكتفى بالبكاء وإظهار الحزن على آل البيت دون تعرض للسياسة ، ومنهم من وجد فى الإعتزاز بآل البيت وأمجادهم ملاذا لتخفيف ألمه ، وذهب قسم آخر إلى الاستنجاد بالمهدي المنتظر ، يستجير به من محنته ، يقول الشاعر حيدر الحلي : (١) .

تدارك بسيفك وتر الهدى
فقد اسكنتك طلى الواتر

(١) سنة ١٢٥٧ هـ وتوفى سنة ١٣٠٤ هـ ، ترجمته فى البابليات جـ٣ ص ٩٩ .

كفى أسفاً أن يمر الزمان
ولستَ نهاه ولا آمر
على أن فينا إشتياقاً إليك
كشوق الربى للحيا الماطر
فكم ينحت الهم أحشاءنا
وكم تستطيل يد الجائر

الى أن يقول :

وكم نحن في لهوات الخطوب
نناديك من فمها الفاخر
أصبراً وسرب العدى رائح
يروح ويغدو بلا داعر

ولسنا هنا فى مجال تتبع هذا اللون من الشعر فانه يشكل فى الحقيقة ثروة ضمخة لو تتبعناها لاحتجنا الى مجلدات .

ويمكن أن تكتفي بالإشارة الى أن هذا الشعر عامة قد دار حول فكرة واحدة تركزت فى مأساة الحسين وآله من الهاشمين ، مما بعد به - إلى حد ما - عن أفكار العصر وما جد فى الحياة من تبدل وتغير .

ولقد ظل الشعراء من الشيعة خاصة على ولائهم لهذا الهدف متخذين من الدعوة إلى الثأر لمقتل الحسين طريقاً إلى إعادة الحكم إلى البيت العلوي .

ولقد أبدى بعض الشعراء انعطافاً خاصاً إلى الشعر الصوفى ، وإن كان ما بين أيدينا الآن من نماذج هذا الشعر قد إتسم بالضعف والتهافت لدرجة يمكن معها ان نعده من مظاهر الضعف التي ورثها الأدب من تلك العهود ، ذلك ان هذا اللون من الشعر إنحصر فى مدح طبقة من المتصوفين واصحاب الطرق الذين جعلوا من الدين مصدراً للإرتزاق، فملأوه بالشعوذة والخرافات

وابعدوه عن جوهره الحقيقي . والمعروف أن الدولة العثمانية التي لم يكن يربطها بالشعب العربي غير رابطة الدين كانت تحاول دائما ان تستغل الدين لمصلحتها وتدعيم سيطرتها . ومن ثم فقد رأت فى التصوف والمتصوفين فرصة لتحقيق هذه الغاية ، فقد كانت الطرق الصوفية فى ذلك الوقت تقوم على التمسك بالشكليات « دون مناقشة لجوهر الدين واظهار حقيقته » (١) .

وكانت السلطات الحاكمة تحرص من جانبها على ابعاد الناس عن أي شيء من شأنه ان يفتح الأذهان على آفاق واسعة من العلم والمعرفة ،وبالتالي يصل بهم الى التفكير فى الخلافة وشروطها ، ويناقش شخصية السلطان والصفات التي يجب ان تتوفر في الحاكم الأعلى للمسلمين ويذكر الفضائل التي يتحلى بها وهي مسائل لا تتفق مع مصالح سلاطين آل عثمان .

يقول حسن البزاز على لسان شيخه .

وانف التفكر في التفويض تحل لك
أوقات بل وتعش فى راحة وهنا (٢)
واعرف مقادير ما أولاك من نعم
وكن أميناً على الأسرار مؤتمنا

ولم يكن غريباً لهذا كله ان تسرف الدولة فى تشجيع المتصوفين واحاطتهم بالرعاية واغداق الأموال عليهم ومنح التكايا .

والحق أنها أضفت عليهم منزلة يحسدون عليها من قبل الفئات الاخرى وبهذا فتحت مجالا لانتشار التصوف في العراق ، وفي تزايد عدد المريدين

---

(١) راجع المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ص ٥٢، تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود ط ٢ سنة ١٩٥٥ .

(٢) ديوانه ص ٦٩ و ٧٠ من قصيدة تحمل توصية لأحد المريدين.

والاتباع . لقد أصبح التصرف سوقاً نافعة في قلب العاصمة العثمانية وخاصة بعد أن أصبح لـكل متشيخ هناك اعتبار ولو انه خمار أو حمار (١) .

ولم يكن غريباً ان يندفع الشعراء وراء المتصوفين ، فنالهم من إهتمام شعر تلك الفترة نصيب ليس بالقليل . وكان ان مجد عدد منهم كرامات هؤلاء المتصوفين ، وألفوا فيهم شعراً تتناقله الألسن وتحتفي به العامة من ابناء الشعب ، يقول البزاز في قصيدة يستغيث بها بالشيخ عبدالقادر الكيلاني :

يا مجير الغرقى من البحر بل يا
مدرك الصارخين في الفلوات
أنت غوث الوجود جد في خلاصي
من أكف الاعداء والحادثات (٢)

ويقول الملا عثمان الموصلي في ذكر كرامات الشيخ الرفاعي :

له الأفاعي وأسد الغاب طائعة
والجن تبصر من آياته العجبا
الا ترى أن من ينمي اليه فلا
يخشى من النار مهما أوقدت لهبا (٣)

والأمثلة على هذا الشعر كثيرة ، لكننا نجتزيء بالقدر الذي أوردناه لننتقل الى الحديث عن المحور الثالث الذي دار فيه شعراء تلك الفترة وهو الشكوى من الحياة والزمن . وشعر الشكوى في هذا العصر يشكل ظاهرة

---

(١) غرائب الإغتراب ص ١٩١ .

(٢) ديوان البزاز ص ٦٤ .

(٣) اورد النص الدكتور يوسف عزالدين في كتابه الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٠٨ من العقود الجوهرية ص ٣٠ .

جديرة بالإهتمام ، ولكن الإهتمام بهذه الحصيلة الشعرية مصدره في رأينا ما تتضمنه من افكار وحسب ، فان الشكوى في تلك الفترة لم تعد كما كانت قديماً وسيلة مجردة يصب فيها الشاعر تبرمه بالحياة ، وسخطه عليها لمجرد انها حياة نظر اليها الشاعر من زاويتها المظلمة ، أولانه ينظر الى الزمن على انه قدر محتوم وقضاء مبرم لا يملك الانسان وسيلة للهرب منه ، وإنما تحولت الشكوى من الزمن والحياة بحيث حملت في طياتها احساساً جديداً فيه تطلع لحياة أفضل ، وبحيث تضمنت سطورها ذلك الصراع القائم في نفسية الشاعر بين واقع مجتمعه المرير وبين ما يتمناه لبني وطنه من امن ورفعة ، صراع تمليه على الشاعر حياة مضطربة ، وظلم إجتماعي لا يقيم لشريعة الحق وزناً ولا يبشر بمستقبل يتمتع فيه الانسان بحياة حرة كريمة .

وقد برزت تلك النزعة عند الشعراء الذين أبت نفوسهم التمرغ في وحل الزلفى والمديح الكاذب ، والذين يستشعرون الألم الذي تعيش فيه الامـة ، ويلمسون مبلغ التدهور والانحطاط الذي آلت اليه امور الشعب على ايدي طغمة من الحكام المستبدين . ومن ثم فقد شرعوا يعبرون عن تلك المشـاعر والاحاسيس في اشعار تفيض بالتذمر من الاوضاع السائدة . وقد كانت تلك النفثات تدور في حدود النزعة الذاتية او في حدود الشكوى العامة التي كادت تضيع في خضم ذلك المجتمع المضطرب . نجد هذا في ابيات الشـيخ محمد جواد الشبيبي الذي يشكو الزمن ويصب اللائمة على احداثه :

اذا مادهتني النائبـات ولم اجـد

مجيري منها فالتمسك بالصبر (١)

---

(١) ورد هذا النص في كتاب الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٤٧ و ١٤٨ ، عن دمية القصر في شعراء العصر .

فلله قلبي كم يجرعه العنا

علائم حزن من مبارزة الدهر

فوا عجبا للدهر كيف اصابني

ومنزل جدي في ذرا هام النسر

عنتني الخطوب الفادحات فأججت

لهيب أسى بين الجوانح والصدر

ومن الافكار الجديدة التي دخلت في موضوع شكوى الزمان التشكيك في الحكم وفي نظمه، وذلك عن طريق ابراز المفاسد وتصوير الأحوال التى تردى فيها العراق على ايدي الحكام، نجد هذا في ابيات الشاعر عبدالغني الجميل الذي يرسم صورة حية لواقع المجتمع الذي يعيش فيه.

اجول بطرفي في العراق فلا أرى

من الناس الا مظهر البغض والشحنا (١)

فخيرهم للأجنبي، وقبحهم

على بعضهم يعدونه حسنا

بل لا نعدم أن نجد في هذا الشعر صرخات جريئة تحمل في ثناياها دعوة صريحة للثورة، ومن امثلة ذلك أبيات الشاعر عبدالباقي التي يقول فيها:

قد استحال العراق مفسدة

ليس سوى ضرب السيف يصلحها (٢)

وأهله اغنام عاث بها

أذؤبه والكلاب تنبحها

---

(١) مجموعة عبدالغفار الاخرس ص ٢٥ .

(٢) الترياق الفاروقي ص ٢٨٨ .

هـذا بسـاطور الشر يسلخها

وذا بسكين القهر يذبحها

وكم نيوس على العراق نزت

من اين لي ذو القرنين ينطحها

جاست خلال ديارهم فئة

أحسنها في الخلال اقبحها

ويتعرض الشاعر الأخرس بصراحة وجرأة لوصف الحالة السياسية فيقول :

بعد الرجاء بموطن خشن

يلقى الكرام بجانب وعر

بلد كبار ملوكه بقر

صاروا ولاة النهي والأمر

لا يفقهون حديث مكرمه

فيهزهم نظمي ولا نثري

أصبحت أشقى بين أظهرهم

فكأنني أصبحت في اسر

يرقى الدني الى مراتبهم

حتى يريك النعل في الصدر

وقد نجد بين هؤلاء الشعراء من لم يكتف بمجرد الشكوى ونقد الاوضاع ، وانما يذهب الى ابعد من هذا فيتغنى بالأمجاد العربية ، قاصداً تذكرة القوم بماضيهم العزيز ومجدهم العريق ، ولعل هذا الاحساس جاء نتيجة أو رد فعل لأحتقار الاتراك للعنصر العربي وابعادهم عن مسئولية الحكم، مما ولد في نفوس العامة شعوراً بالنقص وبتخلف مكانتهم عن العنصر التركي وليس غريباً ان يقابل العرب هذا بالثورة على العنصر التركي ، نجد ذلك في

أبيات لأحد الشعراء يقول فيها :

والترك ان تدنوا لهم يبعدوا
يصيحوا في غلمانهم قاوسنة
بلك الور أبناء عرب يوزبرك
الله بلا ورسن وقد صنصنه
ليتنا متنا قبيل الأذى
وقبيل هذا الذل والمسكنة (١)

ولقد كان هذا الاحساس من الاسباب التي ادت الى تفشي السلبية التي عبرت عن نفسها فى تلك المقطوعات التي يظهر فيها الحنين الى عهد العروبة الزاهر ، أيام كان العرب سادة لايجرؤ مستعمر أو أجنبي علي الاستهانة بهم . وكان صوت الشاعر عبدالحميد الشاوي من بين الأصوات التي ارتفعت تمجد العرب وتشيد بأيامهم السوالف ، يقول :

وقومي الألى الصيد سادوا الورى
وشادوا من المجد ما يخلد (٢)
سموا في سماء العلا رتبة
دنا دونها النجم والفرقد

ويعتبر الشاعر « عبدالغني الجميل » أكثر شعراء تلك الفترة ثورة على ذلك الوضع ، فلقدآلمه أن يجد قومه في موقف الذل والاحتقار ، ومن ثم فاننا نراه في أكثر قصائده يندد بهؤلاء الذين احتقروا شعبه وترفعوا عليه ، يقول :

---

(١) « كذا » في شمامة العنبر ص ١٠٣

(٢) الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ص ٣٢

بلينا بقـوم حافـظ الـود عندهم

أخو سفه بـل عادم الرأي لا يعنى(١)

وانا لنأبى الذل في موطن الغني

ولا يزدهينا مطمـع حيثما كنا

ومـا ساءنا حـرب الزمان وبؤسه

ولا حادثات الدهر هدت لنا ركنا

وننكـر ان شئنا خلائـق معشر

فقل للئام القـوم ما أنكروا منا

... ...

... ...

فقل لي : بماذا يفخرون علي الورى

اذا عـددوا الآباء أو ذكروا الأبنا

فهبهم علي المجد الأثيـل تسنموا

اما يعرفـون المجد بالقـول لا يبني

وما المجـد الا دولـة وحفاظها

صليل المواضي البيض والسمر اللدنا

والواقع ان هذا اللون من شعر الشكوى قد حمل بين ثناياه صوراً صادقة للمفاسد التى كانت تجري في تلك الايام ، ولا نشك في ان تصوير تلك المفاسد وابرازها امام الراي العام قد كان من الامور التي ساعدت على نمو الوعي السياسي والاجتماعي لدى عدد كبير من افراد الشعب العراقي ، على انه من الطبيعي ان يلتقي الباحث بعدد من التجارب الفردية المحدوده بنطاق البيئة الساذجة وبالمحصول الفكري البسيط ، من ذلك التهنئة بمنصب

(١) مجموعة عبدالغفار الأخرس من ص ٢٣ ـ ٢٧

او بناء دار جديدة ، او مقْدم مولود ، ومنه التعزيه او التأريخ لحادثةمعينة وقد يعمد الشاعر إلى وصف مجالس الأسمار والخمرة ، ثم ينطلق منها الى موضوعات تافهة لايقصد بها إلا التسلية وحدها ، كأن يصف نرجيلة او برغوثاً او صورة ، إلي آخر تلك الموضاعات .

والذي يهمنا هنا ان هذه الاشعار تعكس اهتماما مبالغا فيه بالصنعة والمحسنات ، وتحكم بأن حظ قائليها من الموهبة الشعرية قليل لايعود عليه .

ونحن نختار فيما يلي عددا من النماذج نعتقد انها كافية للتدليل على ما نذهب اليه .

يقول الشاعر محمد امين العمري في قصيدة بعث بها الى ابي الثناء الألوسي بهنئه بتولية أحد المناصب ، وقد اشتهلها بغزل تقليدي :

من للمشوق المستهام الواله
حسامين ناعس طرفه ونباله
لايختشي في الحب لومة لائم
أبدا ولا يصغى الى عذاله

الى ان يقول :

المسجد (القدّم) الهمام المرتجي
والسيد المحمود فى افعاله
في العلم قد أضحى نسيجاً وحده
لم ينسجن أحد على منواله
لكوكب الأفلاك أضحى صاعداً
فهوت كواكبه لحسن خصاله
ما جاءه أحد لحل عويصة
الا وحل بها عرى أشكاله (١)

---

(١) حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود جمع عبد الفتاح=

ويبعث عزت الفاروقي الى احـد اصدقائه بتلك الأبيات يهنئه فيها بمجيء مولود جديد أسماه محمد رشيد :

بشراك قـد هـل محمد رشيد
بوقت سعد وهـلال سعيد (١)
ربيـع ميـلاد الهنـا سـرني
سـرور خـير ماعليـه مـزيد
بشـرني فيـه كتـاب اتى
فيكم عـلى يميني يمين البريـد
عمـاد خـير جـاد ميـلاده
فهو عمـاد وهـو ابن العميد

ومن شعر المساجلات تلك الابيات التي بعث بها « محمد أمين » واعظ القادرية ، الى الألوسي ضمنها سؤالا عن سبب نصب (عاليهم) في قوله تعالى « عاليهم ثياب سندس » :

أيا علامة بين النـ ـحاة حوى معاليهم
ابن لا زلت مرفوعا علام نصب «عاليهم»؟

ولما جاءه الرد نظم ذلك ابياتاً :

سألت أهل الفضل دانيهـم وقاصيهـم
وشيخ الكل في كل العلوم نصب عاليهم
على حالية نصوص من هم في عليهم نلت نائلهم

ـ شواف زادة ص ٢٣ (مخطوطة مصـورة فى المكتبة المركزية لجامعة بغداد) .

(١) ديوان عزت الفاروقي المخطوط . ص ٩٩ و ١٠٠ (مخطوطة برقم ١٦٧) في المجمع العلمي العراقي .

ومن رفعوا لذاك أرى على الأخبار تاليهم

وقد يصل الامر بالشاعر الى الحد الذي يهتم فيه بقول الشعر في وصف نرجيلة (١) او طلب غليون (٢) او وصف شمعة (٣) او قنديل (٤)، وقد يشكر برغوثاً كما فعل عزت الفاروقي حينما بعث بتلك الابيات الى صديقه محمد فهمي قائلا :

اليك أبا غائب اشتكي
ولا بدع ان تشتكي الاذى (٥)
جيوش البراغيث قد اقبلت
ضخام الجسوم دقاق الحشا
تطير بأجنحة من هواء
فوارمها ضعفت فى هباء
يؤرقني في الدجى ركضها
فأرعى بطرفي نجوم السماء
أحاك يدي في يدي كالذباب
وكفي بكفي وهذي بذا
فأين الفرار واين القرار
واين امسها واين الكرى

---

(١) ديوان الطباطبائى ٢٧٨

(٢) الترياق الفارقي ص ٣٥٨

(٣) ديوان القزويني ص ١٣٩

(٤) ديوان الاخرس ص ٤١٨

(٥) ديوان الشاعر المخطوط ص ٢٧ و ٢٠ بالمجمع العلمي العراقي .

وتبعا لتفاهة الموضوعات التي طرقها الشعراء هبط مستوى الشعر من الناحية الفنية . والواقع ان الشاعر لم يجد امامه في تلك البيئة التي اسنت فيها منابع الثقافه مثالا جديداً يحتذيه او يسعى لمحاكاته ، فان كل ما وجــده كان يتمثل اساساً فيما تبقي من المخطوط من دواوين الشعراء السابقين ، وقدراح يستعين بها ويستظهر مايمكن استظهاره من الشعر القديم ، ثم ينسج عــلى منوالها مايريد نظمه معتمداً في ذلك على ثقافته البسيطة ، وعلى ماله مــن موهبته في النظم ، وهذا وذاك لم يمكنه في الاعم الاغلب من الوصول الى صف الذين يقلدهم ، فجاءه تقليده ضعيفاً مشـوهاً ، ومسخا لايستطيع الوقوف على قدميه .

ان شعراء هذه الحقبة كانوا يكتفون على مايبدو بقراءة ما تصل اليه ايديهم ثم يستلون مابها من افكار وصور ويصوغونها صياغة جديدة تجيء في الغالب أقل قيمة من صياغة من سبقوه وان زاد في حليتها ، فالشاعر قد يكون رجل دين يتغزل بالخمرة ، وعفيفا فيتغزل بالمـذكر ، وابن مدينة فيبكي الاطلال والدمن ، ويعيش في العراق ثم يحن الى صبا نجد والرقمتين.

ونتيجة لهذا الجرى وراء معاني الاقدمين ، غـابت شخصية الشاعر الذاتية ، ومن ثم تبددت تبعاً لهذا احاسيسه وعواطفه الخاصة ، وابتعد بذلك عن اجواء عصره . ويمكن القول بأن الشاعر حين يقف عند حــد اجترار معاني السابقين لايعبر عن الاشياء من خلال نفسيته ولا من خلال عصره ، لانه فــي هــذه الحالة يكون مشغولا بالتقليد عــن مهمته الاساسية وهي الابــداع .

والملاحظ ان هذا النوع من التقليد يحول بين الشاعر وبين التعبير عن تجاربه الخاصة ورؤيته الشخصية .

كذلك ادت هذه «الكلاسيكية المقلدة» الى سقم خيال الشاعر وكبح قوة الخلق والابداع عنده ، فنحن لانكاد نلتقي فــي شعر تلك الفترة بذلك

الخيال الخصيب وتلك التجارب الحية ، والاحاسيس الصادقة التي نلتقي بها في مرحلة تالية ، ولسنا نبالغ حين نقرر ان مادة هذا الشعر صورة وفكرا وخيالا وعاطفة تتحول في شكلها النهائي الى حياة ميتة هي صدى لحياة مضت ، وعاطفة جمدت ، تنقصها حرارة الاحساس ونبض المشاعر الصادقة ، اما الافكار فانها عتيقة بالية فقدت تأثيرها من كثرة التكرار، واما الخيال فساذج عاجز عن اداء مهمته .

واذا ما انتقلنا الى عملية البناء التي تتشكل فيها هذه المادة وجدنا ان هؤلاء الشعراء يتتبعون المنهج القديم نفسه الذي رسمه اسلافهم للقصيدة العربية .

من ذلك ان الشاعر يلتزم دائما بأن يبدا قصيدته بالغزل او النسيب او وصف الفرس او الناقة او الخمرة وما يتصل بها من ذكر الساقي والكئوس والندمان ، كما يلتزم الابيات الثلاثة (المستهل والتخلص والختام) ويراعي ان تكون بارزة عن بقية القصيدة . وقد اتبع الشعراء هذا التقليد لايحيدون عنه مهما ارتفعوا او هبطوا والادلة كثيرة لاتعوز المتتبع لدواوين الشعراء حتى عصر النهضة ، وكل مااضافه هؤلاء الشعراء بعد ان اعياهم الملل من النموذج ، ان عمدوا الى تمطيطه بالتخميس والتشطير والتضمين والاقتباس على نمط ليس له من مبرر سوى ذلك العقم الادبي الذى منيت به الافكار في تلك الحقبة ، والا فاي فن يبدعه الشاعر حين يأخذ بيتين او اكثر من الشعر بالتشطير والتخميس فيعمد الى تمطيط معناها وتفكيك اواصرها ، وتحميلها من الالفاظ مايناسب ومالايناسب من الالفاظ المترادفة ، اوحين يلجأ الى نموذج قديم في الغزل له روعته وقيمته التأريخية فيلتقط منه الاعجاز ليصدرها بابيات في الرثاء كما فعل عبدالباقي العمري مع قصيدة امرىء القيس الشهيرة :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

حينما صدرها برثاء قاله في الشيخ محمد آل جعفر :

امهدي الورى صبرا على فقد فرقد

(تنقل مــن برج لاشرف منزل)

كأني اذا جرعت صاب مصابه

(لدى سمرات الحي ناقف حنظل)

وسيل دموعي من عيوني لقد جرى

(على النحر حتى بل دمعي محملي)

ومنه أقــل للعش ربـوة سؤدد

(فوا عجبا من كورها المتحمل) (١)

والحق أننا لانجد أية صلة بين شاعر يرثي صديقاً ، واخر عابث يشكو هواه ، فالاول يصف أله ودموعه لفقد انسان كبير المقام فاضل الصفات ، والثاني ينتقل بين البوداي جريا وراء الغواني والحسان لاشيء يضنيه سوى لوعة الحب ومشاق السفر وقسوة الرمال ، ولاندري كيف جمع الشاعر بين هاتين الصورتين في قصيدة واحدة .

وكما فقد الشعر قوة معانيه وروعة خياله ازدحم بالزينة المفرطـة . وطبيعي ان يحاول الشاعر ستر عوار الفراغ بزركشة فارغة، ظناً منه ان قيمة الادب بكثرة حيلته .

ومن العناصر الفنية التي افتقدها شعر تلك الفترة وحدة الموضوع التي تعد من العناصر الضرورية التي يجب ان تتوفر في العمـــل الادبي الناجح ، والواقع ان الشاعر الذي اعتمد في انتاجه على تقليد مضمون القصيدة العربية

---

(١) السترياني الفاروقي ص ٣٧١ و ٣٧٢ .

القديمة اعتمد ايضاً على تقليدها من ناحية البناء الذي يقوم على وحدة الابيات وتعدد الأغراض . ولا بأس هنا من الاشارة الى بعض الباحثين (١) يرى ان هذا البناء يعبر الى حد كبير عن النظام القبلي الذى ارتبطت به حياة العرب ايام الجاهلية ، وان هذه الوحدة التى كانت تمثلها القبيلة تتمثل في البيت من الشعر ، وما القصيدة العربية إلا مثال لذلك المجتمع الذي يتكون من عدد هائل من القبائل المستقلة التى لا يربط بينها سوى رابطة الدم. وكذلك شأن القصيدة العربية التي تتكون من وحدات مستقلة لا يربطها بغيرها إلا القافية . والوحدة المستقلة في القصيدة (البيت) تتكون من مجموعة من العناصر المتشابكة المتعاونة التي تعمل جميعاً في تفاعل وانسجام داخل اطار هذه الوحدة . تماماً كما يعيش افراد القبيلة الواحده داخل قبيلتهم، واذا كانت القبيلة هي الوحدة المتكررة في المجتمع البدوي ، فكذلك كان البيت هو الوحـــدة المتكررة في القصيدة العربيـــة .

وكما اعتمد الشاعر في موضوعه وفي بناء قصيدته على الشـــعر القديم ، اعتمد على نفس الموسيقى ، وهي موسيقى الصحراء ذات النغمة الواحـــدة المتكررة ، والقرار الرتيب الواحد .

لقد تعود الشاعر في القصيد التقليدية على ان يوقع على وزن واحـــد وقافية واحدة ، مهما تفاوتت قصيدتـــه طولا أو قصراً ، وذلك التقليد الذي اوجده شعراء الجاهلية ايام كان العرب بدوا رحلا يجوبون صحراء واســـعة واقليما طليقاً ، لا يصد هواءه بناء ، ولا يحجب شمسه غيم، ولا يحبس امطاره وسيوله سد ، كل شيء فيه حر على الفطره . وفي هذا الفضاء الواســـع راح الشعراء يتغنون بنوع واحد من القول ونغمة واحدة . ذلك ان الصحراء توقع

---

(١) الدكتور عزالدين اسماعيل في كتابه « الاسس الجمالية في النقدالعربي» راجع ص ٣١٣ طبعة اولى منشورات دار الفكر العربي ١٩٥٥ .

على نفوسهم صوتاً واحداً فيشعرون - كما تلقوا - شعراً واحداً .

وتحت ضغط الوفاء لهذا التقليد راح الشاعر يبدد طاقتــه جرياً وراء الالفاظ التى تتناسب وقافيته ، ولما لم يجد في لغة عصره ما يســعف قريحته - خاصة بعد الانحطاط الشديد الذي منيت بـه اللغة العربية ابان تلك الفترة - لجأ الى الفاظ الاقدمين ، يحشو بها نظمه ، ومن ثم فأن اللغة التي نجدها في شعر تلك الفترة تكاد تكون فى الغالب بعيدة عن لغـة العصر ، فهي لغة تترفع عن العلاقات الانسانية البسيطة ولا تقترب مما يشغل واقع الحياة .

لقد اصبح الشاعر في ذلك العصر ، رغماً عنه ، مشدوداً الى الاساليب القديمة والى التراث المحفوظ . والشاعر الذي يعيش على هذا الركام وحــده لايســتطيع بعد ذلك ان يأتى « بالجديد » فهو يســتمر دائما فى ان يكون « صوتاً » للعصور القديمة،اما ان يكون صوت عصره أو صوت نفسه فشيء لم يظهر في تلك الفترة .

الفصل الثاني

حَرَكَة النهضَة
عوامل بعثها وتطورها

أ - الاسباب السياسية

ب - الاسباب الاجتماعية

ج - الاسباب الثقافية

حركة النهضة

عوامل بعثها وتطورها ..

نحاول في هذا الفصل التعرف بأهم العوامل والمؤثرات التي تحدد الملامح الاساسية للعراق الحديث ، والتي تقف من وراء التغيير الحضاري الذي يعرف الآن بأسم حركة النهضة ، ثم ما كان لهذه الحركة من اثر في اتجاهات الشعر العربي في العراق .

لقد جرى بعض الدارسين على ان يربطوا نهضة الشعر في العراق ببعض الحوادث الطارئة أو ظهور بعض الشعراء الذين قاموا بدور بارز في حركة الشعر العراقي الحديث (١) .

ومنهم من يرى ان هذه الحركة بدأت مع اعلان دستور سنة ١٩٠٨ (٢) واخرون (٣) منهم لا يقنعون بشيء من هـذا ، فيقررون ان قيام ما يعرف

---

(١) داود سلوم في كتابه تطور الفكر والاسلوب حيث اعتبر عصر داود باشا بداية لحركة النهضة ص ٩ ثم يعود فيعزوها الى مولد الشاعرين الرصافي والزهاوي — راجع ص ٩ .

(٢) الدكتور يوسف عزالدين في كتابه الشعر العراقي الحديث ص ٣٢ .

(٣) د . جميل سعيد في كتابه نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤ ط معهد الدراسات سنة ١٩٥٤ .

بالحكم الوطني في العراق (سنة ١٩٢١) هو البداية الفعلية لهذه النهضة :

والملاحظ ان اكثر هؤلاء الدارسين يربطون حركـة النهضة بوقائع سياسـية محددة ، دون ان يهتموا بدراسـة العوامل والمؤثرات الاجتماعية والاقتصاديه والثقافية والروحية التي تضافرت على احداث هذه الحركة .

ولئن كان من الممكن ان يقال أن حركة البعث في اوربا قدتضافرت على ابرازها الى حـيز الوجود عوامـل كثيرة بدأت بالغزو التركي للدولة البيزنطيـة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر (١٤٥٣ م) ثم تسللت الحوادث بعدها فظهرت حركة الاصلاح الديني التي تزعمها « مارتن لوثر » و « كالفن » و « جون نوكس » ثم تبلورت في مجموعة من الافكار والمناهج والفلسفات التي والدت حركة النهضة وزودتها بمقومات وجودها ، فأنه من الممكن ان يقال كذلك حركة النهضة في العراق لا يرتبط ظهورها بأي واقعة تاريخية مهما كانت خطورتها الا بمقدار ما ترتبط حركـة النهضة في اوربا بالغزو التركي لبيزنطة .

والواقع ان حركة النهضة في العراق قد تضافرت على ابرازها الى حيز الوجود ، عوامل كثيرة : منها ماهو سياسي ومنها ما هو اجتماعي ومنها ماهو ثقافي ، وقد تداخلت هذه العوامل جميعها بحيث يصعب الفصل بينها ، وقد أثرت تلك العوامل بعضها تأثيراً مباشراً وبعضها الاخر كان ذا أثر غير مباشر. الا ان اهم مايلفت النظر في هذا المجال ذلك العنصر الذي يتعلق بطبيعة الحكم العثماني ذاته ، فالحكم العثماني رغم ماقاسته البلاد الخاضعة له من ويلات بسبب طبيعة الاتراك الاستبدادية ، اتاح لها دون قصد ان تحتفظ بتقاليدها وعاداتها والأهم من ذلك بثقافاتها المحلية الأهلية .. بل ربما بكثير مـن الانظمة التي كانت موجودة بالفعل قبل الفتح العثماني .

لقد اكتفى العثمانيون بالسياسـة العامة ومراقبة الادارة المحلية والامور المالية والقضائيـة ، اما الاداب والعلوم فقد كانت بنجوة من التأثر ، فهي

اهلية يقوم برعايتها رئيس العلماء والأهلون(١) .

ومما هو جدير بالإشارة ان التعليم الديني قد تتمتع بحرية مطلقة ، كان لها الفضل الأول في إعداد اعلام المفكرين من رجال الدين في عصور مختلفة كما كان إهتمام المدارس الدينية بتدريس علوم العربية من نحو وصرف ومنطق وفلسفة وبديع وبيان وعروض من الأمور التي ساعدت على حفظ اللغة العربية من الضياع (٢) .

وطبيعي ان دراسة هذه العلوم ، مضافاً اليها ما كان يدرس من علوم دينية يمكن ان يكون ذا فائدة كبيرة في فائدة كبيرة في استمرار التقاليد الأدبية والحيلولة دون ضياعها .

ولما كانت الحياة ايام العثمانيين ولا سيما في العهود الأخيرة ، حياة بسيطة خلت من أي نشاط ثقافي او علمي يذكر ، فقد كانت تلك المدارس مجال الطلبة الوحيدة في اظهار قابلياتهم الأدبية وتنميتها، لا سيما الشعر الذي اصبح كل واحد منهم يتعلم فنونه ، رغم المجال الثقافي الضيق الذي كان يدور في نطاقه (٣) .

وهكذا نجد ان سياسة العثمانيين القائمة على التدخل في الشئون الداخلية قد ساعدت بعض الشيء على الحفاظ على الثقافات الاقليمية التي كانت إمتداداً للثقافة العربية والاسلامية .

كذلك نجد انه على الرغم من الوضع المضطرب الذي صاحب الحكم العثماني طيلة عهوده ، فإن تلك العهود تخللتها بعض الفترات المنقطعة وصفت بالنسبة لغيرها بإنها فترات استقرت فيها تلك الأوضاع الشاذة ،

---

(١) راجع تأريخ الأدب في العراق ج٢ عباس العزاوي ص ٢٦٤ .

(٢) راجع تأريخ التعليم في العراق عبدالرزاق الهلالي ص ١٢٤ و ١٢٥ .

(٣) راجع تأريخ التعليم في العراق ص ١٢٥ .

فقد كانت بعض الاعتبارات السياسية تملي على بعض الحكام ان يتقربوا من الأهلين وان يحاولوا كسب رضاهم لتأييد سلطتهم وتمكينها ، من ذلك ما فعله بعض ولاة المماليك حين عمدوا الى تقريب العلماء واكرامهم وفتح المدارس ، ولعل الحاجة السياسية والأمل في الإستقلال بالبلاد بصورة اوسع هو الذي دفعهم الى الاهتمام بالشعر وبالشعراء لكسبهم الى جانبهم في امور السياسة (١) .

ويرى بعض الباحثين ان داود باشا هومن ابرز الولاة الذين ساعدوا على بذر اليقظة في العراق بما قام به من اعمال كان لها الأثر الكبير في تنشيط الحركة الفكرية (٢) .

ولعل ابرز عهد شهدته نبتة اليقظة الفكرية في قطر العراق تنمو وتبرز للوجود

---

(١) راجع تأريخ الأدب في العراق لعباس العزاوي ص٢٦٥ في حديثه عن الوزير حسن باشا وابنه الوزير احمد باشا .

(٢) راجع كتاب معروف الرصافي لرؤوف الواعظ ص ٢٨ وتطور الفكرة والإسلوب لداود سلوم ص٩و١٠ والشعر العراقي في القرن التاسع عشر للدكتور يوسف عزالدين ص ١٤ و ١٥ وعبدالكريم الدجيلي ص ١٢ – كذلك مجلة الرسالة عدد (٧٠٥) سنة ١٩٤٧ مقالة الاستاذ رزاق عيسى تحت عنوان داود باشا والنهضة الأدبية في العراق ، التي يقول ما ملخصه فيها : « ان هذا الوالي بعد ان تضلع في آداب اللغة العربية أخذ يتردد على ادبائها الكبار ويناظرهم في المسائل المبهمة ، وكذلك كان ينظم القصائد ويذكي شعلة المنافسة والمباريات بين شعراء قطره ويحث الأدباء على التأليف والتصنيف ويجزل العطاء لمن يفوق اخوانه حتى لقب بعالم الوزراء ووزير العلماء .

هو عهد الوالي العثماني مدحت باشا (١٨٦٩ — ١٨٧٢) الذي كان يلقب بأبي الأحرار والذي اقترن إسمه بكثير من الإصلاحات التي ما تزال قائمة في العراق حتى اليوم ، وأهم ما يعنينا من سياسة هذا الوالي هو انه حاول تطبيق المبادئ الغربية التي أوجدتها الثورة الفرنسية عن طريق الإصلاحات التي قام بها ، ولعل اول ما قام به عند دخوله العراق تأسيسه المدارس الحديثة ، وادخاله الطباعة لأول مرة في العراق ، ولا ينكر ما لهذين العاملين من تأثير بارز في إظهار بوادر اليقظة الفكرية ، فقد وصلت عن طريقهما الأفكار الجديدة المتعلقة بالتحرر القومي والحكم الدستوري والديمقراطية (١). وفي عهده ظهرت اول صحيفة في العراق سميت « الزوراء » كانت تصدر مرتين في الاسبوع باللغتين العربية والتركية ، وقد إستمر ظهورها حتى الإحتلال البريطاني لبغداد عام ١٩١٧ (٢) .

وبالرغم من ان محتويات تلك الصحيفة كانت تتضمن نقل البيانات الحكومية والأخبار المحلية والأنباء العالمية ونصوص القوانين العثمانية ، فانها مع ذلك ساعدت على تفتيح اذهان المواطنين على عوالم جديدة لم تكن تصل بغداد لولا صدورها . ومن اعماله ايضاً التي يمكن ان نضيفها إلى الأعمال التي ساعدت على إبراز تلك اليقظة إنشاؤه مجلس شورى مما جرأ فيه المواطنين على نقد الموظفين ودربهم على المطالبة بالإصلاح .

ولعل من العوامل الهامة التي خدمت حركة النهضة في العراق عامل

---

(١) راجع مجلة الآداب عدد ٣ سنة ١٩٦١ مقالة الدكتور عبدالوهاب القيسي عن « إصلاحات مدحت باشا الثقافية » وكتاب معروف الرصافي لرؤوف الواعظ ص ٢٩ والشعر العراقي في القرن التاسع عشر للدكتور يوسف عزالدين ص ١٦ .

(٢) راجع كتاب مدحت باشا لقدري قلعجي ، ومقالة عبدالوهاب القيسي.

الوحدة التى اوجدها الحكم العثماني بين البلدان التابعة له لاسيما البلدان العربية ، ذلك ان الحكم العثمانى رغم ما سببه للبلاد العربية من مضار لم ينته إلى إضعاف الترابط المتين بين الشعوب العربية ، فقد جمع العثمانيون العرب فى دولة واحدة ، وداخل تلك الدولة كان الشرق العربي يكون وحدة صغيرة متصلة الجوانب لا تفرق بينها الحواجز السياسية او الجمركية التى نجدها اليوم ، فالعربي كان يستطيع السفر إلى اي قطر والإقامة فيه دون ان يجد أمامه ما يعوقه عن ذلك (١) .

وقد افادت تلك الحقيقة انها خدمت الاتصال المباشر بين الأدباء والمفكرين ومن ثم ساعدت على تسرب كثير من المبادئ والافكار التى كانت قد وصلت الى تلك الاقطار العربية قبل وصولها الى القطر العراقي .

ومما زاد هذا الاتصال وعمل على تقويته ، تلك الزيارات العلمية التى كان الطلاب والعلماء في المشرق والمغرب العربيين يتبادلونها ، ومن اوضح الأمثلة على ذلك الأزهر الذي كان يضم فى نطاقه عدداً كبيراً من الأروقة العربية ومن أشهرها رواق المغاربة ورواق الشوام ، كما كانت دمشق بسبب موقعها الجغرافي مقراً لرجال العلم والأدب ، فباتصال العلماء العرب الى جانب نشاط دور العلم إستطاعوا ان يحفظوا المجتمعات العربية متماسكة في عصر سادت فيه الفوضى السياسية والتدهور الاقتصادي، كما إستطاعوا اخدمة قضية الحركة الفكرية في البلاد العربية اجمع .

كذلك ساعد هذا الاتصال على هجرة كثير من الشعراء والأدباء العراقيين الى البلاد العربية بسبب ما كانوا يعانونة من سوء الاحوال ومن تردي المجتمع ، وقد أشار كثير من الشعراء العراقيين الى تلك الهجرة في اشعارهم

---

(١) راجع الدولة العثمانية والشرق العربي . د . محمد انيس ص ٢٦١ .

نورد مثلا منها للشاعر عبدالغنى جميل التى يقول فيها (١) .

علام الاقامــة في بلدة — نعد بها مثل حمــر النعم
ويسأل عن عمره كل من — اقام بها من جميــع الامم
فهلا رحلنا الى غــيرها — لنحظى بعز وعيش أتم

وفي الحقيقــة ان تلك الهجرة افادت كثيرا في تنوير اذهان هــؤلاء الشعراء كما ساعدتهم على الإطلاع الواسع الذي كانوا يجدونه في آثار إخوانهم ادباء مصر وسوريا .

وليس ذلك فحسب بل نجد ان معظم تلك الآثار قد تسربت الى ايدي العراقيين عن طريق هؤلاء الأدباء وظهر تأثيرها جلياً في كل من الشعر والنثر ومن ابرز تلك الآثار ، آثار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبــده والكواكبي وشبــلي شميــل ثم مجلتا الهــلال والمقتطف والجــرائد الآخرى ، وآثار اليازجيين والبستانيين .

وكان ابرز من تلقف تلك الآثار رجال الدين ـ وهم يومها اصحاب الثقافة والرأي ، فأطالوا فيها النظر وقد هالهم ما وجــدوا فيها من «التحرر الذهني والديني» وقدساعدهذا على ان تتنفس في اذهانهم الدعوة الى التحرر والانطلاق التى ظهرت آثارها في الشعر والنثر (٢) .

ولسنانشك في ان للتيارات الفكرية الغربية نصيباً فى بعث اليقظة الفكرية فى العراق ، تلك التيارات التى غزت بلدان العالم وحركت فى شعوبهـا نبض الحياة ، وكان من الطبيعي ان ترن اصداؤها في مسامع الشرق وان تسلك فى

---

(١) من مجموعة عبدالغفار الأخرس ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) راجع مقالة الدكتور عبدالرزاق محي الدين عن الشعر العراقي مجلــة العرفان ج ٥ و ٦ م ٤٢ سنة ١٩٥٤ ــ ١٩٥٥ .

وكتاب الشعر العراقي الحديث د . يوسف عزالدين ص ١٩ .

تسربها الى اذهان ابنائه مسالك شتى سواء كانت تلك بالطرق المباشرة ، أو بمسالك خفية لا يدركها المؤرخون، لذا نعتقد انه من المفيد ان نحاول تتبع هذه التيارات لنرى مدى تأثيرها في الفكر العربي عامة ثم في الفكر العراقي بصفة خاصة .

لقد جرى المؤرخون على اعتبار الحملة الفرنسية على مصر سنة (١٧٩٨ — ١٨٠١) اول حلقة في سلسلة الاتصال الذي حدث بين الشرق والغرب في العصر الحديث ، وفي الحقيقة ان الاطار البالي الذي كان يحيط بمصر كان قد بدأ يتحطم منذ ذلك التأريخ ،ولم يمض وقت طويل حتى تهيأ لمصر من الأسباب ما جعلها تقوى على فتح نوافذها المغلقة لتستقبل نسيم الأفكار الحديثة التي ملأت اجواء اوربا بأكملها ، فلقد هز الفتح النابليوني جو الجمود الذي كان مخيما على سماء مصر ، واتجه المثقفون منذ ذلك التأريخ الى الارتشاف من ينابيع الثقافة الفرنسية ، وطبعي ان يرجع المؤرخون الفضل في نقل مبادئ الفكر الذي اوجدته الثورة الفرنسية الى تلك البعوث التي انفذها محمد علي ، فقد كانت تلك البعوث من اسباب الاطلاع على فرنسا الثائرة والمبادئ التحررية التي حركت شعبها الى انتفاضات جبارة (١) .

وقد تولى هؤلاء المبعوثون عند عودتهم التدريس بالمدارس المصرية كما عمدوا هم من جانبهم الى نقل الثقافة العربية عن طريق الترجمة (٢).

أما الحلقة الثانية فيعزوها المؤرخون الى تلك البعوث الدينية المسيحية التي حلت سوريا ولبنان وكان لها سبق الفضل في نقل تلك التيارات الى تلك الربوع .

---

(١) راجع الفكر العربي الحديث . رئيف خوري ص ٨٠ .

(٢) راجع الفكر العربي الحديث رئيف خوري ص ٨١ ، وكتاب البارودي للدكتور شوقي ضيف ص ٣٨ و ٣٩ .

فالشام بسبب ظروفها الخاصة من كثرة المسيحيين ووجود الاراضي المقدسة فيها اصبحت مركزاً لنشاط الارساليات التبشرية المسيحية منذ القرن القرن السابع عشر ، وكان نشاطها اول الأمر مقصوراً على الناحية الدينيــة، ولم يمض زمن طويل حتى تحول نشاط تلك الارساليات الى نشاط ثقافي تبنته البعثات الامريكية التى اخذت على عاتقها فتح المدارس وانشاء « الجامعة الامريكية فيما بعد (١) .

ولقد افادت تلك البعوث في نقل افكار الغرب عن طريق تلك المدارس التى كان التعليم فيها يجرى باللغة العربية ، مما اتاح الفرصة لابناء العــرب الإطلاع على هـــذه الافكار ومن ثم بثهـــا عن طــريق اثارهم الى بقيــة أنحا الوطن العربي .

اما الحلقة الثالثة في سلسلة اتصال الشرق بالغرب فقد كانت من تركيا نفسها عندما بدأت طـلائع المثقفين تحس بضرورة الإصلاح وتنادي به ، وكان ذلك في عهـد الساطان سليم الثالث الذي ولى الحكم عام ١٧٨٩ وهـو اول سنى الثورة، الذي استجاب للأمر الواقع وحاول وضع تبديلات واصلاحات إلا انها اقتصرت عـــلى الجيش ، أما باقي الاصلاحات فقد كان اكـثرها مظهريا (٢) ، ولكن تلك الحركة سرعان ما اصطدمت بالرجعية المتحكمة، لذا فإن حركة الاصلاح والتجديد لم تدخل طورها المثمـــر الا في اواسط القرن التاسع عشر عنـدما اهتمت بإصلاح النظم الادارية وأساليب الحكم في عهد السلطان عبدالمجيد (١٨٣٩ – ١٨٦١) واستمرت بعـد ذلك طيلـة عهدي عبدالعزيز والسلطان عبدالحميد الثاني، الا ان الملاحظ في تلك الحركة انها اقتصـرت على الاهتمام بالجيش فقط ، اما الإصلاحات الأخرى فـلم

---

(١) راجع الدولة العثمانية والشرق العربي للدكتور محمد انيس ص ٢٦٤.
(٢) راجع الفكر العربي رئيف خوري ص ٩٥ .

تلق الاهتمام الفعلي (١) ، وقد افادت حركة تنظيم الجيش في انها اصبحت وسيلة لنقل تلك المبادئ الغربية . ذلك ان الحركة استهدفت فتح مدارس تقوم على اسس حديثة في كل الولايات العثمانية ، وان جاءت فائدتها لتلك الولايات بدرجات متفاوتة ويبدو ان العراق كان اكثر تلك الدويلات استفادة من تلك المدارس العسكرية لوجود طبقة كبيرة من ابنائه فيها ، ولقد لعبت تلك المدارس دورها الفعال من نواح عديدة اهمها :

أولا - دخل تدريس العلوم العصرية باختلاف فروعها من علوم رياضية وطبيعية وتاريخية وجغرافية من المدارس العسكرية (٢) .

ثانياً - كان معظم المدرسين فى تلك المدارس من الاجانب (٣) ، وذلك لان التعليم بها قام على نظام المدارس الفرنسية ثم الالمانية (٤) ، ونتج عن ذلك ان طلابها كانوا اكثر ارتباطاً بالاتجاهات الفكرية الاوربية (٥) .

ثالثاً - اصبح التعليم في تلك المدارس العسكرية منبعاً خصباً لظهور الاتجاهات الثورية المتحررة، فأسس طلبة المدرسة الطبية فى القسطنطينية جمعية سرية سميت (الاتحاد التركى) تهدف الى عزل السلطان عبدالحميد وكانت بداية العمل فى حركة (تركية الفتاة) (٦) :

وهكذا نجد ان تلك المدارس العسكرية كانت حلقة الإتصال بين الفكر الغربي وبين الفكر فى الشرق ، فقد إستطاعت أن تبث المبادئ والافكار

---

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية ساطع الحصري ص ٧٢-٧٤ .

(٢) راجع « البلاد العربية والدولة العثمانية » - ساطع الحصري ص ٨٣ :

(٣) « « الدولة العثمانية والشرق العربي » - محمد انيس ص ٢٤٨ :

(٤) « « البلاد العربية والدولة العثمانية » - ساطع الحصري ص ٨٢ :

(٥) « « الدولة العثمانية » - محمد انيس ص ٢٤٨ .

(٦) « « الدولة العثمانية والشرق العربي » - ص ٢٤٨ ، وتركيا الفتاة لارنست رامروز ص ١٢ :

الفرنسية بين جميع الطلبة من احرار الترك والعرب الذين ذهبوا للدراسة او للبحث في القسطنطينية ، وكان بعض هؤلاء التلاميذ والباحثين من العراقيين انفسهم (١) ولعل الحركة الدستورية العثمانيــة من مدحت باشا الى شباب تركيا الفتاة ، بل الى الانقلاب الكمالي تأثرت جميعها بالثـورة الفرنسية ومبادئ مفكريها تأثيراً واضحاً ، ولقد عرف الشرق العثماني والعـربي ايام عبدالحميد قافلة كبيرة من احرار الفكر استلهموا فرنسا الثائرة واعلام ادبائها الثائرين ، وهاجروا الى الارض الفرنسية ، ونقلوا آثاراً فرنسية (٢) من نتاج العقول الحرة ، وكانت هجرتهم وما نقلوه من السبل البارزة التي سلكتهـا الثورة الى الشرق (٣) .

وقـد قامت حركة « تركيا الفتـاة » بدور بارز فى نشـر الافكار المتحررة ، واعتنقها المثقفون الاحرار من الـترك مما يدل دلالـة قوية على بداية احساس الطبقـة المثقفـة بقوتها الذاتيـة وحاجتهـا الى التعبير عن نفسها (٤) ، ومـع الانتشار السريع للأفكار الغربية اخـذت تلك الطبقـة تتحرك (٥) ، وككل حركه وطنية عبرت عن نفسها بالادب اول الامر ، والادب التركي – فى حد ذاته – لم يكن أدباً اصيلا رائعاً ، انما هو تقليـد للادبين الفارسي والعربي ، لذا فقد جعلته تلك الحركة يصدف عن المؤثرات

---

(١) راجع « تطور الفكرة والاسلوب » - داود سلوم ص ١٦ :

(٢) ولعل ابرزها كتاب « شرائط الاجتماع » لروسو . نقله الى التركية الاديب التركي الكبير محمد نامق كمال ، فاطلع عليه كثـير من الادباء العرب يجيدون الـتركية .

(٣) راجع « الفكر العربي الحديث » – رئيف خوري ص ٩٦ .

(٤) راجع « الدولة العثمانية والشرق العربي » – محمد انيس ص ٢٤٥ .

(٥) راجع « تركيا الفتاة » – ص ٣٩ .

التي جعلته رهين ذلك التقليد والتفتت ترحب بالمؤثرات التي كانت ستجعله -ولو لزمن قليل- تقليداً جامداً للادب الفرنسي، ومن هنا اتصل رجال الادب التركي بثقافة جديدة مختلفة تماماً اثارت خيالاتهم وامدت افكارهم بكثير من الغذاء (١) ، ثم اخـذوا يقلدون النماذج الاوربية عامة بعـد ان كانوا يقلدون الفرنسية بالذات ، فكانت الحركة الرومانتيكية في الادب التركي ومع ان اهمية تلك الحركة تأتي من انها كانت انعكاسا للفكر الغربي ، فإنها ساعدت في الوقت نفسه على تقوية الاتصال بالحياة الثقافية الغربية . فظهرت في كتابات الاتراك تعبيرات جديدة « كالحرية الفردية » و « الدستور » و « الحياة النيابية » و « الوطن » وغير ذلك (٢) .

وقد كان لكتابات « نامق كمال » احد اقطاب تلك الحركة المتحررين اثر بارز في الطبقة التركية المثقفة عامة (٣) ، ومن ثم في الشعراء العـرب والعراقيين بصفة خاصة .. فالزهاوي مثلا كان احد المعجبين بكتابات هذا الاديب وبشعره بالذات (٣) .

وقد استمر نشاط حركة تركيا الفتاة محصوراً في الكتابة والنشـر ، وظهرت في تلك الاثناء مسرحية « الوطن » لنامق كمال ، فأحدثت ضجـة كبيرة في اوساط المتعلمين ولا سيما طلبة المدارس العسكرية . . مما حـدا بالسلاطين الاتراك الى منعهـا ، الا ان كتابات تلك الحركـة والصحف التي نشرت فيها بقيت تتسرب الى تركيا برغم الرقابة الشديدة (٥) .

---

(١) راجع « تركيا الفتاة » — ص ٣٩ و ٤٠ .

(٢) الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٤٥ وتركيا الفتاة ص ٤٠ .

(٣) الدولة العثمانية والشرق العربي — محمد انيس ص ٢٤٦ .

(٤) محاضرات عن جميل الزهاوي — ناصر الحاني — ٦ .

(٥) الدولة العثمانية والشرق العربي — محمد انيس ص ١٤٦ .

وقد ابدى العقل العراقي في هذه الفترة تحولات بالنسبة لتلك الافكار ولعل في شعر الرصافي الذي عاش في القسطنطينية ، وشارك في الحركة الجديدة وكرس قسما من شعره لتلك الافكار الحديثة صورة لها ، فنشهد مثلا تعبيرات عن حكومة « الشعب » (١) و « الوطن » (٢) ، وحاجة الامة الى (برلمان) يجعل من الحاكم « الملك » سوية بالشعب « الرعية » (٣) ، وقد جاءت هذه التعبيرات فى اشعاره التي نظمها في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي واوائل القرن العشرين ، كما سنبين عند الحديث عن شعر الرصافي .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان ظهور حركة تركيا الفتاة كحركة ادبية أفادت بما نقلته من الافكار الادبية، كما انها من الناحية التاريخية أتاحت الفرصة لتحرك القوميات على شكل حركات سياسية هادئة (٤) . كما انها اثرت بشكل مباشر وغير مباشر في مجرى واتجاهات الحركة القومية في بقية انحاء الشرق الادنى (٥) .

وكنا قد اشرنا الى ان بعض الباحثين يربطون بين حركة النهضة واعلان دستور ١٩٠٨ م . ومما لاشك فيه ان التغيرات الاجتماعية التي ادت الى اعلان هذا الدستور من بين العوامل التي آذنت بقيام حركة النهضة التي تحددت سماتها في مطلع القرن العشرين ، فمع بزوغ شمس هذا القرن شرعت جماهير الشعب العراقي ومثقفيه تحس بضرورة المطالبة باعادة الدستور التي طوته يد

---

(١) ديوان الرصافي ص ١١٨

(٢) » » ص ٣٧٤

(٣) » » ص ٣٧٢

(٤) الدولة العثمانية والشرق العربي - محمد انيس ص ٢٤٣

(٥) » » » » » » ص ٢٤٥

السلطان عبدالحميد منذ سنة ١٨٧٦ م . وكان احرار الاتراك يدركون حرج الموقف واحتمالات الانفجار المتوقع الذي يهدد كيان الامبراطوريـة اذا استمرت على سياستها التعسفية ، وابقت على الفساد الذي استشرى في اجهزة الحكم، خاصة بعد ان انطلقت الاصوات الحره تروي قصة الوضع المضطرب بكل جرأة رغم الكبت ورغم الاضطراب وتدعو الجماهير التي اتعبتها حياة الذل والعبودية الى النهوض والمطالبة بحقها فى الحياة الحرة الكريمة .

فالشاعر التركي الأصل ولي‌الدين يكن يضع امام الناس صورة لما آلت اليه امورهم ، ويناديهم الى الالتفات والتنبه ، فيقول (١) :

يبـكي بنوك ويضحك الزمن
ماذا اصابك ايهـا الوطن
ما اوشـكت ان تنتهي محن
إلا وجاءت بعدهـا محـن
أمـا الرسـوم فانها درست
أمـا الرجال فأنهم دفنـوا
العصر راجت سـوق باطله
فالحق فيـه ما له ثمـن
ياقوم هبوا مـن مضاجعكم
طال المدى حتام ذا الوسن

أما العراق فقد كانت الثورة التي تتأجج فى صدور أبنائه أعنف وأقوى ولعل في قصائد الزهاوي التي نظمها في تلك الفترة خير ما يعبر عما كان يحتدم في صدور الاحرار من غضب وكره للسـلطة الحاكمة . يقول الزهاوي فى

---

(١) ديوان ولي‌الدين يكن ص ٢٩١

قصيدة بعنوان « ختام نغفل » (١) وهي القصيدة التي رمى فيها السلطان عبدالحميد بالغي والاستبداد وتوعده فيها بالثورة :

لقد عبث بالشعب اطاع حائف
يحملهم من جوره ما يحمل
فيا ويح قوم فوضوا أمر نفسهم
الى ملك عن فعله ليس يسأل
الى اختيار في الحكومة مطلق
اذ شاء لم يفعل وان شاء يفعل
وذي سلطة لا يرتضي رأي ناصح
اذا قال قولا فهو لا يتبدل
ايأمر ظل الله في ارضه بما
نهى الله عنه والرسول المبجل
فيفقر ذا مال ويفي مبرأ
ويسجن مظلوماً ويسبي ويقتل
تمهل قليلا لا تغظ امة اذا
تحرك فيها الغيظ لا تتمهل
وايديك ان طالت فلا تغتر بها
فان يد الأيام منهن اطول

لكن الأحاسيس الثائرة التي اذكتها شعلة الأفكار الحديثة فخلقت منها نفوساً تؤمن بالحياة وبالانسانية والكرامة ، سرعان ما ارتطمت بتيار

---

(١) الكلم المنظوم ص ٨
والزهاوي للدكتور ماهر حسن فهمي ــ ص ٩٣ ، ٩٤

الرجعية وحكومة الأتراك المستبدة ، ذلك التيار الذي كان يسير في اتجاه معاكس لهذا التطور .

وما ان حل عام ١٩٠٨ م ، حتى استطاع اعضاء « جمعية الاتحاد والترقي » إجبار السلطان عبدالحميد على اعلان الدستور الذي طوته يداه قبل هذا بثلاثة وثلاثين عاماً (١) .

ونحن نتفق مع الذين يرون (٢) إن إعلان دستور عام ١٩٠٨ كان بداية عهد جديد في الفكر العربي عامة والعراق خاصة ، فقد كان لإعلانه وللظروف التي رافقته اثر كبير في الإتجاهات الفكرية ، وتفتيح الاذهان على مثل وقيم جديدة لم تكن مألوفة لاهل العراق في القرن التاسع عشر وما نشئوا عليه من إستبداد مطلق وتحكم في الرقاب .

إلا ان الحرية التي لاحت تباشيرها في الافق استخفت الناس وجردتهم — إلا فئة قليلة — من القدرة على التفكير الصافي ، فسرت في نفوس العثمانيين عموماً وأبناء الأمة العربية خصوصاً نشوة الحبور ، فعقدوا الحفلات في الوطن وفي المهاجر ، وإنبرى الخطباء والشعراء يشيدون بحسنات الانقلاب وأعمال القائمين به ، والحقيقة انه ما من حدث حرك الأقلام العربية كهذا الحدث العظيم (٣) .

---

(١) المقتطف م ٩٢ سنة ١٩٣٢ ج ٤ ، عن مقالة للاستاذ انيس المقدسى تحت عنوان « العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث » .
انظر ص ٢٧١ وما بعدها .

(٢) من هؤلاء د . يوسف عزالدين في الشعر العراقي الحديث ص ٣٢ .
وجورج انطونيوس . في كتاب يقظة العرب ص ١٧٦ و ١٧٧ .

(٣) أنيس المقدسي في الإتجاهات الادبية في الشعر الحديث ـ ص ٤٤ و ٤٥

وقد رسم لنا شعراء العراق ، أمثال الزهاوي والرصافي والدجيلي والكاظمي والشبيبي والهنداوي والعبيدي وغيرهم ممن شهدوا الانقلاب الدستوري وعاشوا أحداثه صوراً معبرة عن عواطف الامة (١) .

وشعرهم يكاد يكون المؤرخ الحقيقي الذي صاغ تلك الاحداث(٢).

سقتنا المعالي من سلافتها صرفاً
وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا
فاهلا بما زفت وشكراً لمن زفا
فاصبح هذا الشعب للسيف شاكراً
وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا
ورحنا نشاوي العز يهتف بعضنا
ببعض هتافاً يصفع الظلم والحيفا
ولاحت لنا حرية العيش عندما
اماطت لنا الاحرار عن وجهها السجفا

اما الزهاوي فيضع لنا الصورة الحقيقية لابناء العراق وهم يستقبلون نبأ إعادة الدستور فيقول (٣) :

وقفت والعين تبكي من مسرتها
امام شعب من الافراح عجاج
امام بحر من الافكار مضطرب
امام جيش من الاصوات رجراج
ان الشعوب اذا هاجت عواطفها
كالبحر يضرب أمواجاً بأمواج

(١) المرجع السابق ص ٤٥ .
(٢) ديوان الرصافي ص ٩ .
(٣) ديوان الزهاوي .

والشعر العراقي الذي قيل في هذا الحدث كثير . ولعل المطلع على الصحف والمجلات التى صدرت فى تلك الفترة يجدها حافلة بالنتاج الادبي الذي عبر عن الآمال والأفراح التي قوبل بها إعلان الدستور .

تلك الفورة الأدبية التي اطلق عقالها إعلان الدستور ، وتلك الحلل القشيبة التي برز بها الشعر ، والتي سداها الامل ولحمتها الاستبشار هي التي أوحت لبعض الكتاب أن يحددوا هذا الحدث بداية للانطلاق الفكري ، بل دعاها بعضهم بفترة « التطور » و « التجدد » فى ادب العراق نظماً ونثراً (١) .

والحقيقة التي تبرز بوضوح من خلال دراسة الاحداث التي رافقت تلك الحركة أن الدستور خدم القضية الفكرية واتاح لها الظهور بشكل أوضح ولم يحدد بدايتها . ذلك ان العقول كانت قد تنبهت قبل هذا التاريخ بفضل الأحداث الكثيرة التى مر ذكرها وبفضل الاتصال البرقي ، وقيام النهضة الحديثة فى مصر ، وحفر قناة السويس وطبع الكتب والمجلات . ولكن إعادة الدستور أتاحت الفرصة بفتح أبواب الحرية بعد أن غابت عن سماء العالم العربي ، وخاصة العراق طيلة العهود السابقة ، فلا عجب أن نرى الشعراء والكتاب – وهم أكثر الناس احساساً بها – يعبرون عن خوالجهم فى هذا الجو الحر ويسطرون احاسيسهم أدباً حياً .

ويحق لنا أن نسمي تلك الفورة الأدبية بثوره في الفكر ، بل « ثورة ادبية حقيقية » .

والثورة الحقيقية كما يعبر عنها أمين الريحاني « هي التي يزرع الزمن

---

(١) محمد رضا الشبيبي – مجلة الهلال – المجلد الذهبي سنة ١٩٤٢ فى مقال تحت عنوان « الأدب في العراق في خمسين سنة » .

بذورهــا في قلوب الناس وفي عقولهم » (١) ، فاذا قام مفكر أو مفكرون تضم أفكارهم بذور ثورة فان ذلك لا يكفي اذ لا بد من الزمان الذي يزرع البذور ، ولا بــد من « التربــة » التي هي العقول والقلوب ، قــلوب الناس وعقولهم (٢) .

وقد صاحب إعلان الدستور في العراق وجود هيئة اصلاحية في بغداد برئاسة ناظم باشا أعلنت عن فتح (٢٤ مدرسة للذكور) و (٣ للاناث) وذلك يوم (١٤ تموز ١٩٠٨) فكان عملها هذا بالنسبة لتاريخ التعليم في العراق حدثاً خالداً وأعتبر من الأعمال المجيدة التي وضعت حداً فاصلا بين عهدين ، عهد الجهل والتظاهر بخدمة الثقافة ، وعهد الرغبة الصادقة في نشر العلم والمعرفة (٣) .

ومنذ ذلك الوقت صرف لمسؤولون جهودهم لتأســيس المدارس ونشرها في المدن والحواضر المختلفــة ، هــذ الى جانب الأهلين وبعض الجاليات التي اخــذت على عاتقها تأسيس المدارس على نفس النهج الذي اتخذته السلطات غير ان الحرب العالمية الأولى سرعان ما اعلنت فاضطرب أمر التعليم ، وانتهى الأمر بأنتهاء آخر صفحة من صفحات الحكم العثماني في العراق سنة ١٩١٧ م (٤) .

والذين يتحدثون عن النهضة الفكرية في العراق يربطون اســبابها بظهور الاحساس القومي العربي ، ويوم ان خرج الادباء العراقيون مــن

---

(١) الفكر العربي الحديث رئيف خوري ص ١٢١

(٢) نفس المصدر ص ١٢٢

(٣) تاريخ التعليم في العراق ص ٥١

(٤) نفس المصدر ص ٥١

صوامعهم يتحدثون للجمهور عن المطامع السياسية والقومية (١) . وقد كان العراق - كجزء من الوطن العربي - متأثراً بما حدث في بقية بلدان الوطن الكبير من يقضة وشعور بالقومية العربيـة ، ويرى بعض الباحثين (٢) ان حركة البعث القومي العربي الحديثة ترجع الى اواخر القرن الثـامن عشر عندما اتت الحملة الفرنسية الى مصر (١٧٩٨ م) ، لتضع امام شعب مصر نموذجاً من الحياة العلمية والفكرية فى الغرب المتقدم ، ولتقف امام جبروت السـلطة التركيـة واطماع الامبراطورية البريطانية فى الشرق . وقد شـجع انفصال محمدعلي فى مصر عن الخلافـة العثمانية الدعوات الانفصالية في بقية الولايات التركيـة ، كما احتدم الصراع الفكري حول الخلافة العثمانية لانها كانت - في عرف بعض المفكرين - باطلة لافتقادهـا عنصر العروبة ، كما عدها بعض الكتاب مغتصبة للخلافة من آخر خلفاء بني العباس(٣) ، أو من يمثلهم شرعاً . وعلى هـذا الاسـاس نبتت الفكرة في اسـتعادة العرب لسلطانهم (٤) . وظهرت بعض الحركات القومية المنظمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (٥) . وكان الشام اسرع البلاد العربية تأثراً بالفكرة

---

(١) د زكي مبارك - ملامح المجتمع العراقي ص ٢٧
(٢) د . محمد زغلول سلام - القومية العربية في الادب الحديث . ص ٦٨
(٣) مصطفى الشهابي - القومية العربية - تاريخهـا وقواميها ومراميها . ص ٦٨
(٤) محمد زغلول سلام - القومية العربيـة فى الادب الحديث . ص ٧٠
(٥) محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية - ج ٢ - ص ٨٨

القومية الجديدة، ذلك ان الشام كانت اكثر الاجزاء العثمانية تأثراً بالاتجاهات الفكرية الغربية (١).

وقد اعتبرت ثورة الإمام يحيى امام اليمن، والسيد الادريسي في العسير واندحار حليف تركيا الأمير رشيد أمير شمر على يد ابن سعود في السنة نفسها كلها حركات تدل على رغبة العرب في الاستقلال (٢).

وقد حمل الرصافي وفهمي المدرس والزهاوي لواء الدفاع عن الحريات الدستورية والعروبة، وقد كانت جريدة «بغداد» على رأس الجرائد المدافعة عن القيم العربية والدستورية الأصيلة، ويصفها الاستاذ روفائيل بطي «بانها اول جريدة اهلية او شعبية عرفتها عاصمتنا» (٣). انشأها حزب «الاتحاد والترقي» العثماني وعهد برئاسة القسم العرب بها الى الشاعر معروف الرصافي، لكنه لم يلبث ان تركها بعد ضعف الحزب الحاكم وتضاءل صدورها (٤).

ثم كثرت الصحف المنادية بالمبادىء الدستورية واتاحة الحريات خاصة في سنتي ١٩١٠ و١٩١١، وكان العراقيون يجدون في تلك الصحف متنفساً لشعورهم المعادي للاتراك (٥).

---

(١) الاتجاهات الوطنية ـ د محمد محمد حسين ـ جـ٢ ص ٨٨
وانظر كتاب الامير مصطفى الشهابي عن القومية العربية. ص ٤٥

(٢) العراق دراسة في تطوره السياسي ـ فيليب ويلارد ـ ص١٦٩.

(٣) الصحافة في العراق – روفائيل بطي ص ٢٢.

(٤) الصحافة في العراق – روفائيل بطي ص ٢٢، ٢٣.

(٥) الصحافة في العراق ص ٢٣.

والملاحظ ان الحركة القومية التي شقت طريقها والصحة قوية في سوريا وبلاد الجزيرة العربية ظلت متخلفة بطيئة الخطى في بلاد الرافدين حيث بقي العراق وهو منقطع بحكم موقعه الجغرافي وفقدان وسائل المواصلات التي تربطه مع الغرب حذراً تقل فيه الحركة ، وبقيت الطاقة الكامنة اشبه بثروة غنية يواريها التراب بسبب قلة وسائل الثقافة وما يثير فيه الأفكار الجديدة والتفكير السياسي السائد فى البلاد الممتدة على ساحل البحر الابيض المتوسط . ولعل العقيدة الدينية لعبت دورها في تأخير تلك الحركة، فالمجتمع العراقي الذي يتكون من السنة والشيعة الى جانب بقية العناصر غير المسلمة يكون خليطاً متضارباً من الآراء والمعتقدات . ولم تجد الحركة القومية امتدادها الطبيعي والقوي الا فى طبقة المثقفين من المعلمين والاطباء والحقوقيين والموظفين المدنيين والضباط الذين تلقوا تعليمهم فى مدارس استانبول وتأثروا بالأفكار السياسية الغربية . فقد كونت تلك الطبقة العمود الفقري للحركة الوطنية ومن ثم كانوا الخميرة القومية الأولى في العراق قبل الحرب (١) .

وقد كان لمجلس المبعوثان الذي شكل في استانبول على اثر حركة اعادة الدستور أثر فعال في ايقاظ الفكرة القومية في النفوس ، ولعله كان المجال الأوسع الذي استطاع العراقيون بواسطته التعبير عن مشاعرهم علناً ، وكان لقاء اعضاء المجلس ذا اثر فعال على الصعيدين السياسي والادبي ، فمن الجانب السياسي كان لقاء العراقيين باخوانهم المتطرفين قومياً عاملا على تقوية العقيدة السياسية في نفوسهم ومن ثم دفعهم الى الاشتراك في تأسيس الحزب الحر المعتدل الذي اسمه حزب « الائتلاف » وقد انتشر بعد ذلك

---

(١) العراق تطوره السياسي ص ١٧٣ و ١٧٤ .

تأسيس الاحزاب في جميع انحاء الامبراطورية، اما في العـراق فتأسس فرع برئاسة السيد طالب باشا في البصرة (١).

اما في المجال الادبي فلا شك ان الثورة التي انطلقت على السنة الاعضاء الادباء واقلامهم كانت قد اخرجت الادب الى اجواء جديدة دفعت بالادباء الى الخروج من صوامعهم ليحدثوا الجماهير عن المطامح والاهـداف السياسية والقومية. وكانت النتيجة ان جاءت بادب جديد هو الادب السياسي الذي لا يقف عند شرح العواطف الذاتية، وانما يتسامى الى ما يعني المجتمع من أزمات قومية كما يصنع الادب الاجتماعي (٢).

وفي سنتي ١٩١٠ و ١٩١١ كان الشعور القومي في العراق يتبلور عن طريق الصحافة التي انتشرت في هاتين السنتين. حتى استطاعت الحركة ان تثبت اقدامها ما بين ١٩١٢ و١٩١٣ (٣) حيث تفتحت روح النقد والمقارنة، واخـذ العرب يشعـرون بما يضمـره الاتحاديون خاصـة بعـد ان هـاجمت جريده « اقـدام » العرب صراحـة مما جعلهم يثورون ويتظاهرون. وفي تلك الاثناء قـامت دولـة مستقلة في الحجـاز واخرى في سوريا تتمـيزان بطابع عربي مستقل شارك فيها جماعـة من العراقيين مما ايقظ الرغبـة في المساواة بالدولتين الحجازية والسورية (٤).

وهكذا نجد ان حركة البعث القومي وما صاحبها من احداث كانت احدى العوامل التي اسهمت في تنقيح الاذهان وتحريكها الى نهضـة فكرية

---

(١) المصـدر السابق ص ١٧٥.

(٢) ملامح المجتمع العراقي ص ٢٨.

(١) العراق وتطوره السياسي ص ١٧٦.

(٦) الشعر العراقي الحديث ص ١٤.

وادبية وسياسية ؟

فالامل الذي زرعتـه تلك الحركـة في النفوس في بعث العـرب من جديد وضمهم في كيان مستقل حطم الجدار المتداعي الذي اقامه الترك بين العرب وتقدمهم ، كما مزق الستار البالي الذي نصبته ايدي الرجعية تحت شعار الدين لتبقى امة العرب جاهلة غبية سهلة القياد . والذي يطلع على النفثات الشعرية التي عبرت عن الخوالج والآمـال التى انبتتها تلك الحركة في النفوس يدرك مدى القلق الفكري والسياسي الذي عاشته النفسية العربيه خلال العهد الدستوري اي ما بين (١٩٠٨ و ١٩١٤) ، ويكفي ان نقول انهـا كانت السبب المباشر في الانتفاضات والثورات التي حدثت مـا بين عام ٩١٤ — ١٩٦٠ (١) .

---

(٣) انظـر ذلك مفصـلا في كتـاب « العـراق ــ دراسة في تطـوره السياسي » من ص ١٨٣ — ١٤ .

الفصل الثالث

الشعراء العراقيون ومفهوم التجديد

أ ـ موقفهم من التقليد

ب ـ عنايتهم بالفكرة والمضمون

جـ ـ رأيهم في وسائل الاداء الشعري ،
اللغة ، الاوزان ، القوافي

الشعراء العراقيون

ومفهوم الشعر الجديد

تمر الامم في تاريخ حياتها الطويل بفترات ركود حضاري وفكري كما تمر بفترات ازدهار ، ومن ابرز ما تمتاز به فترات الازدهار تلك ، انها تقترن عادة بموجات من الصراع، الذي يقوم بين العناصر الجديدة تأتي تأتي بها الحياة الجديدة ، وبين العناصر القديمة التي تحرص روح المجتمعات المحافظة ، على الابقاء عليها خوفاً من كل طارئ جديد .

ولعل الذي يهمنا من انواع هذا الصراع . . ذلك الذي يقوم بين طبقات الكتاب والشعراء والذي ينعكس عادة فيما يقع بينهم من جدل ونقاش يتمخض عنه دائما فترة انتعاش قوي للقديم وبعث له ، ليكون بعد ذلك بيئة طبيعية تحرك الحياة في النواة الاصلية لترتوي من التيارات الوافدة وتغتذى عليها :

وفي العراق كما في غيره من المجتمعات نجد أمثال تلك المعارك الفكرية خاصة في تلك المرحلة التي يطلق عليها مرحلة النهضة الحديثة . فمع تباشير النهضة كان من الطبيعي ان تظهر طبقة من الادباء الذين تشربت نفوسهم بروح العصر الجديد ، التفتوا الى الأدب فوجدوه ما يزال متأخراً هزيلا يقبع في قيود التقليد الضعيف يرزح تحت اثقال الظلم التي

ورثها من عهود الانحطاط ، ومع اليقظة الفكرية يظهر احساس بتفاهة هذه القيود المتبعة ونفور من التقاليد الموروثة . ويتحول الاحساس الى ثورة تندد بالقديم وتدعوا للتخلص من قيوده ، ولعل اول من حمل لواء تلك الثورة من الشعراء العراقين . جميل صدقي الزهاوي وزميله معروف الرصافي اللذان يعدان بحق اول من بعث الشعر العراقي من رقدته ، بل ابرز رائدين من رواد نهضة العراق الادبية الحديثة . وتتجلى ثورتهما هذه فيما طرحاه من آراء ومفاهيم حول الشعر عبرا عنها بالنثر حيناً وبالنظم حيناً آخر . وفي الحقيقة انه لم يتحدث شاعر عربي عن الشعر ومذهبه فيه وعن الشعراء ورأيه فيهم بالافاضة التي تحدث فيها الزهاوي والرصافي .

فقد افرد الزهاوي باباً خاصاً في الرباعيات سماه ـ الشعر والشعراء ـ ثم عاد وافرد له ثانية قسما في ديوانه بالإسم نفسه . كما خص هذا الموضوع بقصائد كثيرة في دواوينه الاخرى . هذا عدا ما جاء من حديثه نثراً نشر قسما منه في مقدمته للجزء الثاني من كتاب شعراء العصر المطبوع عام ١٩١٢ (١) وضعه تحت عنوان ـ كلمة في الشعر ـ كما نشر قسما آخر في مقدمة ديوانه المطبوع عام ١٩٢٤ تحت اسم ـ نزعتي في الشعر ـ ولعل اهم ما قاله في هذا المجال محاضرة طويلة جاوزت الستين صفحة القاها في المعهد العلمي العراقي سنة ١٩٢٢ ، نشرت بعد ذلك في كتاب سحر الشعر لروفائيل بطي المطبوع سنة ١٩٢٣ (١) :

اما الرصافي فقد جاءت آراؤه التي نظمها شعراً مبثوثة في قصائده

---

(١) شعراء العصر ـ الجزء الثاني تأليف ص ٣ ـ ١٥ محمد صبري .

(٢) نفس المصدر من ص ١٧ ـ ٨٣

الكثيرة التي احتواها ديوانه وما جاء نثراً فقد نشره في كتابه « دروس في تاريخ آداب اللغة العربية » :

وسنحاول في هذا الفصل التعرض لأهم الآراء الاساسية التي آمن بها الشاعران والتي نعتقد في ان لها الأثر الكبير في توجيه النتاج الشعري الذي كان حصيلة تلك الفترة .

لعل اول قضية تعرض لها الشاعران بالنقد هي قضية التقليد فقد اعاب الشاعران على الشعراء وقوفهم على تقليدنصوص الأقدمين من الشعراء اسلوباً ومضموناً . وعدم محاولتهم التجاوب بنتاجهم مع روح العصر الجديد .

يقول الزهاوي : « وأنزع أن أمشي بشعري في سبيل الحياة الطبيعية متجنباً المبالغات وكل ما ليس حقيقياً ، وما أخلق الشاعر بأن يخرق التقاليد التي ورثها الابناء من الاباء فيقول ما يشعر به هو لا ما يشعر به اباؤه . فكلما رجعت الى نفسي احيد به عن الطريق الذي يمشي عليه غيري معتقداً ان الطبيعة أولى بالتقليد :

وما زلت في جو من الفكر طائراً
ومن عادتي ان لا اطر مع السرب (١)

وقد ركز الرصافي تلك الفكرة شعراً بقوله :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر (٢)

وفي قوله :

---

(١) ديوان الزهاوي من كلمته « نزعتي في الشعر » ص ٢

(٢) ديوان الرصافي ص ٦٤

لايحسن الشعر الا وهو مبتكر
وأي حسن لشعر غير مبتكر (١)

ولم يأخذ الزهاوي على الشعراء تقليدهم للشعراء العرب السابقين، بل أنكر أيضاً على الشعراء الذين يحاولون تقليد شعراء الغرب . . وقد عبر عن ذلك في مناسبات عديدة، منها قوله :

« أما التقليد فهو ذميم سواء كان تقليداً لشعراء العرب الأقدمين أو لشعراء الغرب المحدثين، فأن لكل أمة شعوراً لا يتفق في الغالب وشعور أمة أخرى قد فرقت بينهما سنة الوراثة في أجيال بعد أجيال كما ان الموسيقى عندهما لا تتفق » (٢) .

وفي محاضرته التي القاها في المعهد العلمي ببغداد عام ١٩٢٢ يقول ايضاً : « عبثاً يحاول البعض جعل الشعر العربي على نمط الشعر الافرنجي، فان لكل قوم إحساساً خاصاً بهم واسلوباً، وان لكل حجر من أحجار الوطن وكل أثر من أثاره دخلا في توليد هذا الاحساس، وهذا الذي يأتون به من الشعر المتفرنج لا يعيش في أرض تلائم نبته وستجده بعد قليل قد يبس ويبقي الشعر العربي وحده عليها. ان للشعر في كل امة مميزات ومشخصات اذا نقل الى غير لغته فقدها . الم تران الشعر العربي اذا ترجمته الى الافرنجية كيف يضيع ما له من الرونق والرواء وان الشعر الافرنجي إذا ما نقلته إلى العربية كيف يكون غثاً بارداً » .

---

(١) ديوان الرصافي ص ٦٤

(٢) لغة العرب جـ ٢ سنه ٦ — ص ١١٧ عن مقالته في الشعر.

من هذا الرفض القاطع لمبدأ التقليد عامة نتبين ان الشاعرين يعرضان لقضية هامة تتركز في ان مهمة الشاعر الأصيل ان يكون خالقاً مبتكراً، سواء في افكاره أو في صوره.

وجميل من شاعرين ولدا في أحضان القديم وتثقفا بثقافة محلية محدودة ان يؤمنا بهذا المبدأ .. على الرغم من انهما لم يستطيعا الالتزام به كلياً او ان يخلصا له كل الاخلاص.

فالزهاوي على رفضه للقديم وانكاره لمبدأ التقليد نجد شعره قد جمع بين التجديد والتقليد على صعيد واحد..

فهو في ديوانه الكلم المنظوم يحاكي الكثير من القدماء في اسلوبهم ويعارضهم بل ويقلدهم... والأدلة على ذلك كثيرة لا تعوز الباحث المتقصي لشعره نذكر منها على سبيل المثال قصيدته «عيد ومأتم» (١) التي نجد فيها تأثراً واضحاً باسلوب ابي تمام في قصيدته الشهيرة:

السيف أصدق أنباءً من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

يقول الزهاوي:

ان العدالة ويك اليوم في الطلب
يا ظلم فاستخف او فالجأ الى الهرب

---

(١) ديوان الزهاوي ص ١٥٨ ـ طبعة ١٩٢٤.
والابيات المذكورة في طبعة الدكتور محمد يوسف نجم ص ١٦١ و١٦٢:

بدأ وكل قوى الآمال تتبعه
كانه قائد في عسكر لجب
يا عدل سيفك محمود صرامته
«في حده الحد بين الجد واللعب» (١)

وفي مطلع قصيدته « ساكت أنت » (٢) الذي يقول فيها :

ساكت انت والاعادي تقول
ومضر بك السكوت طويل

يردد بيت الشريف الرضي :

راحل انت والاعادي تقول
ومضر بك السكوت طويل

وفي بيته :

لا تهلكي يا بنت اني واثق
ببراعتي وعواقب الايام (٣)

ترديد لقول بعض بني اسد :

لا تهلكي جزعاً فانني واثق
بسيوفنا وعواقب الايام

وفي قصيدته « لو يعلم القبر » (٤) التي مطلعها :

---

(١) ديوانه ص ٢٧٦ طبعه ١٩٢٤ .
(٢)
(٣) ديوانه ص ٢٧٦ الطبعة نفسها .
(٤) ديوانه ص ١٦٦ .

تضمن منك القــبر لو يعلم القــبر

جليلا فبكاه الناس والعــلم والشعر

جمــع فيها آثاراً رائية ابي فراس الحمــداني « أراك عصي الدمع شيمتك الصبر » الى جانب آثار رائية ابي صخر الهذلي «عجبت لسعي الدهر بيني وبينها » مــع رائية ابي تمام :

« الا فليجل الخطب وليفدح الامر » .

ولم يفعل الزهــاوي هذا في ديوانه الاول فقط بل فعلــه في دواوينه الأخرى التي تلت هذا الديوان ، ففي الاوشال نجد له قصيدة « ياعيد »(١) التي يقول فيها :

قد عدت بعد ذهاب منك يا عيد

إذ كل شئ يســر النفس مفقود

أأنت عيــد به الافــراح شاملة

أم مــأتم فيــه للاحزان تجــديد

يقلد فيها دالية المتنبي المعروفة :

عيــد بأية حـــال عدت يا عيد

بما مضى ام لامر فيك تجـديد

وقــد قلدها الزهاوي اسلوباً وموضوعاً كما حرص على معــارضتها والاتكاء عليها حتى نقل كثيراً من سبكها والفاظها ، بل ان الزهـــاوي لم يستطع ان يتخلص من هذا التقليــد حتى في اواخر ايامه عنــدما كتب قصيدة « كلمات » (٢) التي نظمها قبل موته بشهور قليلة قلد فيها لاميــة

---

(١) الاوشال ص ٢٤٩ .

(٢) راجع القصيدة في ديوانه الثمالة ص ٣٨ .

السمؤل اسلوباً وصياغة :

اما نصيب الرصافي من التقليد فلم يكن بأقل من نصيب زميله الزهاوي ، ففي منهجه كثير من المحافظة على القديم وتقليده وتظهر محافظته في عرضه للصور القديمة ، كالوقوف على الاطلال وبكاء الديار والانصراف الى الهموم مستعيناً عليها بالشعر . كما تظهر في الالفاظ العربية التي كان يستعيرها من البيئة القديمة كي تتناسب وطبيعة العصور والاغراض .

ومن امثلة ذلك : ما فعله في قصيدته « السجن في بغداد » (١) التي يقول فيها :

سكنا ولم يسكن حراك التبدد
مواطن فيها اليوم ايمن من غد
عفا رسم مغنى العز منها كما عفت
« لخولة اطلال ببرقة تمهد »
بلاد اناخ الذل فيها بكلكل
على كل مفتول السبالين (٢) اصيد
معاهد عنها ظل سابق عهدها
فهل من بعد الضلالة مهتد

ومنها :

بها كل مخطوم الخشام مذلل
متى قيد مجروراً على الضيم ينقد (٣)

---

(١) الديوان ص ٤٢ .

(٢) السبالين تثنية سبال ، والسبال جمع سبلة وهي شعر الشاربين .

(٣) الخشام : الانف العظيم .

ومنها ايضاً :

ألا رب حر شاهد الحكم جائرا

يقود بنا قود الذلول المعبد

فا نا نجد الى جانب انه رسم الصورة باطار قديم كذلك لجأ ايضاً الى التضمين بوضعه مطلع قصيده طرفة بن العبد ، كذلك لجأ الى استعمال الالفاظ والتعابير القديمة مثل « عفا رسم مغني العز » و « بلاد أناخ الذل فيها بكلكل » و « مخطوط الخشام » ثم « الذلول المعبد » .

ولم يكتف الرصافي بذلك بل نجده يقلد بيت دريد بن الصمه الذي يقول فيه :

وهل انا من غزية أن غوت

غويت وان ترشد غزيه ارشد (١)

بقوله :

وهل أنا الا من اولئك ان مشوا

مشيت وان يقعد اولئك أقعد

وفي قصيدته الى « القزويني » نجد نفس المنهج اليدوي يظهر واضحاً في ابياته :

قف بالديار الدارسات وحيها

واقر السلام على جآذر حيها

---

(٢) البيت ورد في مقدمة ديوان الرصافي التي كتبها الاستاذ عبدالقادر المغربي .

وسل المنازل هل علمن بأنني

قد شف جثماني الهوى بظبيها (١)

وفي قصيدة « أم الطفل في مشهد الحريق » (٢) نجده يستعير من البيئة القديمة لوازماً لبيئته الجديدة كقوله :

كانت بها السمرات الخضر زاهية

واليوم لا سمر فيها ولا ضال

ومعروف ان للسمر والضال من أشجار البادية .

والامثلة على ذلك كثيرة لا تفوت الباحث المقتصي لشعر الرصافي :

هذا التقليد الذي نجده في شعر الزهاوي والرصافي قد يبدو غريباً خاصة من شاعرين عرفا بالتجديد وثارا ونددا بكل قديم وبكل تقليد . وتبدو الغرابة أكثر عندما نسمع قول الزهاوي :

سئمت كل قديم	عرفته في حياتي (٣)
ان كان عندك شيء	من الجديد فهات

وقوله :

ولا خير في شعر مضى اليوم عهده

وفي شاعر ان قال قال مقلدا

---

(١) الديوان ص ٢٦٤

(٢) الديوان ص ٢٨٢

(٣) مقدمة ديوانه ص (ب)

وما شاعر العصر الجديد سوى الذي

على دولة الشعر القديم تمردا

ومن كان ذا روح من العصر ثائر

فليس يريد الروح منه ليجمدا (١)

لسنا نملك أمام هـذا التناقض الا ان نتساءل بماذا اذن يفسر الشاعران عودتهما في بعض قصائدهما الى القديم ؟ هل هي بقايا الرواسب القديمة من ثقافتهما التي تشبعا بها ايام نشأتهما الأولى تظهر بين الحين والآخر ؟ أم هو نوع من التعلق والحنين لماضي العروبة وامجادهـا يتغلب احياناً على نزعتيهما فيقودهما الى تلك العودة ؟

ومهما كان الأمر فان مسألة التقليد عند الزهاوي أو الرصافي مسألة لا تعنينا بالقدر الذي تعنينا آراؤهما في التجديد وما قدماه للشعر من جديد ، خاصة وان قضية التجديد في الشعر لا تقف عند حدود التطبع بروح العصر وافكاره ، بل هناك قضايا أخرى تتعلق بعناصر الشعر المختلفة والتي تتباين في درجة خضوعها للتجديد وتطورها مع الزمن ، وتلك العناصر هي ما يتعلق بالموضوعات أو الجانب الموضوعي ، وقسم شكلي عام وهو ما يتصل بالاوزان والقوافي ووحدة القصيدة ، وقسم خاص يتصل بالألفاظ والعبارة الشعرية وما فيها من تراكيب وصور ، ولعل القسم الشكلي العام اكثر تلك النواحي خضوعاً للقوانين والقواعد الثابتة التي يفرضها دائماً سلطان الأدب العربي طيلة الاجيال المتعاقبة لذا فان تقبل هذا القسم لحركات التجديد يكون عادة تقبلا نسبياً بطيئاً .

ولعل اكثر تلك الاقسام تقبلا للتجديد واوسعها طواعية هو القسم

---

(١) ديوانه ص ٢٦٠ من قصيدته « على شيخوختي » .

الخاص بالموضوعات ، لذا فقد يكون من الطبيعي ان تتركز عليه جهود الشعراء اكثر من بقية الاقسام الاخرى خاصة في المراحل الاولى لفترة النهوض :

وهذا ما حصل فعلا عند شعراء العراق ، فما ان بزغ فجر النهضة وتفتحت الأذهان ، حتى انصبت دعوة الشباب من الشعراء على الاهتمام بالفكرة والمضمون قبل غيره من عناصر الشعر الاخرى .

يقول الزهاوي منتقدا الشعراء الذين يعيشون على اجترار مضامين الاقدمين ومطالباً اياهم العناية بالمعنى قبل كل شيء :

مسروقة كلها تلك المضامين
وليس منها لهم الا العناوين
لقد أهانك منهم غير ذي أدب
ياشعر اني عليك اليوم محزون
ما الشعر الا بمعنى فيه يرفعه
وليس يكفيه ان اللفظ موزون (١)

ويقول ايضاً :

والشعر ان لم يفد معنى يخلده
فانما هو معدود من الهذر
لا يكبر الشعر ما لم تبق روعته
في نفس سامعه شيئاً من الأثر (٢)

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٢٥٩
(٢) ديوانه ص ٢٥٦

وفي مكان آخر من ديوانه يقول :

لعمرك ليس الشعر شيئاً هو الوزن

ولا هو لفظ ضاق عن فهمه الذهن

بل الشعر معنى رائق يوقظ الهوى

ولفظ رقيق مثلما يطلب الفن (١)

ومن آرائه التي عبر عنها نثراً قوله :

« وما يؤسفني شيء كعناية الشعراء باللفظ اكثر من عنايتهم بالمعنى الذي صيغ اللفظ لأجله ، فالمعنى هو الجسد واللفظ لباسه . » (٢)

ونلمح اهتمام الرصافي بالمعنى قبل أي شيء في قوله :

وجردت شعري من ثياب ريائه

فلم أكسه الا معانيه الغرا

اضمنه معنى الحقيقة عاريا

فيحسبه جهاله منطقاً هجرا (٣)

ولا يقف هذا الاتجاه عند الشاعرين الرصافي والزهاوي بل تجده ايضاً عند الشاعر محمد رضا الشبيبي الذي عاصر الشاعرين ويبدو ذلك واضحاً في قوله :

---

(١) ديوانه ص ٢٥٥

(٢) من كلمته في الشعر (راجع شعراء العصر — ج٢ ص ٣ — ٥)

(٣) ديوان الرصافي ص ٥١

معانيك أرواح هياكلها اللغى
وسرك في الأرواح لا في الهياكل
إذا ارتفعت نفسي وجلك تعقشت
جلال المعاني لا جلال المنازل (١)

هذا الاهتمام بالمعنى قد يكون طبيعياً في مثل تلك الفترة ، فتيار الدعوة للحرية القومية الذي اخذ يسري فى النفوس والافكار كان قد ولد احساساً بالمطالب الاجتماعية والقومية حتى أصبحت تلك المطالب شغل كل انسان في تلك الفترة .

وازاء هذا الجو كان لابد للأديب ان يدرك مسئوليته تجاه أمته .. وان يحاول التعبير عن احاسيسها وحاجاتها . .

لذا فلا غرابة اذن وأمام تلك المسئولية ان تتحول مهمة الشاعر من فنان يخلق الصور ويجري وراء الألفاظ الى مفكر يرسم الطريق لابناء امته . .

وليس بمستبعد ان يكون هؤلاء الشعراء قد تأثروا أيضاً بالفكرة القائلة « بالادب للحياة » التي كانت شائعة آنذاك بل ان ذلك يظهر واضحاً فى حديث للرصافي عن غاية الأدب نشره في كتابه دروس في تأريخ آداب اللغة العربية وفيه يقول :

« سمعت بعض المجددين من أدباء الترك في الاستانة يقولون ان الأدب لا غاية له ، ويتوسعون فى هذا القول حتى يعموا به ما يسمونه بالصناعات النفسية او الفنون الجميلة ، وهي الشعر والموسيقى والرسم والنحت ، فهذه

---

(١) ديوان الشبيبي ص ٦٣ .

الصناعات كلها لا غاية لها عندهم بل هي الغاية وهي المغيا فالرسام إذا رسم صورة كانت غايته تلك الصورة والشاعر اذا قال قصيدة كانت غايتــه تلك القصيدة وهلم جرا .

ولقد تأملت هذا القول فلم اجد له محصلا ينطبق عــلى المقول ، اذ لا ريب ان الغاية هي ما يكون لأجله وجود شيء ،فهي اذن علة الوجود،وليس من المعقول ان تكون القصيدة نفسها هي الباعث له على قولها (١) » .

اذن فواضح من حديثه انه لا يؤيد الرأي القائل « بالفن للفن » وانما ينتصر لرأى القائلين « بالفن للحياة » أو « الأدب للمجتمع » .

وليس أدل من قوله الذي يدعو فيه صراحة لهذا المبدأ :

وما ينفع الشعر الــذي انا قــائل
اذا لم اكن للقــوم في النفــع ساعياً
ولست عــلى شعــري اروم مثابة
ولكن نصح القــوم جــل مرامياً
ومـا الشعر الا ان يكون نصيحــة
تنشــط كسلانا وتنهضــ ثاويا
وليس ســرى القــوم من كان شاعراً
ولكن سرى القوم من كان هاويا (٢)

بل ان شعره الذي وضعه فى خدمة الحياة والمجتمع دليل قاطــع على

---

(١) راجــع كتابه المذكور ص ٢٩ جـ١ مطبعــة دار الســلام ببغداد سنة ١٩٢٨ .

(٢) ديوان الرصافى ص ١٢٥ .

التزامه بهذا المبدأ .

اما الزهاوي فشعره الذي سار في اتجاه شعر الرصافي نفسه وفي آرائه التي عبر عنها ما يدل دلالة واضحة على تأثره بفكرة « الأدب للحياة » .

يقول مثلا :

ما الشعر الا شعور الشاعر التابع لشعور الشعب الذي هو فـرد منه ، واكبر الشعراء هو القادر على تحويل شعور الشعب (١) .

ومن أقواله ايضاً :

الشعر ينهض بالشعوب الى العـلى
فـيما يولـده من استعداده (٢)

وقوله :

إذا الشعر لم يوقظ اناساً من الكرى
فليس عليه وهو قد هز من وزر(٣)

ومن الشعراء الذين ترسموا هذا الاتجاه الشاعر محمد رضا الشبيبي ، فالى جانب شعره الذي حفل بقضايا الأمة العربية ومشكلاتها،نجدفي اقواله مايدعو صراحة الى تلك الفكرة :

ومنها :

من الحمق حبس الشعر الا لغايـة
تفرق فيهـا بين حـق وباطل

---

(١) من محاضرته المنشورة في كتاب سحر الشعر .
لروفائيل بطي — من ص ١٧ — ٨٣ .
(٢) ديوان الزهاوي ص ٢٤٣ .
(٣) ديوانه ص ٢٥٤ .

كفى الشعر ذماً ان للشعر قائلا
وما هو الا قــائل غير فاعــل
ولا خــير فى شعر اذا لم يقم به
خمول بنيـه أو نباهة خامــل (١)

ان ظاهرة العناية بالمعنى التي نجدها في تلك الفترة قد تعود ايضا الى اسباب خاصة تتعلق بالشعراء أنفسهم. فالرصافي مثلا يقرن بعض الباحثين(٢) ثورته على اللفظ وعنايته بالمعنى بسفره الى الاستانة او بالاحرى بالتبـدل الكبير الذي طرأ على افكاره هناك.

فعندما غادر الرصافي بغداد لم يكن يحمل معه غير افكار بيئته المحلية الضيقة، وفى الاستانة المتحضرة الواسعة وجد نفسه وجهاً لوجه امام مبادىء الفكــر الاوربي لا سيما مبادىء الثورة الفرنسية خاصة بعد ان انظم الى جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تحتضن تلك المبادىء وترددها في شعــارها « العــدالة والمساواة والحرية » الذي ملأ اسماع الامبراطورية عن طريق الاناشيد والشعر والاغاني وكان من الطبيعي ان تصادف المبادىء الجديدة هــوى في نفس الشاعر الثائر وان يحاول التعبير عنها ما امكنه التعبير وامام حاجته للتعبير عن تجاربه الجديدة كان لابد ان يبحث عن ..ان جديدة يصل عن طريقهـا الى بث افكاره، خاصــة وقد وجد ان صناعته القديمة تقف عاجزة امام هــذا التطور. ومن هنا بدأت ثورته على اللغة التي لم تمكنه من اقل احاسيسه نقلا

---

(١) ديوان الشبيبي ص ٦١ .

(٢) الدكتور يوسف عزالــدين « راجع مقالته الرصافى والتجــديد » المنشورة في مجلة الثقافة الجديدة عدد ٨ سنة ١٩٥٧ ، الصادر ببغداد »

صادقاً رغم اتساعها وتوفرها لديه ..

وقد عبر الرصافي عن ثورته تلك في قصيدته « خواطر الشاعر »(١) التي يقول فيها .

واعجب شأن في الحيـاة شعورنا
واعجب شأن في الشعور هو الحجر
وللنفس في افق الشعور مخايـل
اذا برقت فالفكر في برقها قطـر
ومـا كل مشعور به من شئونهـا
قـدير على ايضاحه المنطـق الحر
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه
وقصـر عن تباينـه النظم والنثر
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به
بيان ولم ينهضـ باعبـائه الشعـر
ويا رب معنى دق حتى تخاوصت
اليه من الالفـاظ اعينها الخـزر
ارى اللفظ معدوداً فكيف اسومه
كفاية معنى فاقـه العد والحصـر
وافـق المعاني في التصور واسـع
يتيه اذا ما طار في جـوه الفكر

ولكي يبرهن الشاعر على صحة رأيه في ضيق اللغة فانه يعد استعمال المجاز احدى الدلائل على قصور اللغة في اداء المعاني فيقول .

---

(١) ديوان الرصافي ص ١٨٠ .

ولولا قصور فى اللغا عن مرامنا
لما كان فى قول المجاز لنا عذر

وليس المهم ان تكون الاستانة هى التى ألجأته الى العناية بالمعنى أكثر من اللفظ او بغداد ، ولكن المهم ان الرصافي استطاع بثورته تلك ان يضع حداً فاصلا للتجديد في الشعر العراقي الحديث كما وضع بقصائده الغنائية حدا بين الرومانتيكية والكلاسيكية .

والذى يتتبع الزهاوي في ارائه التي طرحها حول قضية الشعر الجديد وخاصة ما يتعلق منها بمنزعه نحو المعنى والاهتمام به ، يتبين بوضوح ان لثقافته العقلية اثرا كبيرا في اتجاهه هذا .

فقد قرأ الزهاوي علوم الفلسفة والمنطق والفلك وغيرها .. وجاب في ميادين تلك العلوم وأكبر مشكلاتها تعقيدا . وبلغ اهتمامه وولعه بها انه ضمن ما استوعبه منها شعرا احتل جانباً ليس بالقليل من نتاجه الشعري عامة .

وأكبر الظن ان شغفه بالعلوم العقلية تلك كان السبب المباشر في ميله الشديد الى جعل العقل العنصر الطاغي على شعره ، وطبيعى ان يجره هذا الاهتمام بالعقل الى البحث وراء الفكرة والمعنى قبل البحث وراء الالفاظ بل انه في غمرة سعيه وراء الافكار اهمل الجوانب الاخرى من عاطفة وخيال في كثير من شعره ، وقد جاء اهماله هذا نتيجة اعتقاده بأن تلك العناصر في حقيقتها ليست من الأهمية بمكان ، خاصة في العصر الحاضر الذي يمتاز بسعة معارف أهله .. وانها لا يجب أن تحتل من الشعر الا الجانب التالى للجانب العقلى . نسمع ذلك في قوله :

وأحسن الشعر في نظري ما استند الى الحقائق أكثر من العواطف والخيال البعيدين عنها فكانت حصة العقل فيه اكثر من حصتهما . وفي الشعر القديم ولا سيما شعر العواطف منه كثير من الجيد الخالد ، ولكن تقليده اليوم غير حميد فهو صدى لصوت قد تقدمه فلا خير فيه . والفرق بين الشعورين القديم والجديد ان الاول ضيق لضيق معارف أصحابه . والثاني متسع لسعة معارف أهله . ومن هنا تعرف ان ما يطلب من الشاعر العصرى اكثر مما يطلب من المتقدمين وان ما يرفع هذا غير ما يرفع ذاك وان كان كل منهما صادقا في شعوره . (١)

واذا شئنا أن نسلم بقول الزهاوي باستناد الشعر الى الحقيقة اكثر من استناده الى عنصرى العاطفة والخيال ، على اعتبار انهما قد يخرجان بالشاعر الى شيء من المبالغة والتجسيم ، فاننا لا نستطيع ان نسلم بقوله بجعل حصة العقل في الشعر اكثر من حصتى العاطفة والخيال . وذلك لأن التجربة الفكرية التي تنبع من اغوار العقل قد يكون ميدانها العقل المرسل ، اما صبها في قوالب الفن الشعري فلا مناص من ان تمتزج بتجربة شعورية امتزاجاً تتعادل فيه النسب الفنية هنا وهناك .

ان الواقعة التي تبعث وراء الحقائق اذا اقتربت من منطق الاداء الشعري . . لا بد وان تلقى بتلك الحقائق الى اغوار النفس الانسانية حيث تنصهر هناك بنفحات الوجدان وتخرج بعد ذلك في اطار جديد تصنعه ملكة « الوعي الشعري » التي لابد من وجودها وراء كل واقعة نفسية ،

---

(١) من مقالته كلمة في الشعر نشرت ايضاً في لغة العرب ج٢ سنة ٦٠ ص ١١٧ وما بعدها .

بل هى العنصر المسئول عن تنظيم كل حقيقة يعرضها الفكر فى ساحة الوجود الداخلى . فاذا غفلت هذه الملكة عن عملية الاشراف الفنى العام تعرضت الواقعة النفسية الى ذبذبة فى قضايا الفكر والى مغالطة في منطق العاطفة .

وفى القضايا المهمة التي شغلت أذهان الشعراء المجددين قضية الاداء الشعرى والوسائل التى يعتمد عليها الشاعر في نقل أفكاره ومعانيه ، ولعل أبرز وسائل الاداء الشعرى هى اللغة والاوزان والقوافي ..

فعن اللغة تسمع رأى الزهاوى الذى يقول فيه :

(وشعره هذا هو رسالة نفسه الى نفوس ابناء شعبه فلا مندوحة له في ارسالها باللغة التى يتفاهم بها الشعب واختيار أفصح الالفاظ وابلغ جملها ليولد شعره في أذهان سامعيه شعورا مثل شعوره ، واما ما زاد على شعوره من الالفاظ أو نقص فأنه ينقل معه الى السامعين تلك الزيادة وذلك النقصان فلا يسلم شعورهم منها . (١)

وكذلك في قوله :

ليس القريض بطوله
بل قد يفوق الاقصر
ولقد يطيل قصيده
فيجيد أشعث اغبر
واذا البراعة وزنت
يتقدم المتأخر (٢)

---

(١) راجع سحر الشعر لروفائيل بطى ص ٢٥ ج١
(٢) ديوان الزهاوى ص ٦٣

واضح من رأى الزهاوى انه يميل الى اللغة السهلة التى لا تبعد كثيرا عن لغة الناس وادراكهم .. مع الاحتفاظ بعناصر اللغة التى تتركز فى اللفظ الفصيح والجمل البليغة وسلامة القواعد.

« ولا يسوغ للشاعر العربي مخالفة قواعد اللغة ، فان الاعراب دليل المعاني ، كما لا يخالف الشاعر الغربى قواعد لغته ، وللشاعر الفحل ان يولد في اللغة اذا مست الحاجة كلمات لم يأت بها من جاء قبله فتغنى بذلك اللغة . واللغة التى لا يتوالد فيها كل سنة عدد من الكلمات ولا يموت كذلك عدد هي ميتة . (١)

ولعل السهولة في اللغة التى يطالب بها الزهاوى تعد مظهرا من مظاهر التجديد في تلك الفترة ، خاصه بعد أن كان مفهوم الشعراء فى لغة الشعر هو الترفع بها عن لغة الناس عن العلاقات الانسانية باللجوء الى استعمال الالفاظ القاموسية البعيدة عن الادراك المباشر والى التعقيد في التعبير نتيجة الاسراف في الصناعة اللفظية .

ولم يكن الرصافى بأقل من زميله الزهاوي ميلا الى استعمال اللغة السهلة في شعره ، وقد كان ذلك طبيعيا امام دعوته للعنايه بالمعنى وطبع الشعر بروح العصر ، فاهتمامه بالمعاني وحرصه الشديد على نقلها كاملة للاذهان جعله يبحث عن اسهل الالفاظ واقربها الى اللغة المستعملة بين ابناء عصره ، وهو لكي يطبع شعره بروح العصر كان لا بد ان يعكس

---

(١) راجع مقدمة الديوان ص ج

افكار المجتمع ويعبر عن حاجاته واحاسيسه ، وهذا يتطلب منه اختيار الفاظ جديدة تتناسب مع تجاربه الجديدة .

واظن ان في هــذا ما يكـفي لأن يجعل من لغة الرصافي لغــة تمتاز بالسهولة والوضوح ، بل ان الرصافي ليفخر بتلك السهولة التي تكاد ان تجعـل من لغة شـعره أقرب الى لغة النثر منهــا الى لغة الشعر ، اذ يقــول :

وارسـلته نظماً يروق انسجامه
فيحسبه المصغي لانشاده نثرا (١)

ولـكي يصل الشاعر الى غايته في ايضاح معانيه عليه ايضاً ان يتجنب انواع البديع ما امكنه ذلك .

لست بالشاعر الذي يرسل اللفظ جزافاً لـكي يصيب جناسه
انـا لا ابتغي في اللفظ الا
ما جرى في سهولة وسلاسة
انما غايتي من الشعر معنً
واضح يأمن اللبيب التباسه (٢)

والشبيي من الشعراء الذين نزعوا في شعرهم منزع البداوة رغم انه كان من المجددين في موضوعات شعره . ولكننا مع ذلك نجده يأخذ على غيره البداوة اللغويــة ويرتضي مبــدأ البســاطة في القول وعــدم التصنع والتكلف :

---

(١) ديوان الرصافي ص ٥١
(٢) مقدمة ديوانه ص (ت)

الى الآن لا يستملح الشعر ان علا

ولا يستجاد القول ان لم يلفق

فربض طلول غافيات واربع

وشعر جمال سائرات وانيق

. . . . .

متى خبروني في الكلام ونسجه

وضيت بسيط القول لم اتأنق

اذا لم يجئك القول عفواً تمامه

وان لم يسعك القول الخلق لا تتخلق (١)

ولم تتوقف تلك الدعوة عند هؤلاء الشعراء بل نجد صداها عند بعض الشعراء الذين جاءوا بعدهم ، ولعل أبرزهم وأشدهم تعلقاً بفكرة السهوله في لغة الشاعر احمد الصافي النجفي الذي كاد شغفة بمبدأ السهولة ان يخرج بشعره الى حد الاسفاف ، وقد دافع عن ذلك بقوله :

« انظم الشعر لا لكي يعجب القراء لكن ليدركوا مغزاه » (٢)

أما قضية التجديد في الاوزان فلا نكاد نجد لها صدى في اراء هؤلاء الشعراء غير الزهاوي الذي يقول في مقدمة ديوانه .

« واجيز للشاعر ان ينظم على اي وزن شاء سواء كان من اوزان الخليل او غيرها »

ولكن دعوته تلك لم تتعد حدود القول الى التطبيق ، فكل

---

(١) وردت تلك الابيات في كتاب لغة الشعر بين جيلين للدكتور ابراهيم السامرائي ص ٦٧

(٢) الامواج ص ١٢١

ما نظمه من شعر لم يخرج على الاوزان المتعارف عليها ، أما بالنسبة للقوافي فلا يرى مانعاً من تنويع القافية في القصيدة الواحدة كما نجد في قوله :

« لا ارى مانعاً من تغير القافية بعد كل بضعة ابيات من القصيدة عند الانتقال من فصل الى آخر كما فعلت في عدة قصائد ، لا دفعاً لملل السامع من سماع القافية الواحدة في كل بيت كما يدعي بعضهم — فتلك حجة من يعجز عن اجادتها ، والا لمل الناظر وجوه الناس لوجود انف بارز في وسط كل وجه — بل اراحة للشاعر من كد الذهن لوجدانها ، فأن الاتيان بها متمكنة ليس في قدرة كل شاعر » (١) .

(١) راجع مقدمة ديوانه ص (ب)

الفصل الرابع

الشعر العراقي في عصر النهضة

أولا : مظاهر التطور العامه

ثانياً : تطور الاغراض الشعريه

أ - فن الوصف

ب - الشعر السياسي

كما قد عددنا عام ١٨٧٠ نقطة البداية فى دراستنا لحركه التطور والتجديد فى الشعر العراقى الحديث ، ونحن فى هذا التحديد لا نقصد الا التحديد الزمنى وليس التحديد ألادبى ، ذلك ان عصور الادب لا تفصلها الفواصل الحاسمه ، بل يتداخل سابقها فى لاحقها حتى تمتزج فى تدرج بطيء .

وواضح ان هذا التحديد يرتبط الى حد بعيد بمولد حركة التحرر الفكرى فى العراق التى اخذت تباشيرها تبرز للوجود مع زحمه الاحداث التى حفل بها القرن التاسع عشر متجاوبة مع الانطلاق الفكرى الكبير الذى فجرت ينبوعه الثورة الفرنسية ، وانبعثت اصداؤه تتردد في انحاء العالم حتى وصلت ربوع الرافدين .

ولكننا نلاحظ ان حركة التطور الفكرى وان بدت آثارها تظهر الى حد فى مجال الوعي الاجتماعى والسياسى لا يكاد يكون لها أثر فى المجال الادبى الا في اواخر القرن التاسع عشر ، ولعل ذلك يعود الى طبيعة الادب نفسه ، فهو بطيء التطور بالنسبة لغيره من اوجه النشاط الانسانى ، وذلك انه يتصل بالعواطف النفسية والاذواق الفنية ، وهذه بطيئة تعوزها تجارب شتى واوقات طويلة حتى تكتمل وتنشيء ملكات جديدة في التصوير والتعبير (١) .

---

(١) راجع اصول النقد الادبى ـ لاحمد الشايب ـ صن ٩٠

لقد جاءت تلك الحركة في وقت كانت فيه آثار العصور الوسيطة لا تزال جلية في الأدب عامة والشعر بصفة خاصة . فمنزلة الشاعر ومكانته الشعرية كانت ما تزال تقاس بقدرته على زخرفة قصيدته بالوان البديع مهما في قيمتها التعبيرية او خيالها او معانيها . وكل ما فهمه الشاعر من معاني التجديد هو ان يقول ابياتا في وصف بعض مظاهر الحياة الجديدة التي يراها لاول مرة في العراق . كأن يصف التلغراف او الترام او الباخرة ، دون ان يحاول التخلص من النمط القديم الذى اعتاد عليه في صياغته للقصيدة .

نذكر على سبيل المثال الشاعر عبد الباقي العمري الذي سره ادخال التلغراف لاول مرة في العراق ، فاستقبله بأرجوزة لم ينسى ان يصدرها بأبيات فى مدح السلطان عبد المجيد ينتقل بعدها للغرض الذى اعد قصيدته من اجله ، فيقول (١)

للتلغراف لمع برق خاطف فى لمحة يفعل فعل اصف
قبل ارتداد الطرف يأتيك بما قد كنت جاهلا به لتعلما
ذو احرف فى ابجد وهوز تقرب الاقصى بلفظ موجز

ويقف ابراهيم الطباطبائي مذهولا امام الترام ويعجب كيف يقود الحديد الحديد . ومع دهشته تلك لم يتذكر سوى الصهوة والخلاخل والقطيع فيقول : (٢)

---

(١) الترياق الفاروقي ص ٣٥٣ و ٣٥٤

(٢) ديوان الطباطبائي ص ٧١

كيف تنقاد قطعة من حديد

او حديد ينساب فوق حديد

ابدلوها من الصعيد حديدا

فاعتلت صهوة الحديد الحديد

قيدوا موضع الخلاخل منها

بقيود فاطلقت بقيود

لا كمثل القطيع اوجع ضربا

فى جلود يقطعه من جلود

لكن هذا الجمود الشعرى وتلك الفكرة الضحلة لم تستطع الصمود طويلا امام تيار الوعي، الذى بدأ يتدفق، وامام القيم الجديدة التي عاونت على تنمية الوجدان السياسي والاجتماعى، فقد كان من الطبيعي ان يندفع الادب مع سريان التطور والتغيير الذي اخذ يعم جوانب الحياة خاصة بعد ان احس القادة من الادباء وذوي الاقلام بنزرة ما تسلل الى قلوبهم من الثقافة العصرية، ان الشعب هو ذلك الجندى المجهول الذى يجب ان يرفعوه ويعالجوا مشاكله، ولعل هذا الاحساس هو الذى دفعهم الى البحث عن أشكال ادبية جديده ترتبط بالمجتمع وتؤدى وظيفة حيوية تساعد فى تسيير الحياة نحو الاتجاه الحديث.

ولعل اول ظاهرة يلاحظها الباحث فى تلك الفترة هي خروج الشعر من مجالسه الخاصة التى كان الشعراء ينصرفون فيها بجهودهم الى النظم السخيف والحشو القاتل لاية فكرة، الى ميادين الحياة العامة حيث يتحدث الناس في شئون حياتهم ومتطلبات عصرهم، وحيث يجتمع قادة الفكر ليحدثوا هؤلاء الناس فى شئون السياسة والعلم والاجتماع.

اما الظاهرة الثانية الجديرة بالذكر هي ان الشعر بدأ يخرج من كونه شعراً خالصاً مقصوداً لذاته الى أداة لنقل الافكار ، وقد يكون هذا طبيعياً أمام هدف الشعراء الجديد الذي أصبح هدفا اصلاحياً غايته الدعوة للحرية السياسية ومقاومة الاستبداد والفساد والدعوة الى اصلاح المجتمع عن طريق تعليمه وتحريره من قيود الجهل والعادات والتقاليد البالية ، لذا فان المقطوعة الادبية أصبحت تقوم على المحصول الفكرى اكثر من قيامها على الاهتمام بالشكل الفنى وبعبارة اخرى نجد ان قصائد هذه الفترة تكاد تكون رسالة موجهة الى الجمهور فيها التحذير وفيها الدعوة وفيها المطالبة بالاصلاح بل وفيها التهديد .

ومن المظاهر التى تلفت نظر الباحث فى شعر تلك الفترة ان الشعراء بالرغم من حملاتهم العنيفة على سياسة الحكم العثماني المستبدة لم ينكروا فى أغلبها حق العثمانيين في الحكم . وانما كانت تدعو الى الاصلاح في اطار الدولة العثمانية المسلمة .

فالرصافي الذى هاجم السلطان عبد الحميد هجوماً عنيفاً في اكثر من قصيدة لم ينكر حقه فى الحكم على اعتبار انه ممثل لدين الله في الارض وخليفة للنبي ، وانما انكر سياسته المستبدة التى لا تتفق ومبدأ الدين الذي يمثله :

يقول في قصيدته « رقيه الصريع » (١)

أبت السياسة ان تدوم حكومة
خصت برأى مقدس لم يسأل

---

(١) ديوان الرصافي ص ١٦٢ / ١٦٣

ايكون ظل الله تارك حكمه الـ
منصوص فى آى الكتاب المنـزل
أم هل يكون خليفة لرسوله
من حاد عن هدي النبي المرسل

فالشاعر هنا يطالب بالدستور وهو حق يفرضه دين الاسلام الذى دعا للشورى . والرصافي بمطالبته للدستور معناه انه يريد الاصلاح داخل الاطار الاسلامى الذى لا يرى طريقا أيسر منه الى التقدم ، كما يظهر ذلك واضحاً في قصيدته التي يدافع فيها عن تعاليم الاسلام :

يقولون في الاسلام ظلما بانه
يصد ذويه عن طريق التقدم
فان كان ذا حقا فكيف تقدمت
اوائله فى عهدها المتقدم
وان كان ذنب المسلم اليوم جهله
فماذا على الاسلام من جهل مسلم
وان لم يكن هذا الى المجد سلما
فأي ارتقاء بعد ام أى سلم (١)

والذي يتتبع قصائد الزهاوى التى قالها في مهاجمة سياسة عبد الحميد في تلك الفترة يلمس بوضوح ان مطالبة الشاعر انصبت على تحقيق العدالة الاجتماعية والاسلاح فقط دون المطالبة بالانفصال ..

---

(١) ديوان الرصافي ص ١٢٨ / ١٣٠

ومن تلك القصائد قصيدته « الظلم يقتلنا والعدل يحيينا (١) » التى يقول فيها :

ليست طريقك محمود مغبتها
غير اذا شئت في الاحوال تحسينا

ارحم قلوبا لأقوام اذا عطشت
للعدل يوما سقاها الظلم غسلينا
لقد ملكت فأسجح اننا فئة
لا شيء غير جمال العدل يرضينا

وواضح ان الزهاوي الذى حمل علي سياسة عبد الحميد لم يكن يبغي فى حملته الا الاصلاح

ومن هنا نتبين ان هؤلاء الشعراء الذين يطالبون بالإصلاح فقط وفي حدود الدولة العثمانية لا يزالون يحملون في نفوسهم الولاء للخلافة العثمانية ، ويجدون في ارتباطهم بها حماية للدين والمسلمين من مطامع الدول الأجنبية :

وليس أدل على ذلك من قصيدة الزهاوي « الفتح الحميدي » التي هلل فيها لانتصار عبدالحميد في حربه مع اليونان فقال :

هو الفتح القى في قلوب العدى هولا
واثبت ان الحق يعلو ولا يعلى

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٦٣ / ٦٤
تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم

لبسنا به ثوباً من العـز ضافيـاً

وهم لبسو من أجله العار والـذلا

تغلب جيش المسلمـين عليهـم

فاثخنهم جرحـاً واوسعهم قتـلا

وبدد بالغـارات شمـل جيوشهم

خميس على جل الحصول قد استولى

فانتصار الدولة العثمانية في نظر الزهاوي هو انتصار المسلمين عـلى اعدائهم ، بل ان فرحته بهذا الانتصار جعلته ينسى مساويء عبـدالحميد وجوره ويصف سياسته بالسياسة المثلى :

لسلطـاننـا عبدالحميـد سياسـة

طريقتهما في المعضلات هي المثـلى

سللت لنصر الدين سيف غريمـه

فللت به مـا لم يكـن فله سهـلا

نهنيـك بالفتـح المبين الـذي به

تسامى منار للشريعـة واستعـلى

وليس ادل بعد ذلك على ولاء الشعراء العراقيين للخلافـة العثمانية في فرحتهم الكبرى باعـلان الدستور والقصائد الكثيرة التى عـبروا بهـا عن مشاعرهم وآمالهم ، فهي ان دلت على شيء فانها تدل على ان هؤلاء الشعراء لم يكونوا يبغون من الحكومـة العثمانيـة غير الاصلاح ، سيما وان اعـلان الدستور قـد يعد في حقيقتـه ضربة قاصمـة للآمال القوميـة لانه صـرف الأذهـان بعض الوقت عـن التفكير في الانفصـال عـن الـدولـة العثمانيـة (١) .

---

(١) راجع كتاب القومية العربية تاريخها ومراميها حاشية ص ١٦٣ ؛

أما الظاهرة العامة الأخيرة التي يمكن ان نسجلهـا للشعر العراقي في فترة تطوره الأولى فهي انه اخذ ينزع نحو التحرر من قيود الصنعة الثقيلة التي ورثها الأدب من العصر التركي بصفة خاصة . تلك القيود التي تتمثل في الاسراف في المحسنات البديعية والزخرفة البيانية ، واخذ الشعراء يستعملون اللغة السهلة لغة الناس ولغة العصر ، خاصة بعد ان أصبح المفهوم العـام للشعر تصوير المشاعر والأفكار وابرزها الفاظاً مؤتلفة بعيدة عن التكليف .

أمـا الاسلوب فقـد بدأ يتلخص نسبياً مـن التشطير والاقتبـاس والتخميس .

تلك اهم المظاهر التي طرأت على الشعر العراقي مع بواكير النهضة وما ان اعلن الدستور العثماني (عـام ١٩٠٨م ـ ١٣٢٦ هـ) حتى دخلت اليقظة الفكرية مرحلتها الثانية بعد ان اصبح للرعايا حـق التمتع بحرية الرأي والقول والاجتماع الذي تجلى في نهضة الصحافة وكثرة الصحف والمجلات التي ظهرت في بغداد وغيرها من مدن العراق الى جانب الأندية والجمعيات ، وفي تلك الفترة كثر عدد المجددين من الشعراء كمحمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي وحبيب العبيدي وخيري الهنداوي ، ثم تلت هـذه الطبقة طبقة اخرى من شعراء الشباب حـذت حـذوهم في طـرق الموضوعات العامة ، وفي تلك الطبقة محمد مهدي الجواهري والصافي النجفي ومحمود الحبوبي وكاظم الدجيلي وغيرهم . كما جدت مظاهر اخرى يمكننا ان نضيفها الى المظاهر السابقة ، ولعل أهمها ظهور الدعوة القوميـة بدلا من الدعوة للاصلاح داخل اطار الدولة العثمانية .

ذكرنا في فصل سابق ان الفكرة القومية برزت الى الوجـود كحركة منظمة منذ اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ــ وان كانت بوادرها سابقة لهذا التاريخ بزمن طويل ــ الا انها بقيت تسير وئيدة الخطى بسبب

ما رافقتها من فترات توقف ، ولم تغز العقول الا في وقت متأخر ، ولعل ذلك يعود الى ان العقول آنذاك لم تستطع ستيعاب الآراء التي تنطوي عليها الفكرة العربية عن الدولة ذات الامة الواحدة (١)، او وربما توقفت بعض الشيء بسبب سياسة عبدالحميد الذي عمل على اجتذاب العرب وإلانة جانبه لهم وجمعهم في كتلة واحدة مع الاترك للوقوف ضد مطامع الغرب المسيحي (٢) .

ولا ننسى ان العقيدة الدينية كانت تسيطر على العقول آنذاك . ثم ان عبدالحميد بعد ان احس بظهور تلك النزعات وخطرها الذي بات يهدد سلطانه ، فقد وجه ضربة الى زعماء تلك الحركة عندما اشتد نشاطهم في أواخر القرن التاسع عشر ، فنفى عدداً كبيراً منهم وسجن البعض الآخر ، مما أعاق الحركة عن التقدم داخل البلاد وخاصة القطر العراقي ، حيث بقيت مجرد آراء فردية لا تنم عن عمل منظم او خطة سياسية .

ولكن تلك الآراء لم تلبث ان عادت الى الظهور من جديد وفي صورة عقيدة سياسية بعد فشل حركة الدستور وما اعقبته من خيبة امل مريرة في نفوس العرب الطامحين الى الاصلاح والتحرر ، ثم غذتها سياسة فتيان الاتراك التي اتبعوها من اجل « تتريك » كل العناصر غير التركية في امبراطورية الاتراك ، وكان من اثر تلك السياسة ان انبثقت وطنية الشبيبة العربية ، خاصة بعد ان اصبحت وعود الاصلاح التي وعدها الاتراك لتحسين حال العرب ومن بينها ادخال اللغة العربية في مدارس الاقليم ـ حبراً على

---

(١) راجع يقظة العرب ص ١٥٧

(٢) راجع الاتجاهات الوطنية ص ٨٨ ج ٢

ورق (١) ، ومن هنا تبلورت فكرة القومية في الاذهان لتبرز بعد ذلك على صفحـــات الأدب عامة ، والشعر بصفة خاصة الذي خرج في تلك الفترة مشبعاً بالنزعة القومية .

فالرصافي وقد مل مماطلة الاتراك بتحسين حال العرب خاصة بعد فشل حركة الدستور التى ناضل من اجلها زمنا طويلا ، لم يجـــد امامه من سبيل الا ثورة عربية تنتزع حق العرب بحد السيف .

سنطلب هذا الحق بالسيف والقنـــا
وشيب وشــبان عـــلى ضمر بلق
بكل ابن حرب كلما شد هزهـــا
بعـــزم من السيف المهنـــد مشتق
تـراه اذا ما عبس الموت وجهــه
بوجـــه يلاقي المـوت مبتسم طلق
من العرب مطبوع الطباع على العلى
بديع معاني الحسن في الخلق والخلق (٢)

وعندما شدد الاتراك الخناق على رجالات العرب تضطرم النزعـــة العربية عند الشاعر خيري الهنداوي ، ويوجه النداء الى « طالب النقيب »(٣) وهو احد الأقطاب العرب آنذاك يستنهضه لانقاذ الامة العربية مما حاق بها

---

(١) راجع مقال الحركة الفكرية لشباب العرب لـ أ . الجـــابري مجلـــة الرسالة سنة ٢ ـ عام ١٩٣٤ ص ٥٩.

(٢) من قصيدته « شكوى الى الدستور » الديوان ص ٣٨٩ / ٣٩١ .

(٣) طالب النقيب أحد نقباء البصرة وعضو مجلس المبعوثات التركي .

من طغيان الاتحاديين ، فيقول :

الى المجد قدما فهي للمجد تنزع
فقد طال ما ترجو وما تتوقع
لقد سمعت صوت النهوض الى العلى
فقامت على أقدمها تتطلع
فظلت وصوت المجد يملأ سمعها
مسهدة اجفانها ليس تهجع
بحق العلى قدما فاما حياتها
تنال واما موتها فهو انفع (١)

ولعل اهم حدث حرك النوازع القومية في قلوب العرب ، كما وضع في الوقت ذاته نهاية للتفكير الاسلامي ، ظهور فكرة القومية التركية التي إتخذها الاتحاديون أساساً لسياستهم ومحاولتهم سحق الشعور العربي او قلب العرب الى اتراك ، واول محاولة قاموا بها هي تلخيص اللغة التركية من كل لفظ عربي دخلها كما قامت جريدة « إقدام » التي تزعمت تلك الحركة بمهاجمة العرب صراحة ، مما أثار الشعور العربي ، ولم تقف الحركة عند هذا الحد بل ظهرت كتب تقول بانتماء الاتراك الى العنصر الطوراني وانهم وانهم يرتبطون بتأريخ المغول والتتار اكثر من ارتباطهم بالتأريخ العربي ، فاحتضنت الحكومة هذه الحركة وشجعت القائلين بها ، مما دفع المتطرفين

---

(١) خيري الهنداوي ـ حياته وشعره ـ ص ١٩٤ ـ محاضرات الدكتور يوسف عز الدين ـ مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .

الى طلب رفع أسماء كبار الصحابة والتابعين من العرب عن قباب المساجد ووضع أسماء عظماء الترك والتتار والمغول بدلا منها . كما طالبوا بصبغ الجيش والقوانين والعلوم بصبغة تركية .

أصابت هذه الاعمال العرب فى الصميم واحسوا بخطرها الذي أصبح يهدد كيانهم ، وهنا تفجرت مشاعرهم القومية التي صورها الشعر خير تصوير ، فالى جانب الدعوة للثورة نجد اتجاهين آخرين ، الأول يدعو العرب إلى الإلتفات لتاريخهم القديم ، وهو يقابل التفات الاتراك لتاريخ التتار ، وفي هذا يقول الكاظمي :

نحن أم انتم إذا قيل فضل
يتباهى باهله الافضلونا
نحن أم أنتم إذا قيل كفء
يتولى أموره الأكفؤونا
او لم ننشر الحضارة في الارض وانتم بجهلكم منطوونا
أو لم نرشد الانام إلى القصد وانتم في الغي تخبطونا
هل امام لديكم كعلي
أم نبي كسيد المرسلينا
أم إلى العرب والصحاب كرام
أم اليكم صحابه ينتمونا
لستم يا حثالة الناس الا
نفراً من دناءة مترينا

ان يوم الحساب مهما تناءى
فهو دان من أعين المصبرينا (١)

اما الاتجاه الثاني فقد تناول آلهة المغول الوثنية بالاستهزاء بها ، ووصم الاتراك بالكفر والدنس .

كما نجد في قول الشاعر « ابن الفراتين » :

رب المغول هو الثور الذي انتظمت
جماجم الصيد قهراً منه باللبب
أيديه تربو على العشرين حاملة
أعضاء انسان أو آلات محترب
هو الذي ارشد الاتراك منظره
القاسي الاليم الى التدمير والحرب
احرقتم الحرث والنسل إبتغاء هوى
ورحمة منه فوزوا اليوم بالارب (٢)

هذه الأحاسيس والخواطر المرمية التي اذكتها في النفوس سياسة الاتراك وما تبعها من احداث وملابسات كانت كافية لتحويل الادهان نحو تفكير قومي يرمي الى بعث كيان الأمة العربية من جديد .

لم يكن الاتجاه القومي هو الظاهرة الوحيدة التي جدت في شعر تلك الفترة بل لعلنا نلمس مظهراً آخر يتضح في ميل الشعراء الى وحدة الموضوع

---

(١) ديوان الكاظمي ج٢ - ص ١٦٤ / ١٦٦ .

(٢) الشعر العراقي الحديث ص ١١٣ .

في القصيدة الواحدة ، فمعظم القصائد بدأت تأخذ اما طابعاً سياسياً او اجتماعياً او ثقافياً ، بل وحتى المقدمات الغزلية وما يتبعها بدأت تختفي نسبياً ويحل محلها مقدمات الغرض الأساسي الذي يطلبه الشاعر ، هذا وسنتحدث عن تلك الظاهرة في القسم الخاص بالنواحي الفنية لشعر هذه الفترة .

اما الظاهرة الاخيرة التي نلاحظها في الشعر العراقي الحديث فهي دخول النظريات الحديثة والعلوم المختلفة واسماء الشخصيات الأوربية المعروفة في أوساط الثقافة والسياسة واسماء المخترعين ومخترعاتهم حقل الشعر ، فقد بهرت تلك العناصر الجديدة شعراء العراق حتى ملأوا بها صفحات دواوينهم .

التطور والتجديد في الاغراض الشعرية

ان العراق الذي دبت فيه روح الشرق الجديد الآخذ في مسايرة الحياة في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كان لابد ان يمر بمرحلة صراع فكرى مرير ضد النظم البالية التي جعلته يرسف في قيود التأخر والجمود اجيالا طويلة .. لذا فمن الطبيعي ان تكون مهمة دعاة الاصلاح والتجديد مهاجمة تلك الاوضاع واعداد الاذهان الى ما ينتهي بالناس بثورة تحطم كل ما يعرقل سيرها نحو التقدم .

وامام هذا الصراع لم يجد الأديب الا ان يدخل مرحلته الايجابية ويأخذ مكانه فى انهاض المجتمع .. ولهذا فقد تناصرت اقلام الكتاب والشعراء على ان تنشر الآراء والمذاهب البناءة التي تنقذهم من قعر المياه الآسنة الى ينبوع الحياة المتفجر ، وبهذه الروح الجديدة كان للأدب ان ينزل الى واقع الحياة بعد ان اريد له ان يكون اداة لغرض ووسيلة لغاية ، واصبح ادباً يخلقه الوجدان لا تخلقه الصنعة والزخرف وفي سيطرة الوجدان اساس الأدب الابتداعي .

والأساس الذي تنبني عليه النهضة والتطور والتجديد في الاغراض الشعرية ينطلق من احساس الشاعر بقيمة « الكلمة الشاعرة » ويتفق رأينا مع الدكتور عزالدين اسماعيل في قوله :

(أدرك الشاعر السلاح الذى يمتلكه . وهو الكلمة الشاعرة ، فساهم بها في معركة المصير التي يحاربها المجتمع كله ، ايمانا منه بأن مصيره رهن مصير الجماعة) وليست « الكلمة الشاعرة » هنا مجرد اشارة الى انتماء الكلمة الى عالم موسيقى او تصويرى او وجداني فحسب ، وانما هي اشارة بصفة أساسية الى مجموعة المباديء التي تشكل العقيدة العامة للشاعر والمجتمع على السواء (١)

وفي وسط هذا التيار لم يستطع الشاعر ان يستمر في احياء أغراض اجداده السوالف التى ظل يجترها اجتراراً حتى شلت حركة أدبه وأماتت فيه النشاط ، ولكي يجارى تيار عصره ويتلائم مع روح الاحداث كان طبيعيا أن يلتفت اول ما يلتفت الى تطوير أغراضه الشعرية ، بل هو بحاجة ايضا الى استحداث اغراض جديدة تتفق وظروف مجتمعه الجديد. وليس غريبا أن تكون الاعراض للعنصر الاول الذى حظى باهتمام الشعراء فى تلك الفترة .. ذلك ان غاية الاديب كما قلنا سابقا هي ان يضع ادبه في خدمة مجتمعه ، ثم ان المرحلة القلقة التى يعيشها الاديب لم تترك له ذلك المجال الفسيح الذي يخلد فيه الى نفسه يجول طواياها ، ويترصد ما يحلو له من فنون العمل الادبي ..

وكانت النتيجة ان تطورت بعض اغراض الشعر وقوى البعض الاخر حتى كاد ان يصبح مظهرا عاما لهذا العصر كالشعر السياسي ، كما نمت اغراض جديدة لم تحظ باهتمام كبير فى شعرنا العربى ، كالشعر الاجتماعى ، والشعر التأملى ، والشعر ذى النزعة الانسانية العامة .

---

(١) د . عزالدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ٤٠٨.

فن الوصف :

والوصف من الاغراض التقليدية التى دبت فيها روح التطور الحديث .

فبالرغم من ان هذا الغرض لم يحتل من نتاج الشعراء العراقين الا جانبا صغيراً اذا ما قورن بالاغراض الشعرية الاخرى ، الا اننا مع ذلك نستطيع ان نلمح فى هذا النتاج ظلالا جديدة لم يكن لها اثر فى شعر الوصف عند شعراء الفترة السابقة خاصة . وتتضح تلك الظلال في مظاهر عدة منها :

أولا - ارتباط الوصف بعنصر الوجدان :

فالشاعر الحديث الذي تطورت به سبل الحياة وتلونت تجاربه بتلون المفاهيم والثقافات لم يعد يقف امام الظاهرة لينقل جزئياتها نقلا حسيا ماديا مستقلا عن مشاعره الخاصة وخياله الاسطورى البعيد ، بل اصبح الشاعر يتخطى حدود الظاهرة الى الاثر الذى تتركه فى نفسه والى ما توحيه من صور وافكار ، فهو يقف امام الظاهرة ويتأملها ويحس بها احساسا كليا شاملا لانه يلتقى بها من خلال وجدانه ويغدق عليها من وجوده .

فالزهاوى يقف مع الفجر يرقب موكب الشمس وهي تطل على الارض والكائنات فتبدد ظلمة الليل ووحشة السكون ، ويهزه جلال الطبيعة ويغمر وجدانه احساس تختلط فيه الفرحة بمشاعر الحب والولاء :

طلعت فى جلالة ووقار
من وراء القلاع شمس النهار (١)

---

(١) الديوان - ص ١٢٩

طلعت من حجابها كاله الحسن في موكب من الانوار
وتجلت مثل العروس بوجه
نوره باهر اولى الابصار

ومن خلال وجدانه يرسم لنا صورة الوجود الذي استفاق من غفوة السكون ، صورة تحس معها بحركة الحياة وهي تسري مع الضياء الى الكائنات الحية والجوامد كما تحس بفرحة هذا الوجود وهو يستقبل الشمس الحانية بالرقص والعناق فيقول :

فكست منكب الربى وحواليها رداء مطرز بالنضار
وأدرت على الرياض شعاعا
لج فى لثم مبسم الأزهار
كلما مس ظاهر الأرض أعطى
رونقاً للتراب والأشجار
ما تدانى الا أذاع نشاطاً
لحياة الحيوان والأشجار
وله في جداول الروض رقص
فوق سطح الماء الزلال الجارى

وهو في لفظتي « كست » و « أدرت » يبعث في الشمس الحياة ويضفي عليها صفات الأم الرؤوم . كما يبعث فى شعاعها الحركة والحياة في الألفاظ « لج » و «لثم » و « مس » و « أعطى » و « اذاع » و « رقص » .

فالكلمة عنده توحي بالصورة الشعرية الملائمة لحالته الشعورية ،

فالشعاع الذي يلثم ميسم الأزهار ويلون الترب والأحجار ، ونفوذه خلال الحيوان والاشجار ، بل ورقصه على صفحة الماء الجاري كلها صور حية تعكس معانقة الشاعر للحياة الممثلة فى شروق الشمس وهو يستخدم الكلمات استخداماً يؤدي به الى غرضه ويوحي لنا بصورة تعبيرية . « ان الكلمات ـ بخاصة في الاستعمال الشعري ـ ليست الا مجرد أدوات تمثل الأشياء وليست الصورة التي تتكون من هذه الكلمات الا صورة تعبيرية وليست صورة مشابهة . (١) .

وحديث الرصافي عن الصيف حديث تختلط فيه المشاعر بصورة الطبيعة إختلاطاً حزيناً تظهر فيه دخائل نفسه المتوجعة للكائنات والجماد وهي تكتوي بحرارة الشمس القوية .

جاء الصيف فجفت الانداء
وشكت يبوستها به الأشياء (٢)
وتوقدت عند الهجيرة شمسه
فتلمظت بلعابها الصحراء
فعلى من الشمس المنيرة أصبحت
غضبى تجيش بصدرها الشحناء
فحكت اشعتها حراباً اشرعت
بيضا فما بحديدها أصداء

---

(١) د . عزالدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ١٣٢ .

(٢) ديوان الرصافي ص ٢٤٥ / ٢٤٦ .

حتى استجار الليل من لفحاتها

ركب سروا فهدتهم الجوزاء

هكذا صور الرصافي الصيف صورة تحس معها بالاشفاق على الوجود فالصحراء القاسية الجافة تتلمظ بلعابها وكأنها انسان استبد به الظمأ للماء بينما الشمس يتفجر صدرها بنار الغضب فصبت شواظ لهبها على الحياة والاحياء ، وكأن هذا الشعاع الذي يجلب الدفء والنور قد اصبح حراباً تجلب الموت والهلاك ، وما من سبيل للنجاة من جحيمها الا بقدوم الليل .

ولا يقف الشاعر بنا عند هذا الحد بل سرعان ما ينقلنا الى لفتةانسانية رائعة وهي رأفة الصيف بالفقير المعدم :

اني لاغفر للصيف ذنوبه

ولو ان غارة هيضه شعواء

فالصيف أرأف بالفقير من الشتا

ولذا تحب قدمه الفقراء

قلت به الحاجات فالفقراء فى

أيامه والاغنياء سواء

وهنا نلتقي عنده بمفهوم انسانى آخر هو عدل الطبيعه التي يتساوى امامها الناس جميعاً ، ولأجل تلك المعاني الانسانية فهو يغفر للصيف ومع الغفران يذوب الاسى وتهدأ المشاعر فيحل الرضا محل الغضب ويتغنى الشاعر بجمال الصيف :

ولئن يكن كدر النهار فليله

طلق وفي وجه السماء صفاء

ولئن قسا عند الهجير فريحه

هبت بحاشيتيه وهي رخاء

وعلى ضوء تلك الصورة الوصفية التي يرسمها الرصافي للصيف نتبين ان صلة الشاعر بالطبيعة تنم عن احساسه بمشكلات مجتمعه واكتوائه بأوار قضاياه ، وواضح هنا انه يرمز الى قضية اجتماعية هامة هي فقدان التكافؤ الاجتماعي والذي يشير اليه الرصافي صراحة في قصيدته «الشتاء» (١) التي يهاجم فيها الاغنياء ويحث فيها على التعاون ، ومنها :

يا ايها الناس ألا فاذكروا

من كان منكم في الشتاء معلقاً

واحسنوا فالفوز للمحسن

ومنها يخاطب الاغنياء فيقول :

ان الشتاء ارحم للمعدم

منكم وان اوجعه برده

لانه بالعارض المسجم

ينبت زرعاً يرتجى حصده

حتى تفوز الناس بالانعم

مما لهم انبته جوده

فالصورة التي تشغله حين يتحدث عن الشتاء ليست وصف انهمار المطر او السيول أو صوت الرعد والبرق ، وانما يشد خياله وضع اجتماعي واقتصادي يتمثل فى التفاوت بين الفقراء والاغنياء ، ومن هذه الزاوية ينظر

---

(١) الديوان ص ٢٤٧ .

الى هطول المطر نظرة الخير الذي سينبت والأرض التي ستزرع والشبع الذي ينبغي ان يتمتع به الفقير والغني على السواء .

وحين يتناول الصافي النجفي زهرة يتيمة بالوصف ، انما يرمز بها الى حالة الضياع التي تكتنف الاطفال المشردين .

يقول فيها واصفاً وحدتها وقسوة الحياة .

عرضت حسنها برغم الصخور
زهرة لم تنل حظوظ الزهور
فهي تحيا على شفا الموت لما
ان اقامت على طريق العبور
تسأل العابرين عطفاً
والتفاتاً لحسنها المهمور
وهي في عين من يمر عليها
لم تطالب بغير « حق المرور »

فنسمع دبيب أقدام العابرين وهم لا يعيرونها نظرة عطف او شفقة بل ونخشى على هذه الزهرة التي لم تنل حظ الزهور من قدم لا تعرف الرحمة تسحقها سحقاً ، ونرى رأي العين شبح الموت يهددها كل لحظة .

ويصل الى تصوير قمة المأساة حين يصور ضياع الغربة ، واحساس التشرد في قوله :

فهي بنت الطريق تحيا وتفنى
تحت ركل ودهشة وعثور
وهي تحكى فقيرة في طريق
عرضت كف مقعد واسير

جهلت دارها القديمـــة لكـــن

علمت انهـــا غريبـــة دور

واستخدام الصافى النجفى للزهرة اليتيمة رمزا لما يعانيه انسان فقير ضائع يعتبر لونا جديدا ، وصورة مبتكرة في الوقت الذي قيلت فيه ، فلم يلتفت الى أريجها ولونها ، واستغرق نفسه في التغني بما توحيه من صورة الحبيبة مثلا ، وانما وضع الزهرة فى (بؤرة شعورية) جديدة يستطيع من خلالها ان يعبر عن تجربة مأمساوية « فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يعانيها الشاعر ، والتي تمـنح الاشياء مغزى خاصـا وليس هناك شيء ما هو في ذاته أهم من اي شيء اخر الا بالنسبة للنفس وهي في بؤرة التجربة ، فعندئذ تتفاوت أهمية الاشياء وقيمتها . (١)

كما نجد ايضا أن وصفهم للطبيعة كثيرا ما يختلط بمشاعرهم القومية والسياسية ، فالزهاوى في قصيدته (الربيع والطيور (٢)) . (٣) يخلص في نهايتها الى أزمة الحرية - فى وطنه وضغط الحكم التركي الغاشم وعـده لانفاس المفكرين والاحرار ، وقد اثار هذا الخاطر في نفسه رؤيته للحمام باكيا على الغصون رغم انه حر طليق فيعجب من نواحه ويناجيه :

انني قد بسطت واضح عذرى

فأفدني خبرا بما لست تدرى

أن احبابـك استقلوا بفجـر

فلماذا والحب بالمرء يغـرى

---

(١) د . عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ١٩٨

(٢) الديوان ص ١٠٣ ، وفي الديوان اشارة الى ان الشاعر قال تلك القصيده عندما كان مأمورا بالاقامة في بغداد ايام الحكم التركي .

(٣) الاغوار — ص ١٨٢ / ١٨٣

ما كنت أنت بعدهم في الديار

الى ان يقول :

حولن يا حمام ظنك عنى

فالذى قد ظننت آثم ظني

يا حمام اتئد ولا تتهمني

انا مأمور بالمقام لاني

بين قومي من مطلقي الافكار

فهو لا ينفعل هنا بهديل الحمام ، او بما يوحيه من دعة وأمن وهدوء وانما يستكنه ما وراء ذلك من انطلاق وحرية ، ويرى نفسه عاجزا عن الرحيل مع احبابه واصدقائه المجاهدين فيناجي الحمام طالبا منه خبرهم وراجيا اياه الايظن به الظنون لانه قاعد لم يرحل معهم ،وهذه النظرة تعكس نظرة عصرية ومجددة للشاعر. وكما يقول الدكتور عزالدين اسماعيل :

يرتبط الشاعر الجديد بأحداث عصره وقضاياه لا ارتباط المتفرج الذي يصف ما يشاهد وينفعل بما يصف ، وانما هو عش تلك الاحداث وهو صاحب تلك القضايا . وشعرنا القديم يتجه الى تسجيل المشاهدوالمشاعر وليس امتدادا وراءها . أما الشعر الجديد فمحاولة لاستكناه الحياة لا مجرد الانفعال بها . (١)

وفي قصيدة الرصافي (الغروب) (٢) نحس الامه تجاه شعبه

---

(١) د . عز الدين اسماعيل — الشعر العربي المعاصر ص ١٣

(٢) ديوان الرصافي ص ١٩٦/١٩٧ في الديوان اشارة الى ان الشاعر قال تلك القصيدة سنة ١٨٩٤ .

الذي يقبع تحت سيف الاستبداد ، فلون الشفق الدامي يثير في قلبه الفزع والذعر لانه يذكره بالسيف الملطخ بدماء ابناء قومه :

شفق يروع القلب شاحب لونه
كالسيف ضمخ بالدماء مسلولا
يحكي دم المظلوم مازج أدمعا
هملت بها عين اليتيم همولا

والشمس رمز الحياة والاستمرار لهذا الكون ، وغيابها عنه معناه الجمود والتوقف ، وهذا ما يثير الأسى في قلب الشاعر الذي يرى هذا الكون وقد أمسى كئيبا مخذولا لا يملك من الأمر غير الاستكانة والخضوع والانتظار فهو بحالة يشبه الرجل الذي تسلبه الخطوب عزه ومجده وترغمه على العيش تحت ظل الهوان والذل .

حتى توارت بالحجاب وغادرت
وجه البسيطة كاسفا مخذولا
فكأنها رجل تخرم عزه
قرع الخطوب له فعاد ذليلا
وأنحط من عرف النباهة صاغرا
وأقام في غار الهوان خمولا

وواضح ان الرصافي يشير الى ما كان يعانيه الاحرار من ابناء قومه من مذلة واستعباد تحت راية الحكم العثماني المستبد .

ولعل مصادر الثروة الطبيعية في العراق التى تأثرت بالاهمال كانت أشد إشارة لأحاسيس الشعراء بنكبة الوطن وبضياع آمالهم القوم التي تمزقت على ترابه :

فالشبيي يهزه منظر حياة الفراتين وهي تتبدد هباءفتمتلئ نفسه أسفاً وحزناً على ضياع تلك الثروة .

آه ياما أدق نظرة فكري
يوم شاهدت موقفا ما أجله
آه ما أكثر الجداول تجري
في ربوع نعيمها ما أقله
من ترى حرم الزلال علينا
وعلى الساكنات فيه أحله

والشاعر في هذه القصيدة يلقي بالائمة على أبناء قومه الذين رضوا بالهوان واستكانوا للعبودية .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن القصيدة الوصفية لم تعد تسجيلا للصور المختلفة في شريط متتابع ، وانما مزجت مزجا وجدانيا وتأملياً بين المشهد وبين المتلقي ـ وهو الشاعر ـ ، بل ان بعض صور الوصف اتخذت شكل الكيان الفني المتكامل ، فها هو ذا الرصافي في قصيدة « البلبل والورد » (١) يتصور قصة حب نشأت بين البلبل والوردة وهو في ثنايا قصة الحب هذه يذيع أمرها وينتشر يصف الروض ، والفراشة، والازهار ، والطل على أوراق الورد ، ويشحن الصورة بكل ما هو بهيج وسار ، فنرى البلبل في حال هيامه :

فظل يرنو مستديم النظر
رنو ظمآن الى منهل

---

(١) الديوان ص ٢٤٧ ، ٢٤٨

وهي غنت مما بها من خفر
محمـرة من لظـر مخجل
ثم تمادى غـردا صادحـا
يعلـن للـوردة أشـواقه
ينطـق بالحب لها بائحا
وهـي التي تفعـل إنطاقـه
وتنشر الطيب لـه نافحـا
كأنهـا تقصـد إشاقـه
حتى غدا البلبل منذ الصغر
في حبهـا منطلـق المقـول
ينشد فيهـا شعره المبتكـر
ولا يمنى فيـه ولا يأتـلي

ويشترك القمر ايضاً في اكمال الصورة.. صوره الألم الذي حل بالبلبل بعد رحيل الوردة وكيف لا وقد كان شعاعه الهادي يرقب همـهماوغرامها العفيف من برجه العالي .. فنرى الشاعر وكأنه ممسك بالريشة واللون ليعطينا صورة حية نابضة بالحس والوجدان :

حتى إذا الورد مضى وانقضى
وعـادت الروضـة كالبلقعـة
مست حشا البلبـل نار الغضى
من حرقه البين الذي أوجعـه
لا تسأل البلبل عمـا مضـى
في زمن الـورد له من دعـة

ولكن أسأل في السماء القمـر

عن خـبر الورد مع البلبـل

إذا كان يصغي منهـما للسمر

وهـل مطل ناظر من عـل

وفراشة الروض ايضاً تدخل في الصورة اذ يحزنها رحيل « الورد » التي أضنت البلبل وتذهب سائلة عنها الأزهار ، مستفهمة عن سر الغائبة التي ذهبت وتركت البلبل في سهره ونوحه :

فراشـة الروض ظلت لـذا

تحوم والازهـار من تحتهـا

تقبل الزهـرة ذات الشـذا

طـائرة منهـا الى اختهـا

وتسأل الأزهـار عمـا إذا

مر فقيـد الـورد من سمتها

لتخـبر البلبل بعض الخـبر

لعلـه غمتـه تنجـلي

فانه بات حليـف السهـر

مـذ نزح الورد من المـنزل

وهكذا تكمل اللوحة التي تنبض بالاحساس والمشاعر الصادقة ولو انها على لسان الوردة والبلبل ولكنها تحكي قصة الانسان والحب في كل زمان ومكان ، والصورة بالوانها الزاهية والداكنة على السواء تعطي انطباعا عصريا رومانسياً تختلف كثيراً عما الفه شعراء القرن التاسع عشر في العراق من من الصور الجامدة التي لا حس فيها :

ونجد هذه الظاهرة الجديدة واضحة ايصاً في قصيدة للرصافي بعنوان

« اغرودة العندليب » (١) التي يمزج فيها بين حرية العندليب وقضية الحرية عامــة التي تعتمــد على حرية الكــلام والانطــلاق من الأسر والسجن والعبــودية .

يا قــوم اني خلقت حــراً
لم ارض الا الفضا مقــراً
فــان أردتم ان تونــسوني
ففي المبــاني لا تحبســوني
وان اردتم ان تنطــوني
فاطلقــوني ، فــأطلقــونى

ومجمل القول ان فن الوصف - برغم اصالته وقوته في شعرنا العربي - قد تأثر تأثراً واضحاً بحركة التطور والتجديد فلم يصبح مجرد نقل امين من الواقع ، او مجرد تصوير ساذج من الحياه وما تحتوي من صــور ، وانما حاول شعراء النهضة ان يبثوا الحياة في الأشياء التي وصفوها وان يعقــدوا الصلة الانسانية والوجدانية بين نفوسهم وبين الكائنات الموصوفــة ، وان يسقطوا ما بداخلهم من كآبة ومن أمل وقوة على ما ترى عيونهم الشاعرة الناقدة . يساعدهم على هذا الوصف الجديد ما يملكون من سعة افق ورغبة في اثراء المضمون الشعري واستخدامهم الذكي للرمز الشعري او القــاموس الشعري لكلمات موحية ذات دلالة معبرة او انطاق الجوامد لاثراء الصورة الفنية وتعميقها ، او تنمية اتجاه الحكاية ليمكن لهم حرية الحركة وتعــدد الصور الفنية .

---

(١) الديوان ص ٢٤٨ .

الشعر السياسي

ولعل من ابرز الاغراض التقليدية التي سايرت ركب التطور الحديث الشعر السياسي :

والشعر السياسي فن شعرى قديم قدم الشعر العربي ، يوم كان الشاعر فرداً في قبيلة هي دولته الصغرى ، فهو يحتفي بها ويعجب بمآثرها، وشعره فيها شعر قبلي يتحدث فيه عن أمجاد القبيلة وعزتها أو شعر متصل بالنظام الأساسي للعشيرة وتدبير شئونها وسياستها . (١) ثم تطور هذا الغرض بتطور المجتمعات العربية واتخذ اشكالا مختلفة في التعبير حسب الظروف والأحداث . فبرز بشكل أقوى عندما اشتد الصراع بين السلطة الحاكمة المتمثلة في بني أميه وبين القوى السياسية الاخرى التي مثلتها الشيعة والخوارج فالزبيريون وغيرهم بعد ان أصبح لكل قوة من هذه القوى شعراؤها الممثلون لوجهة نظرها ، والمدافعون عن اهدافها . وقد ضعف هذا اللون من الشعر عندما ضعفت الاحزاب السياسيه نتيجة اشتداد سطوة الخلفاء في العصر العباسي .

وازاء ثورة الفكر التي تسربت الى البلدان العربية في القرن التاسع عشر والتى تمثلت فى الصراع القائم بين النظم القديمة التى تتبعها حكومات الاستبداد وبين الانسان الجديد الذي نهل المبادىء الجديدة وبدأ فعلا يتأثر

---

(١) راجع كتاب تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني لاحمد الشايب ص ٣٣ .

بها ، كان طبيعياً ان يجد الشعر السياسي بيئة خصبة امدتـه بالحياة ليبرز ثانية نابضاً حياً يعكس المفاهيم الجديدة ويحمل مسحة تتناسب وطبيعة العصر :

ولو تتبعنا الشعر السياسي منذ بواكير النهضة الحديثة التي بدأت معها مرحلة الصراع الفعلي بين القوى الرجعية الدخيلة المتمثلة في حكومة العثمانيين وبين قوى الشعب الذي اخذ يتطلع للتحرر والى حياة افضل ، لرأينا ان هذا اللون من الشعر يمثل المجال الاوسع بين اغراض الشعر الاخرى التى طرقها الشعراء ابان تلك الحقبة ، كما نجد من خلال سيره الزمني انه تشعب مع تشعبها الاهداف والمفاهيم التى رافقت عصر التطور في العراق ، فقد عالج اهم الموضوعات التي تتعلق بالكيان السياسي للامة العربية والتي يمكن حصرها فى محورين أساسيين :

المحور الاول : الدعوة الى مكافحة الاستبداد العثماني ومن ثم تناولت مناهضة الاستعمار الاجنبى بكافة صوره .

المحور الثاني : الدعوة الى بعث كيان الامة العربية واسترداد مجدها ثم الدعوة لتوحيدها .

الدعوة الى مناهضة الاستبداد العثماني :

وهو المحور الأول الذى بدأ بشكل نقد تهجمي لسياسة العنف والقوة التي اتبعها السلطان عبدالحميد ، وقد انسرب هذا النقد فى صور عديدة منها توجيه الاذهان الى ما لحق بالامة من تردد وضعف ، والاهابة بها ان تتمسك بالحرية والكرامة التي فقدتها فى ظل حكومة السلطان عبدالحميد ، ويستحثها على النفور من الذل واباء الضيم ويحبب اليها الثورة ، وابرز من حمل لواء

تلك الدعوة الزهاوي والرصافي ، ثم الكاظمي والشبيبي ومن سار فى اتجاههم من بقية الشعراء .

فلكل من الزهاوي والرصافي حملات تستوقف النظر ، كلها موجهة لنقد سوء الادارة وضعف كيانها السياسي ، وقد جهرا بثورتهما تلك في العراق بل وفي الاستانة نفسها ، وخير مثل نسوقه قصيدة الزهاوي « حتام تغفل » (١) التى تعد بحق اول صرخة عربية اطلقت في مهاجمة ادارة ذلك العهد ، وكان عقابه عليها « النفى » من الاستانة الى وطنه بغداد . وفيها يوجه النداء الى ابناء قومه قائلا :

الا فانتبه للأمر حتى م تغفل
اما علمتك الحال ما كنت تجهل
اغث بلداً منها نشأت فقد عدت
عليها عواد للدمار تعجل

وفيها تعرض للحكومة ونقدها نقداً لاذعا ، فوصفها بالدولة الهمجية المستبدة التى تخضع في سياستها للأهواء والنزعات فتاهت بذلك القيم وانحدرت المثل والمقاييس ، ومنها :

وما هي الا دولة همجية(٢)
تسوس بها يقضي هواها ويعمل
فترفع بالاعزاز من كان جاهلا
وتخفض بالاذلال من كان يعقل

---

(١) ديوان الزهاوي الكلم المنظوم ص ٧ و ٨ جمع وتحقيق د . محمد يوسف نجم . وفي ديوانه طبعة ٢٤ ١ ص ٢٨٠ / ٢٨٢ .

(٢) في الالباب ص ١٢ مستبدة .

فمن كان فيها أول فهو آخر

ومن كان فيها آخر فهو أول

وبعد ان يتناول صور سياستها الجائرة يلتفت الى قومه مستصرخاً اياهم للثورة قائلا :

إلام نوالي الخائفين بحقنا

ونسكت عما يعملوه (١) ونكسل

وتلطمنا كف الاهانة منهم

فنلثمها من خشية ونقبل

شريف ينحى عن مواطن عزه

وآخر حر بالحديد يكبل

وجازعة عبرى لقتل خليلها

ووالدة تبكي بينها وتعول

اذا سكت الانسان فالهم والاسي

وان هو لم يسكت فموت معجل

ولجتم طريق العنف تستنهجونه

اما عن طريق العنف ياقوم معدل

ولا شك في ان هذه القصيدة تعبر عن احساس جديد وثوره جريئة تصور ما كان يكابده الفكر الحر في صراعه مع قوى الاستبداد ونحس نفس الثورة في قصيدة الرصافي « تنبيه النيام » (٢) التى هي من اوائل

---

(١) كذا في الديوان والصواب يعملونه .

(٢) ديوان الرصافي ص ١٠٣ .

تناجه في هذا المضمار ، وفيها يتعجل الايام لخـلاص تلك البلاد من ربقة الظلام والاستعباد على ايدي ابنائها الذين يرجو لهم ان يستيقظوا من رقادهم وينتبهو الى ما هم فيه من ذل وانحطاط :

أما آن ان يغشى البلاد سـعودها
ويذهب عن هذي النيام هجودها
متى يتأتى في القـلوب انتباهها
فينجاب عنها رينها وجمودهـا

وفيها يتطلع الى بطل ينقذ تلك الامة التي اصبحت اسـيرة حكام اثقلوها بالقيود وضيقوا على احرارها الحدود ، فيقول :

أما أسـد يحمي البلاد غضنفر
فقد عاث فيها بالمظالم سـيدها
برئت الى الاحرار من شر أمة
أسيرة حكام ثقال قيودهـا
جرى الجور منها في بلاد وسيعه
فضاقت على الاحرار ذرعاً حدردها

ولعل اروع ما جـاء في قصيدته تلك الابيات التي صور فيها معاناة الفكر الحر في ظل الانظمة الدكتاتورية من مهانـة وأضطهاد حتى ان الفرد يتمنى الموت ويجد فيه نعمة لاينكرها حر :

عجبت لقوم يخضعون لدولـة
يسـوسهم بالموبقات عميدهـا
واعجب من ذا أنهم يرهبونها
وأموالها منهم ومنهم جنودهـا

اذا وليت أمر العبـــاد طغاتها

وساد على القوم السراة مسودها

واصبح حر النفس في كل رجهه

يرد مهاناً عن ســبيل يريدها

وصارت لئام الناس تعلوا كرامها

وعاب لبيدا في النشيد بليدهـا

فمــا انت الا ايها الموت نعمة

يعز على أهل الحفاظ جحودها

ثم ينتهي باللائمة على ابناء قومـــه الذين استكانوا للذل وارتضوا بالعيش في ظل العبوديــة ويتهمهم بالغفلة التي اضاعت حقهم الشرعي في الحياة الكريمة كما يحثهم بعـد ذلك بالسعي والثو ة التي هي الســبيل الوحيد لانقاذهم من هـذا المصير التعس ، ويري ان ذلك لن يتم الا بالاتحـاد وتوحيد الجهود :

بنى وطني مالي أراكم صبرتم

على نوب اعيا الحصاة عديدها

اما آدكم حمل الهوان فانه

اذا حملته الراسبات يئودهـا

قعدت عن السعي المؤدي الى العلى

على حين يزري بالرجال قعودها

الم تروا الأقوام بالسعي خلدت

مآثر يستعصى الزمان خلودها

ومنها .

قد استحوذت يا للخسار عليكم
شياطين انس صال منكم مريدها
وما اتقدت نار الحمية منكم
لفقد اتحاد فاستطال خمودها
و لولا اتحاد العنصرين لما غدا
من النار يذكو لو علمتم وقودها

ومثل تلك القصيدة قصيدته « سوء المنقلب » (١) التي يعرض فيها امام قومه ما وصلت اليه أمورهم من ترد و انحطاط وما لحق بديارهم من خراب ودمار أضفى على حياتهم محنة فوق محنة .

ومنها :

بغـداد حسبك رقدة وسبات
أو ما تمضك هـذه النكبات
ولعت بك الأحداث حتى اصبحت
أدواء خطبك مالهـن أسـاة
قد ظل أهلك رشدهم وهل اهتدى
قـوم أجاهلهم هـم السروات
قـوم أضاعـوا مجدهم وتفرقوا
فتراهـم جميعاً وهـم أشتات

وترتفع صرخته بالقوم ليهبوا من رقادهم وليحسوا بواقعهم الأليم :

يا صابرين عـلى الامور تسومهم
خسفا عـلى حين الرجال اباة

---

(١) الديوان ص ١٠٥/١١٠

لا تستنيموا للزمـــان توكـــلا
فالـــدهر نزاء لـــه وثبـــات
فالى متـــى تستهلكون حياتكم
فـــوضى وفيـــكم غفلة وانـــأة
ان البـــلاد اذا تخاذل اهلها
كانت منافعها هـــي الآفـــات
تلك الرصافـــة والميـــاه تحفها
والكرخ قد ماجت به الازمات
سالت مياه الواديين جوارفـــا
فطفحن والاســـداد مؤتكـــلات
حتى استحال الكرخ مشهد ابؤس
تبـــكى بـــه الفتيان والفتيات

وعندما يبعث السلطان عبدالحميد جيشاً من ابناء العراق لمحاربة ابن سعود وقد هلك معظم الجيش جوعا تبلغ الثورة مداها في قلب الرصافي الثائر خاصة وهو يرى قومه وكأنهم في معزل عما يجري لايكادون يحسون بوقع تلك النكبات التى تلحق بهم كل يوم على ايدى حكومة الاستبداد ويكتب قصيدة تحت عنوان « ايقاظ الرقود » (١) يصور فيهايأسه من هؤلاء القوم وحزنه لاستكانتهم ورضوخهم للهوان فيقول ،

الى كم أنت تهتف بالنشيـــد
وقد اعياك ايقاظ الرقـــود

(١) ديوان الرصافى ص ١١٦/١٢٢ .

فلست وان شددت عرا القصيد

بمجد في نشيدك او مفيد

لان القوم في غي بعيـد

وفيها يذكر القوم بانه في الوقت الذي يرتقي فيه العالم سلم الحضارة والتقدم تهبط امتنا الى هاوية الانحطاط بعد ان اعيقت عن كل سبيل للتقدم ولذلك فهو يستعجل الامة ان تضع حدا لذلك العيش الذي شبهه بعيش والقرود.

ترقى العالمون وقـد هبطنا

وفي درك الهوان قد انحططنا

وعن سفن الحضارة قد شحطنا

فقطنا يا بني بغداد قطنا

الى كم نحن في عيش القرود

وعندما اعيت الشاعر الحيل في ايقاظ بني قومه اتجه الى السلطان موجها له كل ما يعتمل به صدره من ثورة وتمرد ويتعرض له صراحة قائلا :

ســكنا من جهالتنـا بقاعـا

يجور بها المؤمر ما استطاعا

فكدنا ان نموت بها ارتياعا

وهبنـا أمـة هلكت ضياعـا

تولى امرها عبدالحميد

ويسخر بعد ذلك من السلطان سخرية مريرة تطفح بالالم وتضج بالأنين فيقول :

فدتك الناس من ملك مطاع
ان ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخشى الاله ولا تراع
فهل هذه البلاد سوى ضياع
ملكت أو العباد سوى عبيد

هذا الضرب الثائر الصريح من الشعر السياسي الذى وقف في وجه الطغيان الحميدي معبراً عن احاسيس الامة ومشاعرها وآمالها كان بلا شك بداية لانطلاق الشعر القومي الوطني الذي اتسع مع اوائل القرن العشرين (١) وتبنى بعد ذلك قضية الأمة في معركتها مع الاستبداد العثماني الذي انتهى بقيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م ودخول العراق تحت سيطرة قوات الاحتلال البريطاني .

الشعر السياسي ومناهضة الاحتلال الانكليزي :

ومع هذا الإحتلال تبدأ للشعر السياسي في العراق مرحلة صراع جديدة . وقد بدأ هذا الصراع بعد ان إنكشفت نوايا المستعمرين الجدد فى إحتلالهم للعراق . وبانت اطماعهم للعيان من خلال الأعمال التي قاموا بها :

---

(١) راجع حاشية ص ٢٩٩ من كتاب الشعر السياسى العراقي . ابرهيم الوائلي ط . ١٩٦١ .

فعندما دخل الانكليز العراق أوهموا الشعب بأنهم جاءوا ليحرروه من ربقة الاستعباد التركي ويساعدوه على إقامة حكم وطـني ذاتي (١) . ولكنهم بدلا من ذلك فرضوا عـلى العراق حكما عسكرياً مباشراً ، (٢) وقد كان هذا العمل كافياً لان يصاب العراقيون بخيبـة أمل مريرة أذكت في نفوسهم روح التمرد والاستياء .

أما من الناحية الادارية ، فقد عامل المحتلون الشعب العراقي معاملـة اتصفت بالعنف والتعسف مست مشاعر المواطنين وامتهنت كرامتهم (٣)، كما وقفوا في وجه كل الحركات التحررية والآراء القومية محاولين خنقهـا والقضاء عليها بشتى الوسائل من سجن وتعذيب ونفي . يضـاف الى ذلك سوء تصرف الحكام العسكريين تجاه أبناء العراق (٤).

---

(١) راجع خطاب الجنرال مود الذي القاه يوم ١٩ آذار عام ١٩١٧ عند دخول قواته العراق في كتاب الثورة العراقية الكبرى تأليف عبدالله الفياض ١٤٣ طبعة أولى . وزارة الارشاد ببغداد سنة ١٩٦٣ وفي كتاب خيري للدكتور يوسف عزالدين ص ٣٩/٤٠ .

(٢) المصدر الأول ص ١٤٧ - راجع تعليق المس بل .

(٣) راجع محاضرات عن الشعر العراقي الحديث للاستاذ عبـدالكريم الدجيلي ص ٤٦ طبع معهد الدراسات العربية سنة ١٩٥٩ .

(٤) كان الحاكم العسكري في النجف عندما يريد التجوال في الطـريق يرسل لفيفاً من الشرطـة وبيدهم السياط يجبرون الناس على الوقوف إحتراماً للقادم وبعبارات شائنة (انظر كتاب الشعر العراقي الحديث للدكتور يوسف عـزالدين ص ١٤٢ وكتاب العـراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٣٦ و ٦٥ ...

أما من الناحية الاقتصادية فقد استولى المحتلون على كل خيرات البلاد مما أدى الى ارتفاع الاسعار إرتفاعاً فاحشاً (١) . كما فرضوا الغـرامات والضرائب والرسوم التي لا يسندها أي مبرر شرعي (٢) .

هذه الأمور وغيرها فضحت مزاعم المستعمر الجديد واظهرت حقيقة شعاراته التى نادى بها ، امام الشعب العراقي .

كان طبيعياً بعد ذلك ان يجد هـذا صـدى في النفوس وان يقـابل بموجة من الاستنكار العنيف والسخرية المريرة..ونلمس هذا التيار واضحاً فى الشعر الذي رافق تلك الفترة من الزمن .

ومنه قصيدة الرصافي « الحق والقوة » (٣) التى عبر فيها عن خيبـة الامل التى منى بها العراقيون بعد ان كشف المستعمر الجديد عن حقيقـة نواياه . وفيها يسخر من اكاذيب هذا المحتل الطامع الذي يتعرض للشعوب الامنة باسم المدنيه والرقي والسلام . .

يقولون ان الحق فى الخلق قوة
تذل لها الاعناق قهراً وتنـدق
فما باله يمسي ويصبح شاكياً
ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق
الى الله نشكو الامر من مدنيـة
تعارض فى أوصافها الكذب والصدق

---

(١) راجـع محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص ٤٦ .

(٢) راجـع ص ١٣٢ وما بعدها من كتاب الثورة العراقية الكبرى .

(٣) ديوان الرصافي ص ٤٠٥ / ٤٠٦ .

وكم قد سمعنا ساسة الغوب تدعى

باشياء من بطلانها ضحك الحق

ثم يشير الى سوء الادارة والحكم الذي اتبعه الانكليز في العراق بقوله :

فهم منعوا رق الاسير وانما

أجازوا لهم ان يشمل الامم الرق

ألم تر فى القطر العراقى امة

من الاسر مشدوداً بأعناقها ربق

قد اختط فيه السيف للقوم خطة

من العنف لم يمرر بساحتها رفق

واوجرهم سما من الذل ناقعا

بكأس من العدوان ليس لها مذق

هكذا يصور الرصافي حقيقة المحنة التى يعيشها الشعب في ظل الغاصب الجديد أمة اسيرة مشدودة الاعناق يقودها دخيل بقوة السيف التى لا تعرف للرفق طريقا ، ويذيقها في أرضها كأس الذل والمرارة والهوان.. وثيقة اتهام عنيف يلقيها الشاعر فى وجه المحتل ليفضح مزاعمه ويعرى حقيقته امام الامة وامام العالم : :

أما الشبيبي الذي عاش تلك الاحداث بأحاسيسه وضميره فيطلق صرخة لبنى وطنه يحذوهم فيها من وعود الانكليز ويبصرهم بنواياهم الخبيثة :

وعودكم الاصلاح فلتتوقعوا

برقاً جوانب وعده ايعاد (١)

---

(١) من قصيدته « دمشق وبغداد » ديوانه ص ٣٣ / ٣٨ .

اطلاق ايدينا على ايدى العدى

رق وفك اسارنا استعباد

وفيها يترصد لاعمال الانكليز التى كانوا يقومون بها باسم الاصلاح والتعمير ويرى فيها شباكا تنصب لاصطياد حرية الشعب وشرف الوطن.

مدوا الحديد وما اهتززت لمده

سكك الحديد بارضنا أصفاد

طرق الحديد اذا التوت وتشابكت

شرك به شرف العراق يصاد

بهذا الاباء الحر الذى انطلق على السنة الشعراء قابل العراقيون سياسة الانكليز. وكان طبيعيا بعد ذلك ان يتجه التفكير الى ضرورة قيام ثورة تجبر هؤلاء على اقامة حكومة وطنية من ابناء الشعب تضمن لهم الاستقلال والحرية.. لذا فقد بدأت نذر الثورة تلوح في سماء العراق.. واخذ الناس يستعدون لخوض حرب ضد قوات الاحتلال.. ومما الهب الحماس فى صدورهم ان تلك الحرب في نظرهم كانت حربا مقدسة وان رجال الدين هم الذين افتوا بقداستها، وان من يموت فيها كان مجاهدا في سبيل الله(١).

ولعل نظرتهم تلك جاءت نتيجة احساسهم بأن المستعمر الجديد لا تربطه بهم أي صلة.. فهم اذا ارتضوا بحكم الأتراك وتحملوا جورهم واستبدادهم حقبة من الزمن فلأن هناك روابط دين وتاريخ وجوار ومع ذلك فقد سئموا حكمهم وثاروا على استبدادهم.. فكيف بعد ذلك يرتضون بحكم غاصب أجنبي يريد فرض وصايته عليهم بالقوة وليس هناك ما يبرر تلك الوصاية؟

---

(١) راجع محاضرات عن الشعر العراقي ص ٤٧

وقد وجد الشاعر محمد حبيب العبيدي في تلك الحقيقة وتراحساً يحرك به مشاعر قومه ويستثيرهم للثورة ، فيقول :

ما تركنا اخواننا الأتراكا
فخذلناهم ووازرناكا (١)
شغفاً يا ابن لندن بهواكا
بل لنيل استقلالنا بولاكا
فلماذا تكون فينا وصيا
لم تكن يا ابن لندن علويا
هاشمياً لا ولم تكن قرشيا
لا ولا مسلما ولا عربيا
من بني قومنا ولا شرقيا
فلماذا تكون فينا وصيا

هذه الاصوات التي اتخذت اسلوب الطعن والنقد لسياسة الانكليز ومحاولة كشف حقيقتهم ومطامعهم الاستعمارية ثم تجريدهم من كل حق شرعي يدعم وصايتهم على العراق ، كانت في حقيقتها انعكاسا للوعي الوطني والسياسي الذي ازداد حدة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى تمخض بعد ذلك عن انفجار ثورة العشرين . تلك الثورة التي تعد أروع عمل بطولي قام به العراقيون ضد السلطات المحتلة .

ثورة العشرين واثرها في الشعر السياسي :

ولا ننسى الدور الكبير الذي لعبه الشعر العراقي في التمهيد لتلك الثورة

---

(١) راجع القصيدة في الشعر العراقي الحديث للدكتور يوسف عز الدين ص ١٥١

وقيادتها ومؤازرتها ، فقد وقف الشعراء الى جانب الخطباء يغلون الحماس في النفوس ويعبرون عن اهداف الثورة ..

وفي الحقيقة ان ثورة العشرين رغم فشلها في طرد المستعمر من الاراضي العراقية ، الا انها تركت آثار واضحة لا في المجال السياسي فحسب ، بل وفي المجال الأدبي .

ففي لمجال السياسي ، اجبر قيامها السلطات المحتلة على تغيير سياستها في العراق ، باستبدال الحكم المباشر بحكومة وطنية كما سميت آنذاك وان استمرت تحت الانتداب البريطاني بعد ذلك . . ولا شك في ان ذلك يعد خطوة واسعة حققها العراقيون في مضمار الكفاح الوطني ، اما في المجال الأدبي - وهذا مايهمنا - في البحث - فقد كانت ثورة العشرين في الواقع أخطر حدث حرك الأقلام الأدبية في تلك الفترة .

فقد اشترك فيها عدد ضخم من الشعراء العراقيين المبرزين منهم وغير المبرزين من الشعراء الشباب الذين لم يكن لهم قبل تلك الثورة نتاج ملحوظ.. نذكر منهم الدكتور محمد مهدي البصير الذي يعتبر ابرز هؤلاء الشعراء الشباب الذين عبروا عن تلك الثورة القومية الكبرى . وله فيها عدة قصائد مشهورة نذكر منها قصيدته التي مطلعها .

بـيـن الأسنة والقواضب

شرف المبادىء والعواقب (١)

وفيها يقول ،

أيضام شعب باسل جم المآثر والمناقب

---

(١) أورد القصيدة الاستاذ حسن الدجيلي في كتابه محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص ٤٨ ومطبوعات معهد الدراسات العربية العالية .

صَفَّ الشكيمة صادق		بجهاده سامي المذاهب
انا بجنبنا الشقاق		فكيف يحكمنا الاجانب

ومنهم أيضاً الشاعر عبد الرحمن البنا الذي يقول .

ألا هكذا من رام أن يتحررا
يطالب ومن يسكت يعش متأخرا (١)
نهضنا فكسرنا القيود بهمة
لها قد غدا جمع العدو مكسرا
نهضنا الى استقلالنـا بتكاتف
نعمر مجـدا قبلنا قـد تبعثرا

ومن شعراء الثورة أيضا الشاعر محمد علي اليعقوبي الذي يحي في قصيدته الثوار ويعدهم بالنصر الأكيد فيقول :

احبتنـا بساحـات الكفاح
ثقوا بالنصر فيها والنجاح (٢)
نفرتم للوغـى لما دعـاكم
لها الداعـي بشوق وارتياح
سمحتم بالنفـوس لها فكنتم
مثالا للشجاعـة والسـماح
ففزتم بالفخـار بها وآبت
أعاديكم بخـزي وافتضاح

---

(١) نفس المصدر ص ٥١ .
(٢) المصدر المذكور ص ٥٣

بيـوم سجل التاريخ فيـه
مواقفكم بشكر وامتـداح

به ابتهجت نواح الشعب بشرا
و (لندن) باكية النواحي

وغير هؤلاء الشعراء كثيرون منهم محمد باقر الحلي وناجي القشطيني وعبدالرزاق الهاشمي وحبيب العبيدي وعلي البازي وعبدالكريم الندواتي (اللامي) ومحمد جـ واد المعمار وخيري الهنداوي وحسن الجواهري ومحمد الجزائري وصادق الاعرجي ومحمد باقر الشبيبي وصالح بحرالعلوم وعبدالكريم العلاف وصالح الجعفري وغيرهم (١)

هؤلاء الشعراء الذين خاضوا بشعرهم معركة الشعب القومية مـع المستعمر الغاصب قدموا للحركة الأدبية في العراق صفحات جديدة مليئة بصور الكفاح السياسي الوطني .

وقد كون شعرهم تيارا ذا طابع مميز ، تيار يرفده الاخلاص وتعلوا به النبره الحماسية والاسلوب الخطابي الذي يعتمد عـلى العبارات السهلة الواضحة ، ولكنه في الاعم الاغلب دون المستوى الادبي الرفيـع . وذلك أمر طبيعي لا في شعر هؤلاء الشعراء فحسب بل هو شأن كل ادب تخلقه الاحداث والمناسبات .

فالشعر الذي قيل خلال ثورة العشرين كانت غايته التأثير والتوجيه واستقطاب الضوء على موضوع معين هو مقاومة الاستعمار البريطاني ، ومثل تلك الغاية تضع الشاعر أمام التزامات صعبة لا يستطيع الافلات منها الا من كان ذا موهبة ومقدرة قوية .

---

(١) راجع كتاب شعراء الثورة العراقية .

ومن هذه الالتزامات ، الصدق في سرد الأحداث ووصف عواقبها وهذا الالتزام قد يجر الشاعر في كثير من الاحيان الى ضعف الاداء ، يجئ شعره أقرب الى المقال السياسي منه الى الشعر الفنى ..

ثم ان الشاعر الذي يتوخى التأثير مطلوب منه ان يتكيف مع جمهور السامعين بأن يهبط بمعانيه الى مستوى الفهم البسيط ، كما أن المناسبة لاتترك للشاعر طول الروية وجمال التنميق فأدبه فيها أدب سريع تخلقه المناسبة وللمناسبة وحدها .

ولاننسى بعد ذلك أن معظم الشعراء الذين اشتركوا في التعبير عن ثورة العشرين في العراق كانوا من الشعراء الناشئين ، بل ان قسما منهم لم يكن له قبل الثورة ولابعدها نتاج يذكر ، وانما حفزتهم الثورة ليقولوا نظما موزونا مقفى (١) .

الشعر السياسي والانتداب البريطاني :

ولم يقف تيار الشعر السياسي بانتهاء الثورة وتشكيل الحكومة الجديدة بل ظل في مسيرته يناهض الانكليز ويهاجمهم من خلال الأحداث والمناسبات . .

فتشكيل الحكومة الوطنية التى ترأسها الملك فيصل لم ير فيها الشعراء غير واجهة كاذبة وضعتها الاستعمار تحت ستار الوطنية ليخفي من ورائها حقيقة مطامعه .

---

(١) راجع كتاب محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص٥٧

وقد عبر الرصافي عن رأيه في قصيدة « حكومة الانتـداب » (١)
قـائلا :

انا بالحكومـة والسياسة أعرف
أألام في تفنيـدهـا واعنف
هذي حكومتنا وكل شموخهـا
كذب وكل صنيعهـا متكلف
غشت مظاهرها وموه وجهها
فجميع ما فيها بهارج زيف
وجهـان فيهـا باطن متستر
للأجنـبي وظاهـر متكشف

ومنها ايضاً :

عـلم ودستور ومجلـس أمـة
كل عن المعنى الصحيح محرف
أسماء ليس لنا سوى ألفاظهـا
أما معانيهـا فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعـلم انه
وفقاً لصك الانتـداب مصنف

وفي قصيدته « الوزارة المذنبة (٢) يسخر سخرية لاذعة من الوزارة التي شكلها الانكليز فيقول :

اهـــل بغـــداد افيقـــوا
مـن كرى هـــذي الغرارة

---

(١) ديوان الرصافي ص ٤٥٣ .

(٢) الديوان ص ٤٥٦ .

أن ديك الـدهر قـد با
ض ببغـــداد وزارة
شأنهـــا شـأن عجيـب
قـصــرت عنـــه العبــارة

ثم يفضح حقيقة هؤلاء الوزراء الذين نصبهم الانكليز على كراس الحكم وهم لا حول لهم ولا قـوة :

لا تسل عنــه وزير القــوم واســأل مستشـاره
فوزير القــوم لا يعمــل من غير إشاره . .
وهو لا يملك أمرا غير كرسي الوزارة
يأخذ الراتب اما بلغ الشهر سراره
ثم لا يعرف من بعد خـراب ام عمـاره

اما محمد مهدي الجواهرى فلا يرى فى تلك الحكومة ودوائرها غـير رواية ممسوخة الأدوار وما وزراؤها ونوابها الا ممثلين يرددون ما يلقنهم به شيخهم المتواري خلفهم وهو الاستعمار البريطاني فيقول :

ورواية حبك الزمـــان فصولها
فبـدت لنا ممسوخه الأدوار (١)
من شر ما اختلق الرواة ولفقت
حيل وضمت دفــة الأسفار
وممثلـين تصنعـا ووراءهم
خلف الستار ملقـن متوارى

---

(١) ديوان الجواهري ص ١ مطبعة بغداد .

ويعبر الصافي النجفي عن خيبة أمله في الحكومة الجديدة عندما يجد ان وضع الشعب لم يتبدل عن وضعه ايام دولة الاتراك :

سقطت دولــة وجاءت سواها
فجرى مثل اختها في قياس (١)
خدعوا الشعب ثم اردوه ميتاً
بفم باســم وقلب قاســي
ساسة الغرب تخدع الخصم ولكن
خادع الشعب في بلادي سياسي
كيف يرجو الشعب الوديع أمانا
من نفوس ربت على الافتراس

أما صالح بحر العلوم فيحمل على الملك فيصل الذي يرى فيــه رأساً للأذناب والخونة من العمــلاء ويخاطبه بقصيــدة عنوانها « والعبــودية والأغلال » (٢) قائلا :

أبأ ثــواب الرعــاع الباليــة
قد تعودت ارتداء السنــدس
أم عــلى جانب بئر البادية
كنت تسقى عذب ماء التايمس
فاذكر تلك الحيــاة الماضيــة
وتذكر ان ذا من نفســي
أنا قــدمت الدمــاء الزاكيــة
فتــأخرت بتــاج الدنس

---

(١) ديوان الأمواج ص ٥٢ المطبعة المصرية بدمشق .

(٢) ديوان شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم ص ١٢ مبعة اسعد ببغداد ؛

هذا التيار الذي اتخذ اسلوب النقد والهجوم على الحكومة ورجالها ومن وراءهم الاستعمار رافقه تيار آخر يلتفت الى الشعب يصور احواله ويعكس بؤسه وما يلاقيه من الآم تحت ظل الحكم الجديد .

فالشاعر عبدالصاحب الدجيلي يرى هذا الشعب الذي قاسى المحن والمصاعب ايام العثمانيين لم يزل يقاسي منها فى عهد حكومته الوطنية التي خذلت ابناء هذا الشعب ومزقت آماله التحررية على تراب الوطن . ولا يملك الشاعر ازاء هذه الحقيقة الا الألم والدموع لهذا الوطن .

وطني المحبوب كم كابدتها
محناً اضوتك دمعاً ودماء (١)
وعلى ارضك كم اريقه
ضربت للظلم لم السماء
وكم استشرى بك الشر وكم
روع الحي وكم ريع الحمى
وتمادى كم تمادى خائن
يتولى خائنا او مجرماً
صاح في أرجائها نهباً كما
لج فى غلوائه واحتدما

ويرى صالح بحر العلوم قصور الطبقة الحاكمة التي امتدت على جوانب دجلة وعلى رأسها « قصر الزهور » (٢) فيثير منظر الترف في نفسه مرارة

---

(١) راجع تلك الأبيات فى كتاب محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص ٦٧ .عن ديوان الشاعر المخطوط

(٢) اسم القصر الذى انشيء لسكن الملك فيصل بن الحسين .

الأسى للشعب البائس المعدم الذي قدم الدماء والضحايا لا يتحرر وينال الحياة الكريمة .. بل لتنعم طبقة وضعت نفسها فى خدمة المستعمر الدخيل :

قبور قومي بضفاف الفرات
قد منحت دجلة هذه القصور
وصبر ثوار الفرات العراة
ألبس بغداد تاج الغرور
ومن اسى نسوته الثاكلات
أسست الزوراء (قصر الزهور)

الدعوة الى بعث كيان الامة العربيه واسترداد مجدها ثم الدعوة الى توحيدها:

وهو المحور الثاني الذي دار فيه الشعر السياسي في العراق .

وقد تمثل هذا الاتجاه بادئ ذي بدء في التعبير عن النزعات القوميه المختلفة .

لا شك في ان القومية تنمو عند الانسان في البدء على شكل احاسيس ومشاعر يحس بها ويتجاوب مع اصدائها ثم ما تلبث تلك المشاعر والأحاسيس ان تتبلور في افكار ومفاهيم سياسية واجتماعية محدودة يدعو لها شباب الأمة ورجالها وكهولها .

والفكرة القومية كفكرة محدودة ذات هدف ومفهوم لم تكن قد تبلورت بعد ، خاصة في الفترة الأولى من العصر التركي ذلك ان اكثر الشعراء كانوا يخلطون بينها وبين الفكرة الاسلامية ، الا ان هذا لا يعني عدم ظهور بوادر نلمحها متفرقة فى قصائد الشعراء .

ولو تتبعنا تلك البوادر لوجدنا انها تمثلت في مظاهر مختلفة .. ولعل من أهم تلك المظاهر :

١ ـ البكاء على المجد العربي القديم .

لا شك ان احساس الشاعر الواعي الذي آمن ان لامته العربية مجد قديم سادت به العالم يوماً من الأيام هو الدافع الأول جعله ينشد مستقبلا افضل ويسعى لإعادة ما فقده العرب من مكانة وعزة .

وبقي هذا الشعور القومي الاصيل براود نفس الشاعر في كل فرصة تثار فيها عواطفه ووجدانه .

فشهد بغداد وقد افاضت عليها دجلة بسيول عارمة اخذت تبتلع كل جوانبها جانباً بعد آخر، حز المنظر في نفس الرصافي ، وآلمه ان يرى بغداد كعبة العلم ومنارة الحضارة وقد تناولتها يد الزمان بالهدم والخراب.. واخيراً هددها الفيضان بالزوال ومع كل ذلك فأهلها سادرون في غفلة عنها . . وكأن توالي النكبات لم يعد يعنيهم في شيء فقال :

بغداد حسبك رقدة وسبات
أوما تمضك هذه النكبات (١)
ولعت بك الاحداث حتى اصبحت
ادواء خطبك ما لهن اساة
قلب الزمان اليك ظهر مجنه
افكان عندك للزمان تراث
ومن العجائب ان يمسك ضره
من حيث ينفع لو رعتك رعاة

---

(١) الديوان ص ١٠٥ .

ولا تلبث خواطره ان تقوده الى الوراء الى المنصور الخليفة العباسي الذي اوجد بغداد ورفع لواءها عالياً من بعده الرشيد ليرفع الصوت اليهم ويبثهما شكواه وشكوى بغداد التى ذلت من بعدهما:

من مبلغ المنصور عن بغداده
خبراً تفيض لمثله الهبوات
أمست تناديه وتندب اربعاً
طمست رسوم جمالها الهبوات

ويقول :

يا لآبي الخلائف لو ترى
اركان مجدي وهي منهدمات
لغدوت تذكرني وتبرح قائلا
بتعجب ما هذه الخربات
اترى ابو الامناء يعلم بعده
بغداد كيف تروعها النكبات
لا دجلة يالرزية دجلة
بعد الرشيد ولا الفرات فرات

الى ان يقول :

يا قصر باب التبر كنت مقروناً
تشفي الهموم مروجها الخضرات
ماذا دهاك من الهوان فاصبحت
آثار دهرك وهي منطمسات
قد ضيعت بغداد سابق عزها
وغدت تجيش بصدرها الجمرات

ooooooooooo

ولما قـام الاصلاحيون في بيروت يطالبون الدولة العثمانيـة بتحقق الاصلاح قال الرصافي قصيدة يؤيدهم فيها ويدعو العرب جميعاً للانضمام اليهم ، سالكا في دعوته اسلوب التذكير والعرض لماضي العرب العتيـد يوم كانوا امة واحدة ملتئمة تحت راية واحدة وحكم موحد عادل حقق لهم العزة والمقدرة على ردع الخطوب والتغلب على الشدائد ، واما اليوم وقـد تفرقت كلمتهم وضاع مجدهم لـذا فأنهم فقدوا ميزتهم الكبرى بصفتهم عـرباً اقحاحاً واضحوا شعباً ضائعاً بين العروبة والعجمة .

آها وآها على ما كان من شرف
للبعربيين قد ألوى به القدم (١)
أيام كانوا وشمل المجـد مجتمع
والشعب ملتئم والملك منتظم
كانوا اجل الورى عزا ومقـدرة
اذا الخطوب بحبل البغي تحتزم
عـلى الحصافه قـد ليثت عمائمهم
وبالحزامة شـدت منهم الحزم
قضوا اعاريب اقحاحا واعقبهم
خلف هم اليوم لا عرب ولا عجم

ولعل رؤية الآثار المتبقية من مجد العرب وحضارتهم كانت من الامور التي تثير احساس الشاعر بأمجاد قومه وتذكره بحضارتهم وعزتهم ورفعتهم، بل لعلها من العوامل التي ربطت العربي بماضيه وتاريخه القديم ارتباطاً قوياً، رغم النكبات والارزاء ، ورغم محاولاة الغـزاة والمستعمرين والشعوبين

(١) من قصيدته «في معرض السيف» الديوان ص ٣٩١ وما بعدها .

لطمس تلك الرموز التي تمثل تاريخ العرب ومحاولاتهم قطع معالمها واصدائها . . .

وفي الواقع ان تلك المظاهر المتبقية من حضارة العرب في ماضيهم الحافل بالامجاد كانت من خير الامور التي ساعدت على حرص العربي على ذلك الارتباط كما كانت خير محفز ومنطلق للواعين على تجديد حضارتهم وبناء امتهم من جديد . .

وتستطيع ان تلمس قوة ذلك الارتباط في الاحاسيس والمشاعر التي التي تثيرها مشاهدته لأي اثر من آثار تلك الحضارة .

فالزهاوي وهو يمر بالمستنصرية جامعة العلم المزدهرة يجدها وقد امست خراباً تعشعش فيها العناكب بعد ان جنت عليها يد الاهمال ، واحالت ربوعها العامرة بطلاب العلم الى اطلال دوارس خالية . لم يملك الا البكاء حزناً واسى على ذلك العهد المضاع فيقول :

وقفت على « المستنصرية » باكياً
ربوعا بها للعلم أمست خواليا (١)
وقفت بها ابكي قديم حياتها
وابكي بها الحسنى وابكى المعاليا
وقفت بها ابكي بشعري بناتها
وانعي سجاياها وانعي المساعيا
بكيت بها عهداً مضى في عراصها
كريما فليت العهد لم يك ماضيا

---

(١) ديوان الزهاوي ج١ الكلم المنظوم ص ٥٦ الدكتور محمد يوسف نجم .

ثم ينتقل الى وصف ما حل بها من خراب ودمار ، فقال :

وسرحت انظاري بها فوجدتها
بناء لتشييـــد المعارف عاليا
بناء فخيما عز للعلم مثله
فقلت كذا فليبن من كان بانيا
وألقيت قسما قد تداعى جداره
وقسما على ما كان من قبل باقيا
تهب رياح الصيف في حجراتها
فتلبسها ثوبا من النقع هابيا
وتسعى على الجدران منها عناكب
تجد لها فيما تداعى مبانيا . . الخ

ويمر الشاعر عبد القادر شنون العبادي(١) بآثار سامراء بعد ان أصبحت اطلالا دوارس أثارت في نفسه كوامن الشجن الدفين وحركت فيه ذلك الارتباط المخلص بأمجاد قومه ، فوقف يندب المباني ويندب بناتها .

---

(١) ولد عبد القادر بن عبد الله البزاز العبادي في سنة ١٨٦٥ في الكرخ من ابوين عربيين ، تثقف في أروقة الجوامع وأفنية المساجد فدرس علوم الجادة من علوم اللغة العربية والفقه والتفسير والحديث على أساتذة عصره وفي طليعتهم السيد محمود شكري الآلوسي ونعمان خير الدين الآلوسي .

(أنظر ترجمته في كتاب من شعرائنا المنسيين تأليف عبد الله الجبوري ص ٢٧ وما بعدها . توفي عام ١٩١٠ م) .

هذي مبانيهم فأين البانى ؟

فتكت بها وبه يد الحدثان (١)

لله خير خلائف في ارضـه

طالت مبـانيهم على كيـوان

اقبـال ما سمع الزمان بمثلهم

فيما مضى مـن غابر الازمـان

عرب لقد غرسوا الكمال واظهروا

للناس ما استخفى من العمران

ثم يقول :

أين الستور المرخيات وما حوت

من زينة الاشكال والألوان ؟

خلت الديار ، فليس تلقى بينها

غير الوحوش (ومجمع الغربان)

غدرت بها ايدي الزمان ، كأنها

لم تحـو من حور ومن ولدان

ب ـ الامة العربية الواحدة ورابطة الاخاء :ـ

ومن العوامل التي ايقظت النزعة القومية في النفوس ذلك الايمان القوى بالامة العربية أمة واحدة وبالوطن العربي وطناً واحدا . :

وقد عاش هذا الايمان في ضمير الانسان العربي طيلة الأجيال والحقب ،

---

(١) أورد القصيده السيد عبدالله الجبوري في كتابه المشار اليه ص٣٢و٢٣

رغم الرزايا والمحن ورغم محاولات التجزئة والتفريق التي وضعتها الحكومات المتعاقبة لسحق هذا الشعور وقطعه ، فقد ظلت الروح العربية الأصيلة التى تنبع من الاحساس بوحدة الدم والنسب ، والمصير ، هي الرباط المقدس الذي يجمع بين ابناء تلك الارض ويشدهم بعضهم الى البعض الآخر .:

وقدعاش العربي كما عاش الادب يناضل من أجل تلك الفكرة، ويعكس حقيقتها ، فالى جانب تعبيره عن امله الخاص في حياته الحرة داخل حدود وطنه الصغير ، عبر عن آماله العام في تخليص وطنه الكبير من ربقة الأجنبي ونير عبوديته الظالمة . . ورغم المحنة التى اختلفت نسبيات آثارها في تلك الربوع لم ينسى العربي عامه بخاصه. بل عاش يذكى عامه بخاصه وخاصه بعامه. وعلى هذا فقد مزج بين المحن المختلفة فجعلها محنة واحدة ، وأحيا تلك النفوس الممتحنة على محنتها ومحن العرب جميعا فكانت نفسا واحدة (١)

وقد قوى هذا الايمان مع صحوة الأمة العربية عندما انطلقت صيحات المفكرين والأدباء والشعراء في كل بقعة من بقاع الوطن العربي تندد بالطغيان وتدعو لمقاومته وتهيب بالشعب العربي الى النهوض والتحرر والعمل في سبيل سيادة الامة العربية واسترداد كرامتها وحريتها .

فكما ارتفع في مصر صوت الافغاني ومحمد عبده وسعد زغلول وأحمد لطفي السيد وقاسم أمين وشوقي وحافظ مطالبين باليقظة والتحرر ارتفع صوت الدلال واليازجي وأديب اسحق والكواكبي وشكيب أرسلان وخليل مطران في الشام ، أما في العراق فقد ارتفعت تلك الصيحات على لسان الزهاوي

---

(١) راجع الوطن في الادب العربي لابراهيم الابياري ص ١١٨ مطبوعات المكتبة الثقافية عدد ٧٣ سنة ١٩٦٢ .

والرصافي والكاظمي وأندادهم من الشعراء والأدباء : وكل تلك الصيحات دعوات صارخة لتحرير الوطن العربي ، بل ربما الشرق كله من العبوديات عبودية الاحتلال وعبودية التأخر والانحطاط وكانت دعواتهم تلك تقــوم على فكرة البعث القومـــي واثاره أدق ظاهرة تمس شعور الامة العربية ووجدنها القومي (١)

فعندما اشتبك جيش ايطاليا مـــع الجيش العثماني في حرب طرابلس الغرب عام ١٩١١ نلمح ذلك الاحساس بالاخاء يهز الشاعر الكاظمي فيوجه النداء الى قومه لنجدة اخوانهم ومشاركتهم المحنة التي يتعرضون لها فيصف ذلك اليوم بأنه يوم قاتم مبلك لالأهل طرابلس وحدهم ، وانما الكل اخوانهم فى العروبة فيقول :

كيف العلالة والأقدار واقفة
بمرصد وجيوش الموت تزدحم
كيف العلالة والأحياء راصدها
يوم تزعزع في أهواله الرمم
يوم تظل له الافاق داميــة
وتلتظى عنده الأضلاع والحرم
من ذا يقر له خبباً ومضطجع
والبيت مضطرب الأركان والحرم
ببرقة وبنى غــازي واختهما
أعنى طرابلس عاش الأزلم الخشم

---

(١) راجع في الادب المعاصر ص ١٩ لسامي الكيالي طبــع دار النشر الحديث بحلب :

محا سناها وأقوت دورها وخوت

رباعها وعفت آثارها القــدم

ثم يتجه الى بني قومه يستحثهم على نجدتها :

أهل العزيمة ليس اليوم يوم ونـــى

وليس محمد بعد اليوم معتزم

هذي طرابلس تدعوكم لنجدتها

فشاطروها الأسى أوتفرج الازم

اخوانكم لم تكن تغلو وانفسكم

جودا بها في سبيل الله واغتنموا

ويتجلى شعور الرصافي بقوة الرباط الذي يربط أبناء الامــة العربية عندما يخاطب تونس قائلا :

أتونس ان في بغداد قوما ترف قلوبهم لك بالوداد (٢)

ويجمعهم وايــاك انتساب الى من خص منطقهم بضاد

فنحن على الحقيقة أهل قربى وان قضت السياسة بالبعاد

وماضر البعاد اذاتدانت أواصر من لسان واعتقاد

وعندما يبتعد الشاعر عن بقعة من وطنه الى اخرى فان البقاع كلها في ضميره سواسية فهو يشتاق اليها جميعا لأنه يؤمن أنها كتلة واحدة وان فرقتها أيدى التفريق الجائرة والى هذا يشير محمد رضا الشبيبي قائلا :

---

(١) ديوان الكاظمي ص ١٠١ من قصيدته حرب «المجد والسيف» ص ٩٩

(٢) ديوان الرصافي ص ١٣٤

بغداد اشتاق الشام وها أنا
الى الكرخ من بغداد جم التشوق (١)
فما انا في أرض الشام بمشئم
ولا أنا في ارض العراق بمعرق
هما وطن فرد وقد فرقوهما
«رمى الله بالتشتيت شمل المفرق»

---

(١) ديوان الشبيبي ص ٤٢ من قصيدة «الهيام بين العراق وبغداد»

الفصل الخامس

عناصر جديدة :

أ ـــ الشعر الاجتماعي

ب ـــ الشعر الانساني

ج ـــ الشعر التأملي

عناصر جديدة:

وبعد أن تحدثنا عن مظاهر التطور الذي رافق الأغراض الشعرية نأتي لنتحدث عن اهم العناصر الجديدة التي جاءت نتيجة الاحداث والظروف التي فرضتها الحياة العصرية الحديثة .

ففي تلك المرحلة الحاسمة من حياة العراق . . كان طبيعيا ان تتجاوب النفوس والافكار مع ما كان يسرى اليها كل يوم من مفاهيم جديدة وافكار كانت صدى للحياة العصريـــة التـي قامت أركانها فى العالم العربي وترددت أنسامها تغزو العالم حتى غزت تركية نفسها ومن ثم العالم العربي . وكان ما كان من آثارها ذلك القلق الفكري الذي زعزع كيان الامبراطورية العثمانية سياسيا واجتماعيا وفكريا . . فكان حصاده الانهيار الشامل الـذي طبق جوانبها المترامية وحصرها في نطاق وطنها الاصلي تركيا .

ومع هذا الارتجاج الفكري الجامع وتخلخل الموازين والقيم البالية ، كان لابد أن تتطلع النفوس الى مفاهيم جديدة ترسم على ضوئها شكل الحياة الحاضرة . . التي تتفق وحاضر الانسان في مجتمعه الحديث . .

والأدب بطبيعته المرنة التي تساير الأجيال فى ارتفاعها وانخفاضها ويتغير بتغير الظروف وحاجات الشعوب وسيكلوجية الافراد ، لم يجد ازاء هذا التحول الا الدخول فى ميدان الصراع القائم بـين عناصر القديم

والجديد ، ليتمخض بعد ذلك بنتاج هـو صورة للحياة الواقعية بكل ما فيها مـن جوانب ؛

وفي الواقع ان اتصال الأدب المباشر بأحداث الحياة وخوضه دروبها ومسالكها ومحاولته معالجة مآسيها ومشكلاتها بل تغلغله في نفوس أبنائها وتصوير أحاسيسهم ومشاعرهم هو التجـديد في نظـر المجتمعـات الحـديثة ؛

ولعل تلك النظرة للأدب الجديد جاءت على اثر انتشار الروح الابتداعية التي وجدت في فرنسا وانكلترا ، بعد اعلان الثورة على الطبقات الارستقرطية وتحول الأدب من اروقة البلاطات وقصور النبلاء الى صفوف الشعب وايدي الطبقة الثورية الكادحة . وقد عمت تلك الروح بلاد اوروبا ودعيت هناك بالرومانسية ، وحمل لواءها في فرنسا ادباء ونقاد ، كان صدى اثرهم كبيرا في تحويل انظار العالم الى تلك الروح ، ومن ابرز هؤلاء « لامرتين » و « هيكو » و « سنت بيف » ، و « الفريد دى موسيه » و « جووج صاند » وغيرهم من اعلام التجديد الابتداعي . اما في انكلترا فقد التزم الدعوة تلك « وردسورث » شاعر الطبيعة والفلسفة و « شيـلى » و « بيرون » شاعرا الثورة الاجتماعية و « سكوت » المؤرخ الروماني العظيم وغيرهم من رواد الادب الذين صوروا الحياة الجديدة ومنحوا العصر قيمة جبارة .

ولو بحثنا وراء الأسباب التي تمخضت عنها تلك الحركـة في أول طريقها نجد انها جاءت رد فعل للاضطرابات السياسية والاجتماعيـة التي اوقدت ثورة الحرية في فرنسا وما تبعها بعد ذلك من خيبة الامل الذي زرعه فشل نابليون في نفوس الشعب الفرنسي مما ولد المرارة في النفوس وانعكس صداها في مشاعر تدعو الى الانطلاق والتطلع الى آفاق جديدة تعيـد لهم

مجدهم وآمالهم . وكان ان انطلق هؤلاء الادباء نحو ثورة فكرية غايتها تحطيم القديم وهياكله الجامدة التي قبع خلفها الادب سنين طويلة . حتى قادت الادب من ابراجه وقصوره الى ميادين الحياة ليعبر عن وجوهها وجوانبها المختلفة.. ولم تكتف بذلك بل منحت للشاعر حق تأكيد شخصيته الفردية والذاتية ليعبر عن احاسيسه في جو من الحرية والانطلاق دون النظر الى من سبقوه .

هذه الروح لو تقصينا بوادرها عند شعراء العراق في فترة نهضته .. نجد ان للظروف التى خلقت تلك الحركة فى أوربا مشابهاتها الكثيرة فى القطر العراقي .. ولعل ابرز تلك المشابهات ان تلك الفترة - كما ذكرنا سابقاً - كانت فترة صراع عام بين المشاعر الجديده التي عمت النفوس وبين السلطة المستبدة التى حكمت ابناء العراق وخذلت نفوسهم المتطلعة للتحرر كما خذلت مطاليبهم فى تحقيق العدل والاصلاح .

ففشل حركة الدستور الاولى على يد السلطان عبدالحميد ثم تشديد يد الحكم ومطاردته للاحرار ، وفشل حركة الدستور الثانية وما اعقبها من خيبة الآمال فى الاصلاح .. تلا ذلك قيام حرب عالمية كبرى .. ثم وعود الحلفاء التى لم تحقق لابناء هذا البلد ما كانوا يسعون لتحقيقه .. كل تلك الظروف ولدت في النفوس مرارة الفشل وطبعت نفوسهم بالالم والحيرة خرجت نفثات تعبر عما يكبتون فى صدورهم وما يضطرم في ثنايا نفوسهم ووجدانهم وانعكست فى تصويرهم لمشاكل المجتمع ومآسيه وآلامه وفي تعبيرهم عن طوايا النفس الانسانية وقضايا الانسان والعالم ... ومن ثم فى معالجتهم لقضايا السياسة والاحداث العامة .

كما اننا لا نستطيع ان نغفل أثر الروح الابتداعية التي عمت اوربا واخذت تتسرب الى اذهان الشبيبة الواعية من ابناء العروبه ، ووجدت بينهم من يحمل لوائها ونشرها ، فـفي سوريا صادفت تلك الروح هوى فى نفوس بعض روادالادب فيها امثال فارس الشدياق ١٨٠٥ - ١٨٨٧ ومارون النقاش ثم تبعهم نجيب الحداد وفرح انطوان وغيرهم :

وفي مصر حمل الدعوة شوقي وحافظ ومطران الذين اصابوا قسطاً وافراً من الثقافة الفرنسية ، فقرأءوا آدابها وتأثروا بها وظهر اثرها في شعرهم . نلمس ذلك فى شعر الطبيعة عند شوقى وفي اتجاهه للشعر المسرحي او التمثيلي ، الذي يعتبر حدثا جديداً في الادب العربي . كما نلمس ذلك في نزوع حافظ في معالجته للمسائل الاجتماعية والانسانيةودعوة لمعاونة البائسين ووصفه لمشاعر الالم والحزن في النفوس .

اما مطران فقد تجلب تلك النزعة فى قصصه الشعري والوجداني وملاحمه التى شق فيها درباً جديداً للادب الحديث ، كما نلمحها واضحة في وصفه للطبيعة ومحاولاته تحليل مظاهرها وتجريد مناظرها والتخاطب معها :

والشعراء العراقيون الذين اتصلوا مباشرة بهؤلاء الادباء او الذين وصلت اليهم آثارهم عن طريق الصحف وما قرأوه مباشرة عن الكتب الفرنسية التى ترجمت الى التركية كان لابد وان يتأثروا بما وصل اليهم وما قرأوه ، ولعلنا نستطيع ان نلمس ذلك واضحاً فيما انتجوه من شعر ومن أدب تمثل في مظاهر مختلفة ابرزها الشعر الانساني ، والشعر الاجتماعي والشعر التأملي .

اولا : الشعر الانساني :

ان المشاعر الانسانية حينما تتبلور في النفوس ترتفع بغاياتها واهدافها إلى آفاق تتخطى الحدود وتعبر كل التزام سياسي أو عنصري ، بل تتحول فى ذاتها الى وجدان إنساني عام يؤمن بالانسانية كقضية مشتركة ترتفع فوق المصالح الخاصة وتجتاز ما تسنه قوانين المجتمعات الاقليمية .

ومن خلال هذا الوجدان تنبع رسالة الأديب التي تقوى الروابط الانسانية الخالدة ، وتبرزها قيما ومثلا لا تستحيل مع الزمن ، ولا تخضع لعرف أو مذهب .

ولا ريب في ان هذا هو العنصر الأساسي في خلود الأدب بل وخلود الأديب الذي يتسع ويمتد بقدر ما يقدمه من طاقة لشمول الانسانية .

وقد احتلت النزعة الانسانية نتاجاً غير قليل من شعر العراقيين . . عبروا عنها فى صور واتجاهات مختلفة اختلاف تزاحم الاتجاهات والنوازع التي كانت تصارع الواقع نشداناً للجده بأي ثمن وتعكس اليأس الانساني فى معركته المصيرية .

ومن تلك الاتجاهات التى عكست هذه الروح .

(أ) الدعوة للاخاء الانساني والسلام :

ان نشدان الشاعر وتطلعه الى تكوين مجتمع حر متقدم جعله يفكر ان تلك الغاية لن تتحقق ما دام العالم يعيش في نزاع مستمر وضع الانسانية جميعاً في مرحلة قلق كلي يستحيل معه رقي المجتمعات وسعادتها . .

ولكى يصل العالم الى تلك الغاية فلابد من ان يتجرد الانسان من كل نوازع الشر وأساليب الدمار التي تعكر صفو الانسانية وتهدد كيانه البشري.

فالزهاوي يريد لهذا العالم أن يحيا حياة فاضلة يعيش افرادهـا تحت ظلال الخير والمحبة والسلام ويرى ان يهذب الانسان نفسه ويطهرهـا من أدران الخصام والقسوة ويستبدلها بمعاني الرحمة والحنان والاخـاء الانساني والتعاون ، فهي كفيلة بتحقيق ما تصبو اليه البشرية .

سيهذب المستقبـل الانسانا
حـتى يكون ابر ممـا كانا
حتى يبدل من خصومتـه رضا
ومـن القساوة رأفـة وحنـانا
حتى يوالي كل من هو غـيره
حـتى يرى كل الورى اخوانا
حـتى يكون الناس اجمعهـم يداً
تجـني الثنـاء وتزرع الاحسانا
حـتى يكون البعض مسعد بعضهم
وجميعهم لجميعهـم اعـوانا

فالاخاء الانساني عنده ضرورة انسانية لرقي البشر ولاشاعـة السلام والأمن والعدل بها تعز الارض وتنال العمران وبها يرقي العـلم وتنطفي شعلة الحروب . .

حتى يشيع العـلم بعـد نزوره
بين الورى فينـور الاذهـانا
حتى تعز الارض بعـد هوانهـا
وتنال بعـد خرابها عمـرانا

حتى يسود الامن في اكنافها

حتى يعم فيسعد السكانا (١)

وتنطلق روح الشاعر محمد رضا الشبيبي مع الطبيعة الوادعة وتأنس لمظاهرها الخيرة حتى يستلهم منها حكمة الوجود المثلى في الاخوة الجامعة فيقول :

حسدت الزهور لان الزهور

كأخوان جامعة مثل

ويا للمودة بين الغصون

اذا ما جرى نفس الشمأل

فهذا يقول لذاك : اعتنق

وتلك تشير لذي : قبلي

ولا تلبث نفسه ان تثور مذكرة على بني جنسه خذلانهم تلك الحقيقة وانشغالهم بما يشقي حياة الانسان . فيقول :

فما لبني نوعنا الاكرمين

قد افترقوا كالمها الجفل

يبيد القوي حياة الضعيف

ويودي المسلح بالاعزل

فيرتفعون لاوج العلا

ويهدون للدرك الاسفل (٢)

---

(١) ديوانه ج١ ص ١٥١ و ١٥٩ ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم .

(٢) ديوان الشبيبي ص ١٧٢ و ١٧٣ .

وتتجلى نزعة الاخاء الانساني عندما يجد في الجنسيات والاقليميات اسواراً وضعت لتفرق بين البشر وتمنع بينهم فرص اللقاء الوجداني وروابط الاخاء .

وارى من الانسان أعجب ما ارى
جنسية منعتـه ان يتواسـى
لم لا تشبه بالحقول يزيدهـا
لطفاً تجمـع وردهـا اجناسا
يا ليت من جعل التباين زينة
للورد قدرها تزين الناسا (١)

وينقلنا الرصافي الى ما فوق المذاهب البشرية عندما يقرر ان اصل الكون والانسانية واحد ، خلق الله فيه البشر من عنصر واحد ، لذا فهو يعجب من تنوع الخليقة ويستنكر ذلك التميز بين اجناس الانسان :

لما رأيت الكون في الأصل واحد
عجبت لان الخلق فيه ضروب
الا أن بطناً واحداً انتج الورى
كثيرون في اخلاقهم لرغيب (٢)
وان فضاء شاسعا قد تضاربت
بأبعاده أيدي القـوى لرهيب
وان اختـلاف الآميـين سيرة
وهم قد تساووا صوراً لعجيب (٣)

---

(١) ديوان الشبيبي ص ٩٠ .

(٢) الرغيب الواسع ، يقال رغيب، أي واسع الجوف .

(٣) ديوان الرصافي ص ٤ من قصيدة « في مشهد الكائنات » .

وبضع الكاظمي أمامنا حقيقة انسانية كبرى هي أن القومية العربية قومية انسانية وليست قومية عنصرية كما يدعي البعض .. فهو يتمنى أن يكون البشر جميعا من أصل عربي او لعل اصحاب القياد في الدنيا يرجعون الى أصل العرب ، لانه يرى ان العنصر العربي عنصر جبل على حب الخير والمساواة ، محب للسلام لكل البشر . ولو شاء وملكوا حكم الورى لما ذل اذا في الدنيا انسان ولا أهين بشر ..

ليت الانام جميعهم عرب
شبوا وشابوا بعد ما اكتهلوا
أوليت كل المالكين لهم
عرق بذاك الاصل يتصل
ما كان ذو عز يضام
ولا هذاك من هذا بذا يثل (١)

وفي قصيدة أخرى عنو أنها « مجد قحطان » (٢) يقول :

نتمنى وكل ما نتمنى
أن يعود العنان في أيدينا
لو يعود الانام للنسب الابعـ
ـد كانوا جميعهم أقربينا

---

(١) ديوان الكاظمي ص ١٤٦ من قصيدته
« ليت الانام جميعهم عرب »

(٢) ديوانه ص ١٧٠ وما بعدها

(ب) ذم الحروب والدعوة للتخلص من مسبباتها :

أن الروح الانسانية الخيرة التي تغلغلت في النفوس الشاعرة وجعلتها تجوب مع البشر أجمعين تتحس الامهم وتتأمل مآسيهم وكل ما يعكر صفو سلامهم وأمنهم ودفعتهم لتمجيد عناصر الخير التى ترفع المجتمعات الى حياة أفضل ، دفعتهم أيضا الى استنكار عناصر الهدم التى تدفع الكيان الانساني الى الدمار ، والى الانحطاط والموت

وقد وجدوا في الحروب أهم عنصر من عناصر شقاء الانسان وترديه لذا فلا عجب أن تنصب عليها لعناتهم واستنكارهم الممزوج بالالم من مآسيهم وما تخلفه للبشر من أحزان وويلات :

وعن ذلك يعبر خيرى الهنداوى بعد أن أثقلت نفسيته الهموم وتلونت بمآسيها :

ضاق صدري فرحت ازجي القصيدا
مستعيضا عن الحداء النشيدا
مثقلات بأرجل الهم يمشين
بليل الخطوب مشيا وئيدا
حاملات الى الشعوب عتابا
موقرات لوما عليهم شديدا

الى أن يقول :

أججت هذه البسيطة نارا
ينضج اللحم حرها والجلودا
شرر طبق البحار هبوطا
واعتلى غارب الوهاد صعودا

أحرق المال والنفوس وآلى

لا نباتا يبقى ولا جلمودا

ثم يتوجه باللائمه الى حكام هذه الارض ويراهم مسئولين عن تلك
،ب فيقول :

رحمة أيها الملوك بأهل الار

ض وكفوا جيوشكم والجنودا

ضاقت الارض بالذى حل ذرعاً

فاكفهرت وأوشكت ان تميـدا

جردوها عواطفا وشـعورا

وادفنوها ضغائنـا وحقـودا

وتلافوا بقيه السيف منـكم

فهي بالسيف اوشكت ان تبيدا (١)

اما الرصافى فتتجلى ثورته على الحروب بالقاء لومه على ذوي السياسة ورجالها الذين اسلموا قياد نفوسهم للمطامع فجردتهم من نوازع الانسانية وقتلت فيهم كل عناصر الخير ..

فى كل يوم للمطامع ثورة

باسم السياسة تستجيش قتـالا

ما ضر من ساسوا البلاد لوانهـم

كانـوا على طلب الوفاق عيـالا

---

(١) خـيري الهنداوى - حياته وشعره - للدكتـور يوسف عزالدين ص ١٨٧

امن السياسة ان يقتل بعضنا

بعضا ليدرك غيرنا الآمالا

لا در در اولى السياسة انهم

قتلوا الرجال ويتموا الاطفالا

غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها

بدم هريق على الثرى سيالا

تفنى الجيوش ولا ضغائن بيننا

سبقت ولا ترة ولا اذحالا (١)

ويستنكر الكاظمي ذلك العداء في الطبيعة البشرية ويرى فيه وباء ابتلى به الانسان فقال :

ما عهدنا الانسان كان وباء

يتقيه الانسان او طاعونا

هزأوا بالحياة وارتجلوا المو

ت وعاد السلام حربا زبونا

ان يبثوا الى التعارف رسلا

كان ذا موزرا وذا هارونا (٢)

والصورة الشعرية المعبرة تتجلى فى تشبيه الكاظمي لمأساة الانسان فى العصر الحديث بأنه اصبح كالطاعون او الوباء المميت القاتل المخيف

---

(١) ديوان الرصافي ص ٣٦٨ من قصيدته . ابو دلامه والمستقبل الاذحال : جمع ذحل وهو بمعنى التره .

(٢) انظر قصيدته في ديوانه ص ١٥٥ و ١٥٦

ولم يكن الانسان هكذا ابدا ولكن التقتيل الذي يشهده الشاعر بالجملة يوحي اليه دائما بأن البشر قد استهانوا بالحياة واصبح يقتل بعضهم بعضا بل ويستعمل صيغة تقطر مرارة حين يقول :

« وعاد السلام حربا »

(ج) الدعوة للتسامح الديني والثورة على التعصب :

ولعل تلك الدعوة كانت نتيجة محتومة لثورتهم على كل المظاهر الفاسدة التى عانت منها البلاد زمنا طويلا واولها التعصب الدينى المقيت بل ربما كانت احد الجوانب الانسانية التى ظللت شعرهم والتى كانت من دواعي المدنية الحديثة المبنية على روح العلم والنظر الحر الى الحياة والى الدين خاصة على انه عقيدة وجوهر وليس عادات بالية جاءت لتفريق البشر .

ونلمس تلك الروح عند كثيرمن الشعراء العراقين ،واول مثال نسوقه قول محمد رضا الشبيبي الذي عبر عن تلك الروح بقوله :

يا قوم ما الدين عادات معطلة
وانما الدين تحليل وتحريم
وما السياسة ما الاوهام فاعلة
تحكم كيفما شاءت وتحكيم
لا تجعلوا آلة التفريق دينكم
فالدين عن وصمة التفريق معصوم(١)

---

(١) ديوان الشبيبي ص ٥٧ .

وتدفعه روح الانسانيه المتسامحة الى التمعن فى حقيقة الشقاء الذي ولدته تلك العادات المقيته التى اصبحت من عوامل هدم المجتمع واضعاف الروح الاخوية فيه ، تلك الروح التى هى اساس التعاون في المجتمع وفقدانها يضعف المجتمع عن كل اسباب السعادة والرقى لبنى البشر ..

وعلى هذا فهو يتساءل ، لم يرتضى لانسان ان تكون الاديان سبب شقاء للانسان ، وما هي فى حقيقتها غير وجدان واخوة وبناء؟:

سل القوم: ما هذا الشقاء الذى ارى ؟
ومن ذا ينجي من الخطر الداني
تناكر أعداء شداد تناكروا
فمن لتعاطيهم تعارف اخوان ؟
ولو ان باري الخلق قدر انهم
يعيشون اخواناً لما اختلف اثنان
ولو انصف الناس الديانة أجمعوا
على انها فيهم نتيجة وجدان
فلم يتكلف عالم رد عالم
ولم يصم الانسان مذهب انسان (١)

وتظهر نفس النزعة عند الشاعر الرصافى الذى يجد انوحدة المجتمع لن تقوم الا باتحاد أبناء الوطن وحدة تقوم على نبذ التناحر والخصام وطرح التعادي الذي من عوامله اختلاف الاديان . لذا فهو يجد ان من أهم عوامل البناء والتماسك هو التآخي الذى يجب ان يسود ابناء الأمة الواحدة والتعاون

---

(١) ديوان الشبيبي ص ٥٠ .

بين افرادها مهما إختلفوا ديناً وعقيدة فتراه يثور متألماً وهو يرى قومه تحكمهم عن التفرق بسبب العقائد ويستنكر ما تولد من تناحر وخصام فيقول :

أما ان ننسى من القوم أضغان
فيبني على اسس المؤاخاه بنيان
اما آن يرمى التخاذل جانباً
فتكسب عزاً بالتناصر أوطان
علام التعادي لإختلاف ديانة
وان التعادي فى الديانة عدوان
وما ضر لو كان التعاون ديننا
فتعمر بلدان وتأمن قطان
إذا جمعتنا وحدة وطنية
فماذا علينا أن تعدد اديان

وتبرز نظرته الى الاديان الاخرى التي تظهر مدى إحترامه لمذاهب اخوانه من المواطنين، فهو يجدها جميعاً اديان جاءت لاسعاد البشر ولاخائهم لذا فلا فرق بين الكتب السماوية ما دامت كلها دعوة إخاء وتمجيد للمثل الانسانية العليا ، وعلى ذلك فهو ينكر على القائمين باسم الدين دعواهم للتفرقة وتفضيل دين على آخر ..

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة
لسان وأوطان وبالله ايمان
فأي إعتقاد مانع من إخوة
بها قال انجيل كما قال قرآن

كتابان لم ينزلهما الله ربنا
على رسله ليسعد انسان

فمن قيام باسم الدين يدعو مفرقاً
فدعواه في أصل الديانة بهتان

انشقى بأمر الدين وهو سعادة
إذن فأتباع الدين ياقوم خسران

ولكن جهل الجاهلين طحا بهم
الى كل قول لم يؤيده برهان

فهاموا بتيهاء الاباطيل كالذي
تخبطه من شدة المس شيطان (١)

ويعجب كاظم الدجيلي من حكاية الاديان وتفريقها للبشر وما هي في حقيقتها وجوهرها سوى غاية لهداية البشر الى طريق الخير والصلاح وانها وان تفرقت سبيلا الا انها عند الهدف واحدة تلتقي كلها عند عبادة خالق واحد فيقول : ـ

حكاية اديان الانام عجيبة
تجمع فيها فرقة ووئام

تريد الهدى والخير للناس كلهم
وكم ثار منها فتنة وخصام

وغايتها القصوى عبادة واحد
حقيقته ما ان ترى وترام

---

(١) ديوان الرصافي ص ١٣١ من قصيدته « في سبيل الوطن »

لذا فهو يتطلع الى وحدة تجمع الأديان فى الأرض جمعاء وتسود العالم أخوة وكأنهم من اسرة واحدة فيقول:

متى تجمع الاديان في الارض وحدة
لها سنة مشروعة ونظام

ويسلك كل العالمين سبيلها
وغايتهم منها هدى وسلام

وينسون زنديقا وينسون مارقا
ويفقد منهم مفسدون لئام

ويحيون فوق الارض لا فرق بينهم
وليس حلال عندهم وحرام

كأنهم فى العيش ابناء اسرة
كأن بنيهم اخوة وتؤام (١)

والزهاوي عندما يتمنى ان يعود مجد الغروبة القديم ويعم البلاد الخير والسعادة والتقدم ، لم يفته ان يضع وحدة الشعب اساساً من اسس هذا التقدم هذه الوحدة التي تقوم على تماسك الشعب وتعاونه في كل المجالات وبالاخص التسامح الديني بين المذاهب المختلفة،فيقول في قصيدته « أملي ان يعود»(٢) التى مطلعها :

---

(١) الأدب العصري ج١ القسم المنظوم ص ١٩٧ لروفائيل بطي ط. اولى المطبعة السلفية بمصر .

(٢) ديوانه ص ٢٩٩ وما بعدها - طبعة ١٩٢٤ .

أمـلي ان يعود ذاك الماضـي

غامـراً لي بسيبـه الفيـاض

وفيها يقول :

سيكـون العـراق جنـة قـوم

ما بهم مـن مقت ولا ابغـاض

وحدة الشعب احكمها الله فليست خليقـة بانتقاض

من نصارى ومسلمين وهـود

كل حزب منهم عن الـكل راضي

ايها الملك لا تخف مـن زوال

انت في ذمة السيوف المواضـى

الشعر الاجتماعي :

والشعر الاجتماعي لمسة انسانيـة جديدة بل حصيلـة فكرية قدمتهـا ظروف الحياة المتطورة لا لصفحات ادبنا العربي فقط ، بل وللأدب العالمي بصفة عامة :

وعندما نتحدث عن الشعر الاجتماعي فانما نعني ذلك الشعر الذي يتصل بالحياة الاجتماعية يتأثربها ويؤثر فيها . فهو ذلك النوع من الأدب الـذي يجعـل المعـايش والغـايـات ، بل وانـواع النشـاط البشـري يتغـذى به .

وعندما نعد ذلك مظهراً جديداً فى حياة الأدب فذلك ـ كما نعلمه من ان الأدب القديم كان يترفـع عن سبر غور الحياة الاجتماعية الشعبية والنزول الى مستواها الجماهيرى وبمعنى آخر كان الأدب يدور في نطـاق الحيـاة

الارستقراطية المتعالية والاهتمام بشئونها دون غيرها، وفي الشرق كان الأدب حائراً بين الزلفى الى الاغنياء والكبراء في المديح ، او الترفع عن ذلك الى الانصراف للحياة الاخرى بانتاج الأدب الديني من المدائح النبوية وغيرها .

أما الأدب الدنيوي الذي يصور حياة الشعوب ، ويعرض للمسائل الاجتماعية والسياسية ويفتح آفاقاً جديدة، الادب الذي يعايش الفلاح في كوخه والفقير في جوعه والبائس في المه ، فلم نعثر عليه الا فيما ندر .

وثار الغرب يحطم كل قديم ، ويبني اسسا تقوم عليها حياته الجديدة، واصاب الأدب، كما اصاب سائر نواحي تلك الحياة من معالم تلك الثورة، ليبرز للعالم يحمل مفهوماً جديداً، يتجه به نحو كل ما يقوم الحياة ويحطم الفوارق الطبقية ، حتى اصبح مفهوم الأديب العصري هو الذي يتأثر بقضايا مجتمعه ويعمل على ان يكون خادماً لها ، ولكن خدمته قيادة وارشاد ونور وجد يؤلم ، وطرب يرفع نحو الشهامة والنبل .

وقد مني الشرق بالمحن والتأخر وحرم نعمة الاستقلال السياسي وطمأنينة الاستقرار ، وفقدان الاستقلال السياسي كفيل بضياع كافة انواع الاستقلال المختلفة علمية كانت او فنية او ادبية ، لذا فان الادب الذي يحمل روح الحياة الجديدة لم يظهر الا مع تباشير فجر النهضة التى حملت افكار الغرب الى اذهان الطبقة الواعية من شباب العرب الذين نهلوا مبادئ الحرية وتطلعت نفوسهم نحو الانطلاق والتحرر من ربقة الاستعباد ، وآمنوا بالشعب وحقه في العدالة والمساواة والديمقراطية . فلم تلبث تلك الروح ان انعكست في نزعات جديدة تعبر عن تلك الافكار وتردد صداها . . وكما انطلقت صرخات الشعراء تطرق ابواب السياسة وتقاوم الظلم والاستعباد، دوت صرخات موجهة الى الشعب نفسه تعكس الامة ومآسيه وترسم له

الدرب الذي ينبغي ان يسلكه انطلاقاً نحو الحياة الحرة الكريمة .

ولقد عالج الشعراء في العراق هذا النوع من الشعر منذ بواكير النهضة ونستطيع ان نعده من خطوات التجديد الاولى في موضوعات الشعر التي طرقها الشعراء . وحصيلته كانت حصيلة فكرية عامة تناولت شئون المجتمع بكل جوانبه ..

وقد تمثلت تلك الحصيلة في دعوتهم الى العدالة الاجتماعية وطلب الاصلاح والدعوة للتعليم ومحاربة الجهل وفي الدعوة الى التسامح الديني وفي الدعوة لنبذ العادات القديمة، وفي المطالبة بنهوض المرأة ومساواتها بالرجل كذلك في الدعوة للاخلاق والتوجيه نحو الفضائل وفي تصوير العلل الاجتماعية وغير ذلك .

ونستطيع ان نأخذ امثلة منها كنماذج لشعرهم الذي قدموه في هذا هذا الباب :.

أ ـ الدعوة للعدل والمساواة الاجتماعية :

ان الثورة الفرنسية التي اثبتت حق الشعوب في الحرية والمساواة والديمقراطية فتحت اذهان الناس الرازحين تحت نير الاستعباد الى المطالبة بحقوقهم الانسانية . فسرعان ما استعرت نيران الثورة تجتاح العالم حتى وصلت اقباسها الى العالم العربي لتبرز الى الوجدان السياسي والاجتماعي وراحت الكلمات تجري على الألسنة والاقلام تحمل دلالات جديدة لم تكن لتعرفها الامم مثل الشعب والحرية والمساواة والشخصية والديمقراطية والتعليم . . . الخ ، وقد تأثر بعض شباب العراق من الشعراء بتلك الافكار ، ولعل ابرزهم الزهاوي الذي يعد بحق رائد هذا الجانب من

شعر العراق الاجتماعي ثم رفيقه وزميله في الكفاح الشاعر الرصافي . . ثم تبعهم بقية الشعراء الذين ترسموا دربهم ..

لقد آمن الزهاوي بالعدالة الاجتماعية .. ووجد فيها الأساس لتكوين المجتمع الناهض ، وان ارتبطت فكرتها في ذهنه بالاصلاح السياسى بادئ بدء عندما انطلق صوته في بواكير شعره يطالب السلطان عبدالحميد بالاصلاح مؤكداً له ان تحقيق الاصلاح هو طريقه الصحيح الى قلوب الأمة وسر قيادها . .

ماذا على السلطان لو اجرى الذي
تشتاقه الأحرار من اصلاح
تالله لو منح الرعية حقها
لفداه كل الشعب بالأرواح (١)

وقد تعشق الزهاوي العدل ، فهو في رأيه حبيب لا يطيب له العيش إلا بوجوده وهو بنظره الضياء الذي ينير السبيل للذين ظلمتهم المآسي وهو بدر يشق الظلام للقابعين خلف الأسوار والسجون :

ايها العدل أنت أنت الحبيب
إن عيشي ما غبت ليس يطيب
ما لمن قد دعوته لا يجيب
كل هذا الصدود منه عجيب
اعدته من الوصال العوادي

ثم يقول :

---

(١) الديوان ص ٤ ج ١ .

أنت يا عدل كالضياء واجمل

ما لآسي الا عليك المعول

بك أحلام ليلنا تتأول

أيها العدل انما انت للقلـ .. (١)

ـب مراد وفوق كل مراد

وقد كان عشقه للعدل لانه يعتقد ان اساس حياة الشعوب وسعادتها تبنى دائما على العدل والمساواة.. واذا مافقد العدل فان ذلك قتل لها .. ومن اجل ذلك يخاطب السلطان عبدالحميد الذي جار على الامة يسلبها هذا الحق، فاسعد لياليه وسود ليالي ابنائها :

تأن في الظلم تخفيفاً وتهوينا

فالظلم يقتلنا والعدل يحينا

يا مالكاً أمر هذي الناس في يده

عامل برفق رعاياك المساكينا

لهوت عنا بما اوتيت من دعة

فابيض ليلك واسودت ليالينا(٢)

وكما ربط تحقيق المساواة والعدالة بتحقيق العدل السياسي ، كذلك وجد في التفاوت الطبقي واستغلال الافراد للشعب مقياساً لمأساة المجتمع : وقد اشار الى ذلك بقوله :

---

(١) ديوانه جـ ١ ص ٢٨ :

(٢) ديوانه جـ١ ص ٦٣ في قصيدة « الظلم يقتلنا والعدل يحينا » .

جمعوا من ساكن الاكواخ اموالا دثورا (١)
واتوا في جانب الاكواخ يبنون القصورا

× × ×

اجعل البأساء مقياساً لسراء الحياة
وانظر الاكواخ في جنب القصور الشاهقات (٢)

× × ×

ايها الشبعان ما قولك في الناس الجياع
اترى ان لهم في ارضهم حق المساع (٣)

اما الرصافي الذي آمن بوحدة المجتمع ودعا الى ان يكون كل من فيه وما فيه عاملا له ومجاهداً في سبيله ما وسعه الجهاد ، فقد وجد ان العقبة التي تحول دون ذلك هو الاستغلال الذي رفعته الطبقات الحاكمة ضد الشعوب وجعلته حقاً تتمتع به على حساب شقائها وحرمانها ، ويظهر ذلك واضحاً في قصيدته الرائعة «آل السلطة» التي حمل فيها على تلك الفئة التي نصبت نفسها على كرسي الحكم واستباحت ان تفعل كل شيء لا لشيء يميزها عن بقية البشر سوى ذلك الحكم البغيض :

هم يسعدون بالمئات ذكوراً
واناثاً لهم قصور مثاله

---

(١) الرباعيات ص ٢٠٨ في ديوانه ج ١ .
(٢) « « ٢٠٩
(٣) « « ٢٠٩

ولهم اعبد بها وأماء
ونعيم ورفعة وجلاله
تركوا السعي والتكسب في الدنيا وعاشوا على الرعية
يتجلى النعيم فيهم فتبكي
أعين السعي من نعيم البطالة
يأكلون اللباب من كد قوم
اعوزهم سخينه من نخاله
فكأن الانام يشقون كداً
كي تنال النعيم تلك السلالة

وتلمح روعة تصويره لذلك الاستغلال الظالم لطبقات الشعب في قوله :

نعموا فى غضارة العيش
وحملنا من دونهم أثقاله
فاذا صاول العدو خرجنا
دونهم للوغى نرد صياله
واذا ما جروا الجرائر يوماً
علينا تكون الحمالة
واذا ما استهل فيهم وليد
فعلينا رضاعه والكفالة

ويتطرق في قصيدته الى ان الاسلام دين اشتراكية سمحاء تأبى الاستغلال وتستنكره بل تعده كفراً وعاراً فى نظر الدين :

تلك والله حالة يقشعر الحق منها وتشمئز العدالة

هي منهم دناءة وشنار

وهي منا حماقــة وضلالة

ليس في هذا مذهب الاشتراكية

الا من الامور الجمالة

وهو في الملة الحنفية البيضاء كفر بربنا ذو الجلالة (١)

وهو يعكس هنا نظرة اجتماعية تقدمية، اذا كانت المناداة بالاشتراكية كفراً، وكان صوت العدالة في توزيع الثروة ساكتا، فكيف وهو ينادي باشتراكية الدين الحنيف.

وكما حمل الرصافي على آل السلطة واستغلالهم لابناء الوطن حمل ايضاً على مشكلة الاقطاع التي ظل العراق يعاني منها حتى وقت قريب.. وقد اشار الى ذلك في قصيدته «معترك الحياة» بقوله:

ارى كل ذي فقر لدى كل ذى غنى

أجيــرا له مستخدماً في عقــاره

ولم يعطه الا اليسير وانمــا

عــلى كده قامت صروح يساره

ويلبس من تذليله العزضافــيا

وينظـره شزرا بعين احتقــاره

يشد الغنى أزر الفتــى فى حيــاته

وما الفقر الا مكسر فى فقاره (٢)

---

(١) ديوان الرصافى ص ٤٠٠ و ٤٠١.

(٢) الديوان ص ٣٦ و٣٧

وفي قصيدة أخرى يتطرق الى استغلال المستعمر لأبناء الوطن وسلبه قوته وخيرات بلده :

او ما ترى أهل البلاد تقيدوا
للغرب في حاجاتهم بقيود (١)
الغرب يكسوهم ملابس هم بهـا
يعرون من مال لهم ونقود
وتراه يسلخهم بمصنوعاته
سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتدى
ببضائع لم تحص بالتعديد
فكأنما هى لامتصاص دمائنا
بعض المحاجم أو كبعض الدود
حتى متى نشقى ليسعد غيرنا
ونذل القربى لعز بعيـد

ومضمون قصيدته هنا يتناول قضية وطنية واقتصادية على جانب كبير من الخطورة وهى (الاستقلال الاقتصادي) الذى يرتبط ارتباطا كبيرا « بالاستقلال الوطنى السياسي » اذ يرى فى ظاهرة السفن التى تروح وتغدو بين العراق وبين الغرب حاملة بضائعه مغرقة سوق العراق بها وسيلة أساسية من وسائل الاستعمار وطريقة فعالة لاستنزاف لموارد الوطنية .ونحن نرى ان معالجة الشاعر لهذه القضية نظرة واعية وفاهمة وجديدة للامور وكونه

---

(١) ديوانه ص ٨٤ في قصيدته في سبيل الوطنية

قد استوعبها شعرا وصاغها فنا يعتبر تجديدا في مضمون القصيدة ينبغي الوقوف عنده .

ب ـ الدعوة لتحرير المرأة :

وقد يكون موضوع المرأة من أخطر الموضوعات التى طرقها شعراء العراق في تلك الفترة ، لما له من ارتباط قوى بالتقاليد والعادات وما يترتب عليه من مساس بالمعتقدات الدينية والاجتماعية التى كانت ولا تزال تسود المجتمعات الاسلامية المتأخرة .

ولكن هذا لم يمنع فئة المثقفين الذين امنوا بقضية الانسان وحقه في الحياة بل امنوا بالمرأة كفرد أساسي في المجتمع ، ان يتصدروا للدعوة بتحريرها والمطالبه بحقوقها الانسانية ، خاصة بعد أن وجدوا ان المرأة في الشرق عامة والمرأة العربية بصفة خاصة تقبع في زوايا الاهمال و ترزح في أصفاد التقاليد البالية ، مما حطم انسانيتها و هان فيها روح الكائن الحي وشل نشاطها كعضو مكمل للمجتمع

وابرز من حمل لواء تلك الدعوة الشاعر الزهاوى ـ الذى يعد بحق ـ أسبق مفكرى الشرق العربي بعد قاسم أمين الى الانتصار للمرأة والمطالبة بحقوقها ومساواتها بالرجل ، الامر الذي جعله يتعرض لاخطر المشاكل واعنفها .

والشاعر الرصافى الذى افرد لقضايا المراة فى ديوانه باباً خاصةاسماه (النسائيات) تناول فيه القضايا التى سلبت المرأة حقوقها كما حمل على العادات والتقاليد التى يتمسك بها ابناء امته والتى كانت سبباً فيما وصلت اليه حال المرأة فى الشرق .

ولعل ابرز تلك القضايا التى تناولها الشعراء بالهجوم هى قضية الحجاب فقد وجدوا فيه عادة بالية ، سقيمة لم يقرها شرع ولا يقبلها تقدم ، بل ويجد فيها الزهاوى داء وخيما اصاب المجتمع ومشكلة خطرة ، لهذا دعا الى طرح الحجاب ونادى بالسفور الـذى لم ير فيه مـا يتعارض وفضيلة المرأة او كرامتها .

يقول الشاعر داعياً الى نبذ الحجاب ! (١)

أسفرى فالحجاب يا ابنـة فهر
هـو داء فى الاجماع وخيم
كل شىء الى التجـدد ماض
فلـماذا يقـر هذا القديم
لقـد اعوج بالحجاب لعمرى
أمر دنيانـا فهـو لا يستقيم
لم يقل بالحجاب في شكله هذا
نبى ولا ارتضاه حكيم .
هو في الشرع والطبيعة والاذوا
ق والعقل والضمير وخيـم

ويدافع عن عقيدته تلك بأن يفند مزاعم الادعياء بمخالفة السـفور للطهر والفضيلة بقوله :

---

(١) ديوان الزهاوى ص ٩٠ و ١٧٧ الكلم المنظوم واللباب ص ٢٣٥ و ٢٣٦

زعمـوا أن في السفور انثلامـا

كذبوا فالسـفور طهر سليم

لا يقى عفة الفتـاة حجاب

بل يقيها تثقيفهـا والعلـوم

ويشاركه الرصافى رأيه في الحجاب ويرى فيه عادة من العـادات التى عملت على صدع ذلك المجد العربى وتأخيره فيقول :

وانى لاشكو عادة في بلادنـا

رمى الدهر منها هضبة المجد بالصدع

وذلك أنا لا تزال نسـاؤنا

تعيش بجهل وانفصال عن الجمع

واكبر ما اشكو من القوم انهم

يعدون تشديدالحجاب من الشرع (١)

ولعل أروع ما تحدثوا عنه بشأن المرأة كونها انساناً كاملا يتميز بكل ما يتميز به الرجل من عقل و كفاءه وجداره ، لذا فهي تستحق التعليم والثقافة وبدون ذلك فان حضارة المجتمع لن تتم ولن يرقـى شعب أذل نساءه :

ولذلك يشير الزهاوي بقوله :

لا تبخسوهن حقا فليس في البخس عدل

أثبتن في نهضة أنهـن للفضل أهـل

فالمرأة اليوم للمرء — فى الحقيقـة مثل

---

(١) ديوان الرصافى ص ٣٣٤

وانها ذات عقـــل كما له هو عقـــل
وانها عنه فى الفهم والحجى لا تقـــل (١)

ولم يكتف بمطالبته بمعاملتها كانسان سوي بل يرى اشراكهـــا فى كافة الميادين العملية التى يؤمها الرجل فيقول :

للمرأة اليـــوم في مجلس القضـــاء محل
للمرأة اليوم في البـــر ـ لمان عقد وحل
للمرأة اليوم في استكشاف الحقائق شغل
للمرأة اليـــوم في تحسين الحضارة فضل
وانها من علو على الرجال تطـــل (٢)

ومن القضايا المهمة التى شغلت أذهان الشعراء بشأن المرأة قضـــية الزواج والطلاق .. فالاستهانة برأى الفتاة فى أمر زواجها خطر يهدد كيان الاسرة التى هى عماد المجتمع ، وهو بعد ذلك تحطيم لنفسية المرأة واهدار لحقوقها وانسانيتها .. وقد تحدث الشعراء عن هذا الامر ما وسعهم القول حديثا تندى له جبين الانسانية بما كان يجلبه الاجبار من مآسي وما يعقبه من شقاء ..

يقول الرصافي معبراً عن أهل المطامع الذين جعلوا من بناتهم وسيله لاشباع رغباتهم في المال ناسين ومتناسين مشاعر تلك المخلوقات واحاسيسهن كبشر يفكر ويحن ويتألم .. ضاربين عرض الحائـــط مـا هناك من فوارق

(١) ديوان الزهاوي ص ٣١٢ ط ١ ١٩٢٤

(٢) ديوان الزهاوى ص ٣١٢ و ٣١٣ طبعة ١٩٢٤

السن وتباين الامزجة واختلاف الطباع وقد عبر الرصافي عن ذلك كله قائلا :

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم
اذ اكرهوك على الزواج بأشيبا
طمعوا بوفر المال منه فأخجلوا
بفضول هاتيك المطامع اشعبا

ثم يقول :

قلب الفتاة أجل من ان يشترى
بالمال لكن بالمحبة يجتنى
اتباع أفئدة النساء كأنها
بعض المتاع وهن في عهد الصبا
بيت الزواج اذا بنوه مجددا
بالمال لا بالحب عاد مخربا (١)

ويرسم الزهاوي صورة حية لهذه المأساة في قصيدته (لا عن خيار) فيقول :

قد زوجت لا عن خيار
من جاهل كالوحش ضاري
حسناه تشبه كوكبا
جم الشعاع من الدراري

---

(١) ديوان الرصافي ص ٣٣٥ و٣٣٦

الى أن يقول :

في العين دمع كالجما
ن وفي الفؤاد لهيب نار
ولقد تغرد للاسى
في الليل تغريد الهزار
تبكي وتندب حظها
والزوج لاه بالقمار
وإذا عدا دور القما
ر مشى الى دور العيار
ما ان يبالي هل مشى
في الليل او وضح النهار
واذا اتي للدار قا
بلها بشتم واحتقار
غر من الأغرار قا
سي القلب مخلوع العذار
كم فكرت تبغي النجا
ة من الأذاة في الانتحار (١)

وعن الطلاق يتعرض لحق هذا الزوج فيما يقرره ويملكه من زمام مدفوعاً بجهله لا شيء يحده فيقول :

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٣١٤ طبعة ١٩٢٤ .

الـزوج كان هو الذي   يولى الرضى ثم استردا
وعـلى جمـوع حقوقهـا   من بعد لذته تعدى
يأتي الطـلاق لغير ذنب   ثم يحسب ذاك رشـدا
لا شيء يمنـع جاهلا   ذا غلظة ان يستبدا
قد يرجـع الانسان قر ـــ   دا مثلما قد كان قرداً(١)

ويذكر الرصافي علة الطلاق ويرى فيها آفة من الآفات التي تصدع المجتمع ويناقش فيها اهل الشرع الذين يستحلون تلك الآفة ويسهلون امرها بل يغلون في تفتيت اواصر الأسرة التي اراد الله جمعها فيقول :

ألا قل في الطلاق لموقعيـه
بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلوا
يضيق ببعضه الشرح الرحيب
اراد الله تيسيرا وانتم
من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بامتكم كروب
لكم فيهن لا لهم الذنوب
وهي حبل الزواج ورق حتى
يكاد اذا نفخت له يذوب (٢)

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٣١٤ طبعة ١٩٢٤ .

(٢) ديوان الرصافي ص ٥٧ من قصيدته « المطلقة » .

وهذا النقد لبعض رجال الدين جرأة غير عادية تمثل انتفاضة ذهنية ووجدانية مجددة .

جـ القصص الشعرية وتصوير مآسي المجتمع :

ان الوضع المضطرب الذى انتاب العراق طيلة فترة حكم العثمانين وما صحبه من ترداقتصادي وثقافي ، كانت نتيجته الحتمية انانساق المجتمع امام موجه من العلل والمزالق التى ضعفت الكيان الاجتماعى ، وهددت حياة أبنائه بضروب الرزايا والمحن حتى وجدوا أنفسهم في جو خانق مشبع بمظاهر الفساد والتحلحل الخلقى الى جانب الفقر والمرض وفقدان الامن وجهل مطبق عمل على تنمية أخطر العلل وأعمقها ، ساعد ذلك كله الاهمال المتعمد من جانب السلطات التى كانت حريصة أبدا على ابقاء الاوضاع على ما كانت عليه ..

ومع الاحساس الجديد الذى رافق النهضة الحاضرة بتأكيد شخصية الفرد ، وأنه فرد لا يعيش لنفسه وانما هو عضو في مجتمع يعمل له ويشعر بما يشعر به غيره . فكان لهذا المغنى أثره الكبير في نفوس الفئة الواعية من ابناء الشعب وفي مقدمتهم الادباء والشعراء الذين شعروا بثقل التبعة الملقاة على عواتقهم في انقاذ ذلك الشعب وتحريره من استعباده والعمل على رفع مستواه فكريا وثقافيا راجتماعيا .

وبهذا وجدت القضايا الانسانية باختلاف مظاهرها طريقها الى الادب كما لمسنا ذلك من خلال تقصينا لموضوعات الشعر التي طرقها شعراء تلك الفترة .. وكيف انها تلونت بتلون الاهداف والقيم الجديدة التى جاءت بها طبيعة العصر المتطورة ويمكننابعد ذلك أن نضيف لونا اخر من تلك الالوان

التي تعتبرها مظهرا جديدا طرأ على الشعر الحديث ذلك هو القصص الشعري الذي يعالج قضايا المجتمع ومآسيه وآلامه ..

والقصص الشعرى كفن لذاته قد نعتبره فنا طرقه الشعراء قديما ولكنه فى واقع امره امره لم يكن الا محاولات قليلة ضيقة المجال ، ففى الشعر الجاهلى نجد من يصف معركة بين حيوانين كما فى معلقة النابغة على سبيل المثال ، ثم تقدمت تلك المحاولات على يد الشاعر عمر بن ابى ربيعة الذي قدم للشعر العربى نماذج حديثة هى قصص مغامراته الغرامية وما كان يجرى فيها من لقاءات ومواعيد ومصاعب ، وقد سميت بالقصص الغزلى ثم كانت هناك محاولات لابى نواس في تصوير مجالس الخمرة سميت بالقصص الخمرى . (١) وربما تكون اكثر تقدماً من محاولات عمر بن ابى ربيعة .

اما الشعر القصصى الاجتماعى فلم نعثر له على دليل الا في عصورنا المتأخرة ، قدمه لنا في العراق الشاعران الزهاوي والرصافى ومن ثم محاولات لكاظم الدجيلى ..

فللزهاوى فى ديوانه الاول (الكلم المنظوم) مجموعة من القصائد رسمها بلون قصصى استخدم فيها احداثا خياليه ورسم الشخصيات والعقد والنهايات مع طبعها بشىء من الحوار في القصيدة ، وهى (ارملة الجندي) و (سليمى ودجلة) و (الى فزان) و (بكى على نفسه وناحا) و « سعاد بعد زواجها » و « مقتل ليلى والربيع » و « الربيع المحتضر » ..

---

(١) ديوان ابي نؤاس ص ٢٤٦

ثم اضاف اليها مجموعة اخرى في ديوانه الذى نشره عام ١٩٢٤ وهى « اسماء » وعلى « قبر ابنتها » و « طاغية بغداد » اما في ديوانه اللباب فلم نعثر له الا على قصيدة واحدة من هذا اللون هى « الوصمة السوداء »

الى جانب ذلك هناك قصائد تلمس فيها الجو القصصي غير المتعمد مثل يا « ذكاء » ويا « ام » و « تحت التراب ربيع »

اما بالنسبة للشعر التمثيلي فليس له الا محاولة قصيرة مضطربة تجمع بين النثر والشعر هى مسرحية « ليلى وسمير » كما ان له محاولة في القصص الشعري الطويل سماها « الثورة الى الجحيم » صور فيها رحلة خيالية الى العالم الاخر .

وتمتاز قصص الزهاوى الشعرية ، بأنه اتخذ من مشكلات المجتمع ومآسيه مادة لها .. مع تضمينها بين الحين والاخر بما كان يرمي اليه من أهداف سياسية واجتماعية وتوجيهية .. معتمدا في ذلك على اسلوب السرد السريع الواضح في اظهار القصد المباشر :

فقصيدته « سليمى ودجلة » تحكي قصة البؤس الذي كان يلاقيه الضعفاء من العاملين في قصور الطبقة الحاكمة والموسرين ، وقد صورها في شخصية فتاة بريئة الجأتها الحياة الى الخدمة فى بيوت أحد الضباط كجارية لابنته ، وتشاء الاقدار وتقع الابنة في مرض يودى بحياتها فتند لع انذاك نيران الحقد والغضب لتنزل على تلك الصبية لا لذنب جنته سوى ان يد الموت اخطأتها واختارت سيدتها .. فتذوق اذ ذاك مرارة التعذيب والاهانة والاضطهاد مما يلجأها الى ان تلوذ بحياتها الى احضان النهر لتصنع حدا لمأساتها . .

وهذه القصة الشعرية المتكاملة تطالعنا كما يلى :

أمير على جند بغداد يذكر
ينال له التركى ذو الطيش (جعفر)
له زوجة تدعى « زليخا » ركونه
اليها كثير فهى تنهى وتأمر
وكان له من تلك بنت جميلة
يقال لها فيها أتانى « دلبر »
وجارية في بيته شركسية
تسمى « سليمى » وهي عذراء معصر
مهفهفة رود كأن قوامها
قضيب من الليمون ريان مزهر
لها نظر كالسيف ماض غراره
ووجه كمثل الزهر زاه منور
تكاد بفرع راق منه غدائر
طوال اذا ما اسبلتهن تعثر
تفوق على بنت الامير بحسنها
واخلاقها فيما يقال ويخبر
فصادف ان البنت (دلبر) زارها
ملم من الجدرى بالموت ينذر
فأنشب فيها الداء اظفار فتكه
واعجز من قد كان فى الطب يمهر

فماتت به في ميعة من شبابها
وشيعت الى حيث الاكابر تقبر
الى حيث لا يرجى مآب لمن به
اقام وهل عن مورد الموت مصدر
وان الذي كانت زيلخا تقوله
رثاء لها فوق الذى يتصور
بكتها سليمى بالدموع غزيرة
وبات عليها قلبها يتفطر
ولكن بكاها المستمر وحزنها
على « دلبر » هل كان يجدى ويثمر
فأن « زليخا » كلما نظرت لها
احست بنار فى الجوانح تسعر
فتسخط اذ لا شىء يوجب سخطها
وتشتمها في وجهها وتحقر
وترفسها فى الصدر عند لقائها
وتوجع ضربا بالعصا وهى تصبر
لقد اشفق الخدام فى الدار كلهم
عليها ولكن من على المنع يجسر
ابت ان تراها كل يوم جميلة
و (دلبر) يبلى جسمها ويبعثر
تموت بريعان الشبيبة بنتها
وتحيا سليمى في محاسن تشهر

تقول الا ليت المنايا ترفقت
بدلبر واحتلت بمن تتخير
وليت المنايا ما تخرمن « دلبرا »
وغلن سليمى فهي بالموت اجدر
وهل ذنب هذا الدهر اذ غال دلبرا
وابقى سليمى بالحياة يكفر
حياة سليمى بعد ميتة دلبر
يعد من الذنب الذي ليس يغفر
فدت دلبرا بل ساعة من حياتها
كمثل سليمى الف بنت واكثر (١) .. الخ

هذا نموذج من قصصه الشعرية التي قالها في بداية حياته ونجد نفس النغمات في قصائده الاخرى ، ففي قصيدته « ارملة الجندي » يصور المأساة التي تعيشها اسر الجنود والضباط الذين يقضون نحبهم في الحرب ، وفي مقتل « ليلى والربيع » يتعرض للحياة المضطربة التي يعيش في جوها الافراد من سلب وتعرض للابرياء واراقة دمائهم لفقدان الامن ، وتصــور « ياذكاء » قصة الانسان الذي يقع فريسة الفقر والمرض اللذين يوديان بحياته اما (سلمى المطلقة) فيعرض فيها صورة الزوج الذى يستهتر بزوجته ويذيقها مرارة الهجر والطلاق لترتمي في احضان اخرى موسرة .

والملاحظ في مجموعة الزهاوي القصصية انه عني بالهدف وابرازه والتأكيد عليه بالدرجة الاولى دون العنايه الكافية بفنية السرد او بالجوانب

---

(١) ديوانه ص ٨٧ .

الفنية الاخرى التي يستلزمها الفن القصصي كرسم الالوان والأجواء واختيار الاحداث وادارة الحوار وتصوير الشخصيات .

ولعل سر ذلك يعود الى ان اهتمام الزهاوي بالهدف واظهاره جعله يذهب الى تفاصيل قد يضيق الشعر فنيا بها وتنبو عنها مقوماته . فكده وراء تفاصيل قصصية وتحويلها الى لمحات تحتضن جزاءا كبيرا من الاثارة والتحريض ثم تدخله بالتعليق هنا وحكمه هناك ليسمعنا صوته كل ذلك شغله عن الاهتمام بعنصر الفن .

ولم يكن (الزهاوي) فريدا بين شعراء العراق في هذا اللون الشعرى بل نجد للرصافي مجموعة من القصائد القصصية كانت فى الواقع خير ما صور به آلام مجتمعه ومشاهد بؤسه ، وربما تعتبر من اروع قصائد الشاعر التي ابرزت شاعريته وافاضت بحار عبقريته

فقد جاءت قصائده تلك تحمل الأنين الذي يتصاعد من نفوس ابناء قومه وتعكس العنت والارهاق الذي عاناه ذلك المجتمع من استبداد الحكـام الحكام وجورهم .. باسلوب صادق وأحاسيس انسانية فياضة وفلسفة لم ترتفع الى مصاف الخلود ، فقد اغرم الرصافي بقضايا عصره وهامت روحه مع المشاعر الانسانية فراح يجوب في دروب حياة الناس ويتتبع مشكلاتهم ويصور مآسيهم وآلامهم . . ولعل مظاهر البؤس كما يصرح كانت عنده من اشد الدواعي لنظم الشعر وقوله ، وحسبنا ما نجده في قصائده القصصية ، « اليتيم في العيد » و « الفقر والسقام » و « السجن في بغداد » و « ام اليتيم » و « الأرملة المرضعة » و اليتيم المخدوع » و « ام الطفل في مشهد الحريق » من صور انسانية بائسة سجلها الشاعر بمداد وجدانه وافاض عليها من

روحه الحساسة ومشاعره المتألمة لذلك المجتمع القابع في اركان التدهور والانحلال والفوضى :

وقصائد الرصافي تلك ما هي في حقيقتها الا صرخات للسلطات الحاكمة ونقد لسياستها المستبدة . . ثم هي بالتالي هزات للراقدين في قيود الخمول . . .

يقول في قصيدته « اليتيم في العيد » التي يظهر فيها ما تلاقيه الطبقة الفقيرة من ضنك العيش والحرمان بجانب الاغنياء الذين يتمتعون وحدهم بخيرات البلاد . .

اطل صباح العيد في الشرق يسمع
ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجع
صباح به تبدي المسرة شمسها
وليس لها الا التوهم مطلع
صباح به يختال بالوشي ذو الغنى
ويعوز ذي الاعدام طمر مرقع
صباح به يكسو الغني وليده
ثياباً لها يبكي اليتيم المضيع
صباح به تغدو الحلائل بالحلى
وترفض من عين الأرامل ادمع
الا ليت يوم العيد لا كان انه
يجدد للمحزون حزنا فيجزع
يرينا سروراً بين حزن وانما
به الحزن جد والسرور تصنع

وينقلنا من تلك المقارنة الى صورة تجسد المأساة وتستثير العواطف الانسانية صورة اليتم المضيع وسط مظاهر العيد الصاخبة التي لم تستطع طبولهـا وضجيجها ان تنتشل المعذب البائس إلى لمحة خاطفة من السعادة :

وقفت اجيل الطرف فيهم فرعني
هناك صبي بينهم مترعرع
صبي صبيح الوجه اسمر شاحب
نحيف المباني ادعج العين انزع
يزين حاجبيه اتساع جبينه
وفي عينه برق الفطانة يلمع
عليه دريس يعصر اليتم ردنه
فيقطر فقر من حواشيه مدقع
يلبح بوجه للكآبة فوقه
غبار به هبت من اليتم زعزع
على كثر قرع الطبل تلقاه واجما
كأن لم يكن للطبل ثمة مقرع
كأن هدير الطبل يقرع سمعه
فلم يلف رجعاً للجواب فيرجع
يرد ابتسام الواقفين بحسرة
تكاد لها احشاؤه تتقطـع
ويرسل من عينيه نظرة مجهش
وما هو بالباكي ولا العين تدمع

يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد
على البرد من برد به يتلفع
فكان ابتسام القوم كالثلج قارساً
لدى حسرات منه كالجمر تلذع

ويمضي في سرد قصة هذا اليتيم الذي مات والده وسجن معيله ويختم قصيدته بدعوة صريحة وتحريض واضحاً للتحرر والانعتاق فيقول :

ألسنا الألى كانت قديماً بلادنا
بأرجائها نور العدالة يسطع
في بالنا نستقبل الضيم بالرضا
ونعنو لحكم الجائرين ونخضع
شربنا حميم الذل ملء بطوننا
ولا نحن نشكوه ولا نحن نهجع
نهوضاً الى العز الصراح بعزمة
تخر لمرماها الطغاة وتركع
الا فاكتبوا صك النهوض الى العلى
فاني على موتي به لموقع (١)

وهو حين يرسم ابعاد هذه الصورة الفنية لا يستثير همم الناس فقط للمطالبة بحقوقهم وانما يقف كما ينبغي ان يكون الفنان المناضل في مقدمة المطالبين بالنهضة والتغيير « فاني على موتي به لموقع » . وهذا ادراك واع لوظيفة الشاعر في مجتمعه .

---

(١) ديوان الرصافي ص ٥٨ وما بعدها .

د ـ الدعوة للتعليم ونبذ الجهل :

والعلم اساس تقدم المجتمعات في عصر النور والحرية ، ولكي يصل المجتمع الى يهدف اليه المصلحون ، لذا فقد كان اهتمامهم موجها الى الدعوة لنشر العلم والثقافة بين افراد المجتمع .

وقد حفلت دواوين الشعراء بهذا المطلب الاساسي . ودعوا اليه في كل مناسبة لاحت لهم :

فالكاظمي يبسط امام المجتمع الذي يريد له التقدم انه ليس هناك ما يوصل الانسان للعلى غير طريق واحد هو طريق العلم :

ليس يغني الفتى مع الجهل مال
رب مال نما فكان وبالا
انما يحمد الثراء لقوم
فالمعالي بغيره لن تنالا (١)

ويضع الرصافي العلم فوق كل اعتبار تفرضه المجتمعات المتطورة فهو السلاح الذي تسود به الدول الحديثة، وهو النبض الحي الذي يدفع بالأمة نحو التقدم والحياة الحرة :

ان للعلم دولة خضعت دو
ن علاها عوالم الأضداد
ما استفاد الفتى وان ملك الار
ض بأعلى من علمه المستفاد

---

(١) ديوان الكاظمي ص ٣٠ .

لا تسابق في حلبة العز ذا العلم فيها للهجين شأو الجواد

ان أموات أمة العلم أحيا
ء حياة الأرواح والأجساد (١)

وحديث الرصافي مع العلم حديث سيطر على معظم قصائده فهو لم يقتصر في دعوته للعلم على المطابة والحث على التعلم وانما طالب بفتح المدارس وتعميمها ، بل ذهب الى اكثر من ذلك في مطالبته بتعميم مناهج التعليم وتوحيدها في جميع البلاد العربية . .

وفي ذلك يقول :

انما هذه المدارس روض
بنيت المجد والعلى والفخارا(٢)
تتغذى بها النفوس غذاء
هو ينمي العقول والأفكارا

الى أن يقول :

فعليكم فيها بتحصيل علم
رغد العيش ، يسعد الأعمارا

وفى الدعوة لوحدة التعليم فى البلاد العربية يقول :

---

(١) ديوان الرصافي ص ٢٠

(٢) ديوانه ص ٨٢ وانظر قصائد فى هذا المضمار المدارس ونهجها ص ٨٧ ، وقصيدة العلم ص ٩١

ثم انهجوا في بلاد العرب اجمعها
نهجا على وحدة التعليم مشتملا (١)
حتى اذا ما انتدبنا العرب قاطبة
كنا كأنا انتدبنا واحداً رجلا

ويشترك الزهاوي مع زميله الرصافي في نزعته نحو تمجيد العلم ورفع رايته :

يقول في قصيدة « حول العلم » (٢)

العلم ثروة أمة ويسار
والجهل حرمان لها وبوار
العلم قد دك الجبال فهدها
واضاء جنح الليل فهو نهار
بالعلم اطلقت البلاد كواكباً
بالعلم صارت تنطق الاحجار
بالعلم أدنى الناس شقة أرضهم
بالعلم غاصوا في البحار وطاروا .. الخ

وفي قصيدته « أشحذ سلاحك » يقول :

لاشيء في التحقيق مثل العلم اجمع للشتات
يبقى بناء العلم بر — هانا على فضل البناة
بالعلم تحيا الأرض فاعلم بين دجلة الفرات

(١) من قصيدته المدارس ونهجها ص ٨٧
(٢) ديوان الزهاوي ص ٢٢٩ طبعة ١٩٢٤

يرقى العراق بما ينـا ـل العلم فيه من الهبات
ومدارس للطـالبين ومثلهـا للطالبـات
حكم الجهالة قد مضى عنـا وحكم العلم آتي(١)

وهذا الغرض لا يعد جديداً في الأدب العربي اذ ان الشعراء على كافة مستوياتهم وعصورهم نادوا بالعلم ومجدوه واتجه بعضهم الى « الشعر التعليمي » غير ان الجديد في هذا الغرض هو انه يأتي بعد فترة أهمل فيها شأن العلم أيام الترك وزمن الاحتلال البريطاني وكان لابد من التزود بالمعرفة للنهوض بالبلاد في كافة المجالات الفنية والعلمية .

الشعر التأملي :

وهذا الاتجاه نحو الحياة الروحية والموضوعات المجردة خطوة هامة نحو الرقي بالشعر العربي ومساواته بالشعر العالمى الذي يهتم بتوليد المعاني والأفكار والتأمل العميق للوجود .

فقد جاب الشعراء من خلاله طوايا النفس الانسانية ، وتأملوا في خباياها وودائعها ، وحاولوا استكشاف غوامضها وعلاقاتها بمشاكل الوجود . وقضايا الفناء والخلود .

واذا ما استقصينا هذا الضرب من الشعر في صفحات ادبنا العربي طيلة الأجيال . . لوجدنا له مسارب ضئيلة لا تكاد تتجاوز حدود العصر العباسي ، اما ما قبل ذلك فلا نكاد نعثر له الا على ظلال باهتة ، فالجاهليون من الشعراء لم يكونو ليفسحوا امام تأملاتهم النفسية من مجال لانشغالهم

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٢٢٨ طبعة ١٩٢٤

بحياتهم الخارجية واحداثها .

وعندما طرق الاسلام عالمهم الجاهلي ، وفتح أبصارهم على العوالم الروحية ، واخذهم بتكاليف وعبادات دينية ، لم تلبث طوائف الوعاظ ان نشأت ونشأ معها ضرب ، من الوعظ الديني الذي اتجه با ناس الى عالم الروح والتأمل في دخائل النفوس ، هدفهم في ذلك الارشاد للطريق المستقيم ، وليعملوا الدنيا اخرى غير دنياهم .

وبالرغم من تطور الشعر بعد ذلك ، الا ان الشعراء لم يحاولوا طرق هذا الجانب من الشعر ، فقد شغلتهم الاحداث الخارجية والعصبيات القبلية والاحزاب السياسية ، إلا فئة قليلة ممن تأثروا بكلام الوعاظ وتغلغلت دعواتهم الدينية في نفوسهم ، فنظموا شعراً هو في مضمونه دعوات لردع النفس عن الشهوات ولومها ، أو مناجاة للخالق وعبادته .

ولكن معالم تلك النزعة لم تظهر واضحة الا في حدود العصر العباسي(١) عندما اختلط العرب بغيرهم من الأقوام ، واتسعت امامهم ابواب الثقافات التي امتزجت ببعضها ، وارتفعت بذلك نواصي الفكر والعقل معاً .

عند ذلك ظهرت خيوط من الزهد الاسلامي التي تحولت الى نوع من التصوف الفكري المعقد ، الذي يعكس عالم المتصوفين في رحلاتهم خلال النفس وسعيهم لتخليصها من شوائب الحياة وادرانها . وكان من آثار تلك الطبقة مجموعة من الشعر الصوفي الذى يسبح في بحار الوجد الالهى ويغوص في اعماق النفس البشرية .

---

(١) د . شوقي ضيف : كتابه دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ١٢٢ ط . ٢ .

ولم يكن الشعر الصوفي هو كل ما تركه العصر العباسي لشعرنا العربي في هذا المضمار ، بل وجدنا الى جانبه تأملات نفسية اخرى ، لا تنكر العقل وطرقه في الفهم ، وانما تدور فى محوره وما يثيره من التمعن في قضايا النفس وعلاقاتها بالوجود وحقيقة الحياة والموت ، وهو تيار معاكس لتيار الصوفية التي لا تعترف بالعقل وسيلة للوصول الى تلك الحقائق .

وتلك التأملات هي التي دارت فى محيط الفلاسفة من الشعراء كابن شبل البغدادي الذي يقول في مطلع قصيدته :

بربك ايهــا الفلك المـدار
أقصد ذا المسير أم اضطرار

وقد تساءل فيها عن الروح وخلودها وعن فناء الجسد وحقيقة الكون وآدم ونزوله من الجنة الى رحاب هذا العالم الذي يشقى ابناؤه .

كما صور لنا ابن سينا في قصيدته العينية المشهورة رحلة النفس من عالم الروح والعقول المجردة الى عالم البدن والجسد حين تخلق في الرحم وتتعلق بمعالمها الجديـد .

كما ترك لنا ابو العتاهية مجموعة من قصائده التي تتحدث عن الزهـد فى الحياة والتنفير منها .. ثم جاء ابو العلاء ليرسم الدرب واضحاً فى فلسفته عن الكون والحياة لولا انه انساق وراء نظرة تشاؤمية مفرطة .

ولا نستطيع ان نمر فى هذا الاستقصاء عن جذور الشعر التأملي دون ان نقف عند شاعر وصف بأنه حكيم اكثر منه شاعر ، لولوجه هذا الباب من التأمل ولوجاً واسعاً ، ذلك هو المتنبي الذي ذاق مرارة الحيــاة والناس معاً ، وعانى منهما معاناة اكسبته خبرة واسعة بحقائق النفوس وما تبطنه من

نوازع متباينة ، صورها تصويراً دقيقاً في شعره كما صور نفسه وآماله كما لم يصورها شاعر من قبله، فقد احس هذا الشاعر الحكيم احساساً عميقاً بمأساة حياته وانه غير قادر على تحقيق ما يرمي اليه من آمال واحلام . . ولذا فقد ركز جل تأمله في دخيلة نفسه ودخائل نفوسهم حتى استغرقه هذا التأمل وسال في جميع ابواب شعره حكمة وخبرة .

وتغلق او تكاد ان تغلق تلك النافذة بعد ذلك في ادبنا العربي أبان العصور التالية .. بسبب ما لحق الادب من ركود وضعف . . وما ان طلع الفجر الحديث حتى اخذت خيوط هذا اللون من الشعر تتسرب من جديد لتبعث الشعر التأملي بعد ذلك واسعاً عملاقاً .

ففي مصر يبعثه عبدالرحمن شكري والعقاد والمازني وفي المهاجر رفع رايته ابناء الرابطة القلمية امثال نسيب عريضه وايليا ابو ماضى وميخائيل نعميه وغيرهم . .

أما في العراق فقد قام على يد الزهاوي والرصافي كما نجد لمحات منه عند الشبيبي وكاظم الدجيلي .. ثم جاء بعد ذلك احمد الصافي النجفي ليفرد له مجالا واسعاً في دواوينه العديدة . .

فلقد طاف الزهاوي - ولعله اكثر الشعراء حظا - في هذا المجال حتى عده الكثيرون بأنه فيلسوف اكثر منه شاعر بسبب اقتران فلسفته وتأملاته بالجوانب العلمية ، في قضايا الكون والنفس وفلسفة الوجود . . وكان طوفانه هذا كثيراً ما يقلق نفسي حائر تضطرب عنده الفكرة حتى تتأرجح بين الشك واليقين .

ففي قصيدته « ايتها السماء » (١) وهي من منظوماته الاولى يشك

---

(١) الديوان جـ١ ص ٣٥

في مبدأ البعث ويتساءل عن مصير الروح بعد الفناء فيقول :

أبيــني ياسماء وخبرينــا بما لم ندر دام لك العلاء
ولا زالت على مر الليالي نجومك يستضيء بها الفضاء
هل الارواح بعد الموت منا لها في جوك السامي بقاء ؟
ام الأرواح تابعة جسومنا لنا تبكي فيلحقها الفنــاء

وتتحول حيرته تلك الى اضطراب عقائدي في حقيقه البعث ، فنجده تارة مادياً لا يؤمن بالخلود وبعث الارواح ، بل يرى ان الروح فانيـة بفناء الجسد ، وهي نظرة مادية بحتة .

ليس للــروح بلا جسم عــلى الارض ثبوت
فـاذا ما مات حتى الجسم فالروح تموت (١)

× × ×

ويقول :

إذا تصدع منك جسمك للردى
يومـاً فروحك مثله تتصدع (٢)

ويقول :

ستبيد الاجساد من بعد حين
وتبيد الأرواح كالأجساد (٣)

---

(١) اللباب ص ٢٤٤ .

(٢) الأوشال ص ٧٨ .

(٣) الديوان ص ٣٨٣ .

وله ايضاً :

النفس في الكهرباء بهـا اعى
فـاذا رديت فانها تردى معى
ليس الحيـاة سوى جماد ثائر
والى سواه ما لها من مرجع (١)

ونجده تاره اخرى يناقض نفسه بعد ان اعياه الاضطراب فيرجع الى الايمان بالروح التي بعثها الله في الجسد ثم رفعها اليه . . فيقول :

طارت بعز للسماء الارفع
ورقاء كانت فيك ذات تخضع
قد كان مسكنها بجسمك ضيقا
واليوم تسبح في مكان اوسع
الله ارسلهـا اليك وبعـد ان
مكثت قليلا قال لها ارجع (٢)

وكما آمن ببعثها آمن بخلودها وقد نوه عن ذلك في اماكن عديدة من قصائده نلتقط منها تلك الأمثلة :

فمن قصيدته « يا عدل » يقول :

وان لنـا اذا متنا حيـاة
ننال الى السماء بهـا انتقالا

---

(١) الديوان ص ٣٨٢ .
(٢) الكلم المنظوم ديوانه ج١ ص ٨٣ .

ستخرج من مضيق الجسم روحى
وتلقى في الفضاء لهـا مجالا (١)

وفى قصيدة له فى تأبين الكاظمي يقول :

ولعل هـذا الموت مبدأ رحلة
للروح خالدة وراء الأزمن (٢)

ومن قصيدته « شكوى الشيخ الى ابنه » يقول :

ستذهب ذرات لجسمي الفت
بدادا وعلى الروح لا يتبدد (٣)

هذا الاضطراب بين المادية والروحية الذي وقع فيه الشاعر ما هو الا دليل على اضطراب الحياة نفسـها وما عم فيها من صراع بين مدنية العصر التي طغت بمادياتها وحولت عالم الانسان الى تكالب وتزاع ، وبين حنين النفس الى عالم روحي يلجأ اليه ويلوذ تحت افيائه من قسـوة الحيـاة وشقائها . وقد انعكس هذا الصراع فى حيرة وقلق وتردد دفع بالانسان الى ذلك الدرب الذي يخوض وراء الروحيـات ويحاول ادراك غوامضهـا واستكشاف طواياها .

ولعلنا نجد تلك الحيرة عند الرصافي الذي لم يجد للانسان منقذاً منها سـوى الركون الى العقل فهو وحـده الذى يصل بالانسـان الى ادراك الحقيقـة :

---

(١) الكلم المنظوم ديوانه جـ ١ ص ٤٠
(٢) الثمالة ص ١٥
(٣) الثمالة ص ٢٨

متى تطلق الأيام حرية الفكر
فينشط فيها العقل من عقلة الاسر
ويصدع كل بالحقيقه ناطقا
ويترك ما لم يدر فيها لمن يدري

وبعد ذلك ومتى ما اطلق العقل من أسره يستطيع ان يخبرنا كنه الحقيقة التي يبحث عنها الرصافي :

ومن اين جئنا أم الى أين قصدنا
وفي أي ليل من تشككنا نرى ؟
وماذا وراء القبر مما يزيده
وهل مدى بعد العبور على الجسر

وتدفعه حيرته بعد ذلك الى أن يتساءل عن الروح وحقيقتها وهل ستخلد أم ستفنى بفناء الاجساد فيقول :

تسائلني نفسي وللموت صولة
الا هل لكسر الموت ويحك من جبر
لعل حياة المرء ليل ستنجلي
غياهبه من سكرة الموت بالفجر
فان كان ذا حقا فان حياتنا
كما قيل ستر والردى كاشف الستر
وقد قيل ان الروح تبقى فهل لها
عروج الى الاعلى الى الأنجم الزهر

وهـل تعرف الجثمان بعد عروجها
فتمكث منـه في السماء على ذكر

وتغلب الشاعر المادية فيبدي اعتراضه على مبدأ خلود الروح ويقول انه خيال يعلل الانسان به نفسه ليهرب من واقع حياته القاسي :

اذا ارضنا كانت سماء لغيرهـا
فما من عروج بل نزول الى القعر
وهل عرجت ارواح من في عطارد
الى الأرض أم هذا كلام من الهذر
خيال بـه رحنـا نعلل انفسـاً
هزأن به لما رجعن الى الحجر (١)

وعدم اعتراف الرسافي بفكرة خلود للنفس نجده في قصيدة اخرى عنوانها « بين الروح والجسد » اذ يقول :

ولسـت اظن ان الروح تبقى
اذا محيت من الجسد الرسوم
وربتـما يكـون لهـا دوام
ولكـن غير شـاعرة تـدوم
ومـا هبطت الخضراء لكن
مـن الغبراء انبتها الحكيم (٢)

وكما شغلتهم فكرة الروح وخلودها . شغلتهم حقيقة الحياة والوجود

---

(١) ديوان الرصافي ص ١٨٤ وما بعدها .

(٢) ديوان الرصافي ص ١٩١ .

وما يحويانه من خير ومن شر . . لذا فقد جعلوهما هدفاً لدراستهم وتأملاتهم :

فيعبر الزهاوي عن الحياة بقوله :

ان الحياة سعادة وشقاء
يتعاقبان وضحكة وبكاء
في قلب من يحيا على ضيق به
يأس يخيم تارة ورجاء (١)

وكأن الزهاوي في ابياته تلك قد آمن بأن ذلك هو نظام الحياة يراها وكأنها بنيت من الخير والشر ، لذا فهو لا يئن ولا يلهث ألماً مما يصيبه منها . .

ولكن هذا الاطمئنان الموقت سرعان ما ينهزم امام القلق الناجم من تلاعب تلك الحياة واحداثها بمقدرات الانسان حتى احالت اطمئنانه الى حيرة :

لست ادري كخابط في ظلام
أورائي سعادتي أم أمامي
حيرة في الحياة قد صدفتني
عن بلوغي من الحياة المرامي
وقضت انني اطيل وقوفاً
في ممر الشكوك والاوهام

---

(١) ديوانه ص ٣٦ طبعة ١٩٢٤ .

ضجرت نفسي من توالي الليـالي

واستحلت تعاقب الايام (١)

وتطوف روح الرصافي الحائرة في آفاق الكون ومراميه محاولا الوصول الى ما به من اسرار . . وكأن التأمل قـد اعياه لذا بات يتلهف الى مفتاح للوجود فلم يجـد الا العـلم ، فالعلم وحـده يستطيع ازالـة الاستار ويبزز الغوامض :

سل الفلك الـدوار عن حـركاته

فهل هو فيهـا دائر باختيـاره

وهـل هو في هـذا الفضاء مسافر

له غـاية مقصـودة من سفاره

وهبنـا جهانـا بدأه من تقـادم

فهـل يدرك العقل انتهاء مداره

متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى

وترفع كف العلم مرخى ستاره (٢)

ثم يتجه الى النجوم يسائلها علها تشفى غليل حيرته فيقول :

الكـني يا ضبـاء الى الـدرارى

رسـالة مسهـر فيهـا الجفونا

لعلك راجـع منهـا جـوابا

بزيـل عمـاية المتحـيرينا

---

(١) ديوانه ص ٣١ .

(٢) ديوانه ص ٣٨ .

فقـل ، انـي محـير فيك فكري

كـذاك تحـير المتفكـرونا (١)

وكما طاف الشعراء في تأملاتهم في جوانب الكون والحياة والروح طافوا أيضا في اغوار النفس ونوازعها ... وربما نستطيع تعليل ذلك بأنه رد فعل للكبت الذي كان يلاقيه الشاعر في بيئته السياسية وفي مجتمعـه ... ونتيجة لشعوره بخيبة الأمل في تحقيق احلامه وآماله . . فلم يجـد تجاه ذلك مخرجا للأسى المنطوى ولا متنفسا للألم المكبوت والعاطفة السجينة غير نفسه يناجيها ويغوص زواياها من اعماقها ويتجلى هـذا في شعر الصافي النجفي مخاطبا نفسه :

يا نفس تهوين الزهـور وشمهـا

ومـتي شممت الزهـر تحتقـريه

حـيرته تبكـين ان فـارقتـه

ومـتى شممت اريجـه ترميـه

لا وصلـه يرضيك أو هجـرانه

تا الله مـا اقسـى هيامك فيـه

فـلأنت شوك للأزاهـر متلف

والشـوك حـف الزهر كي يحميه

يا نفس ما تهوين غـير مـنزه

وتدنسين الطهـر إن تهـويه (٢)

---

(١) ديوانه ص ٢٥ .

(٢) ديوانه الاغوار ص ٤٤ .

فهو في حيرة حيرة من أمر النفس البشرية المتقلبة التى تكره اليوم ما تحبه غداً ، وتحب اليوم ما تكرهه بعد ذلك . وهذا الشعر يصور مأساة الانسان في مطلع القرن العشرين . . وفي نصفه الأول الذي احتدم فيه الصراع والتكالب على المكاسب الدنيوية بين الدول بعضها البعض الآخر والافراد ايضا . . ذلك لان المجتمعات تطورت وتعقدت ووجد الانسان ضائعا بين متطلبات روحه ومتطبات جسده فتمزق بين هذا وذاك وراح يركل الحياة حينا ويسجد امامها طالبا الغفران حينا آخر ، وراح يشك في الخالق والبعث والوجود والعدم ثم يعود صاغراً بعد ذلك الى حديقة الايمان بعد ان تعييه الفكر.

ان الشعر التأملي يعكس مأساة الانسان ... في العراق يصور اتجاها جديداً نحو القفز فى دنيا التفكير الرحبة والتخلص من الجمود الفكري والخوف الذي يكبل العقل والوجدان .

[illegible]

[illegible]

الفصل السادس

التجديد في الشكل الفني

أ ــ البناء الفنى

ب ــ الاطار اللغوي

جـ ــ الاطار الموسيقي وأثر مدرستي لديوان وابوللو .

التجديد في الشكل الفني

نتناول في هذا الفصل ما لحق الشعر العراقى في الفترة من ١٨٧٠-١٩٤٠م من تطور وتجديد في الشكل الفنى .

ويدور بحثنا حول العناصر التالية :

اولا : البناء الفنى للقصيدة

ثانياً : الاطار اللغوي

ثالثاً : الاطار الموسيقى واثر مدرستى الديوان وأبوللو فى مصر .

واضعين في اعتبارنا - من خلال عرضنا لاراء الشعراء في التجديد ان التجديد فى الشكل الفنى لم يكن يعني الشعراء العراقيين بقدر ما كان يعنيهم الابتكار فى المعانى وتوليدها

وهكذا فان النتيجة التى توصلنا اليها ان التجديد فى موضوعـــات الشعر ومضامينه قد شغل جل اهتمامهم نظرا لطبيعة العصر المضطربة وكثرة القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية التى دفعت الشعراء الى أن يسهمـــوا بنصيب وافر فى مجالاتها ، وانعكس هذا بدوره على المضامين التى اصبحت أكثر ثراء وتجاوبا مع اماني الناس وروح العصر ، كما يقول الاستاذ ابراهيم المازنى :

(تأمل اثينا بلاد القلق والاضطراب ، وأيطاليا ايام دانتي وبترارك حين كان يتنازعها الاحزاب ، وتفت فى عضدها الحروب وانجلترا فى عيد اليزابيث وجيمس وبعد الثورة الفرنسوية ، والعرب فى جاهليتهم وفي عصور النزاع والاضطراب التى تلت الاسلام .. ومن غير هذه فانك حيثما قلبت طرفك لا بد واجد مصداق قولنا ، وانما كان هـذا هكذا لأن كل ثورة أو انقلاب ايذان بمولد فكرة جديدة أو مذهب يحسه الناس جميعاً فينشأ الشعراء ليعبروا عن هذه الفكرة أو المذهب ، وليشرحوا للناس آمالهم في الحياة وفي المستقبل (١) .

وطبيعة الفترة التي نتناولها بالدراسة (من ١٨٧٠ الى ١٩٤٠) مشحونة بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية ، ولهذا تحول الشعر في كثير من فنونه الى صوت الناس المعبر . وهذا التيار الجديد الذى تسرب في شعر الطبقة الأولى واصبح طابع شعرهم المميز من امثال الزهاوي والرصافي والشبيبي والكاظمي والدجيلي والجواهري نقل الشعر العراقي بعامة من اسر الأغراض القديمة كالمدح والرثاء والوصف الحسي والشعر التعليمي الى ميادين فسيحة في السياسة والاجتماع والوجدان والوصف الابداعي الخلاق .

غير ان بحثنا عن مظاهر التطور والتجديد يجعلنا نتلمس اثره في الشكل الفني للقصيدة . ذلك لأن الشعر لا تكمن قيمته فقط في المعاني والافكار فحسب ، وانما في الانطباع الوجداني الشعوري الذي ينتج عن الموسيقى والرمز ومعمارية القصيدة والصور الفنية الموحية ، هذا الوعاء الفني متلاحماً

---

(١) ابراهيم المازني : الشعر غاياته ووسائطه ص ٤٣ ، ٤٤ .

مـــع المضمون الفني يخلق القصيدة الجيدة والشاعر المجيد . ونحن نتفق في الرأي مع الدكتور عز الدين اسماعيل حين يقرر ان . «التوفيق فى بناء العمل الفنى أصعب منالا من الوقوع على المضمون الصالح . أصوغ هذه الحقيقة بلغة حادة لكى ألفت النظر الى شـــيوع نزعة لدى الكثيـــر من نقادنـــا المعاصرين في دراستهم للاعمال الفنية والشعرية بخاصة ، هى نزعة البحث عن المضمون ، والاحتكاك بالعمل الفني على المســتوى الفكـــرى ، دون المعاينة الحقيقية للجهد الابداعى المبذول فيه ، وبصفة خاصة في بنائـــه او في معماريته» (١)

وعندما استعرضنا اراء الشعراء العراقيين في التجديد ، وجدنا أنهم يتحدثون عن تجديد يشمل الشكل والمضمون معاً (٢) ، وطالبوا بتجديد فى الأساليب، والأوزان والقوافى، ولكن هل انتقلت دعواتهم الى مجال التطبيق ام انها كانت مجرد آراء لم تستطع اقتحام القيود التي فرضها سلطان الأدب العربي على اذهانهم لا سيما وان المسائل المتعلقة بالشكل الفني هي اقل عناصر الشعر تقبلا للتجديد وابطؤها مسايرة للتطور .

ولئن كانوا قـــد اخلصوا لآرائهم وحاولو التجديد ، فما مقـــدار ما حققوا من تجديد ؟ . هذا ما سنحاول الجواب عليه فى هذا الفصل .

اولا : ـ البناء الفني للقصيدة :

بدأ الشعراء العراقيون أولى مراحل تجديدهم للبناء الفنى بمحاولة صبغ القصيدة بوحدة عضوية ، هذه الوحدة التى تضم التجربة والصـــور الفنية والاخيلة والموسيقى والكلمات في «وشاح خفى أثيرى» فاذا مـــا

---

(١) د . عزالدين اسماعيل : الشعر العربى المعاصر ص ٢٣٨ .

(٢) مفهوم التجديد عندالشعراء العراقيين ص ٦٠ ومابعدهامن هذه الرسالة .

كملت تلك الوحدة تكامل القصيد ، ودبت فيه الحياة . وتلمح هذه الوحدة ابتداء من دور ان أبيات القصيدة دورانا منطقيا شعرياً ، ومن تنقل هذه الابيات تنقلا فكريا ، ويتأتى هذا الدوران المنطقى من توفر التجربة الشعرية وعرضها عرضا جميلا ، وصياغتها صياغة محكمة . ومتى اختلطت تلك التجربة اضطربت الوحدة الفنية وتخلخل بنيانها .

ولم يكن الشعراء العراقيون في محاولتهم النهوض بالقصيدة العربية بدعا في اتجاههم نحو الوحدة العضوية اذ أن النهضة النقدية التى شهدتها مصر في مطلع القرن العشرين اتجهت أيضا نحو هذه الوحدة العضوية . فوجدنا العقاد منذ اللحظة الاولى يحمل على هذه القصيدة ممثلة فى شعر شوقى، وقد كانت هذه الحملة تدعو الى وحدة القصيدة أي وحدة الغرض من جهة ، كما ان تكون القصيدة بنية حية من جهة أخرى . (١)

ولعل أول منطلق للعراقيين في هذا المجال أنهم حاولوا تخليص القصيدة من شكلها التقليدى الذي يتميز بتعدد الاغراض وقصرها على غرض واحد .

ولكن الملاحظ أن تلك الوحدة الموضوعية كثيراً ما تختل في أيديهم بسبب اضطراب التجربة الشعرية اضطرابا ينجم عنه الاستطراد والتكرار الذى لا مبرر له ، أو بسبب اقحام فكرة أو رأى للشاعر من خلال عرض تجربته مما يصرف الذهن لبعض الوقت عن متابعة السياق الفنى للقصيدة، ويشيع الخلل في وحدة الفكرة، ومثال ذلك ما نجده في قصائد الرصافى القصصية مثل قصيدة ام اليتيم . (١) التى يبدؤها بوصف انين الام في الليل :

---

(١) عز الدين اسماعيل : الشعر العربى المعاصر ص ٢٤٥

(١) الديوان ص ٣٩ ، ٤٠

رمت مسمعي ليلا بأنة مؤلم
فألقت فؤادي بين أنياب ضيغم

وهو بعد هذا المطلع يستطرد نحو وصف الليل والنجوم وأثر تلك الفاجعة على نفسه ، وكيف هجره النوم ، وينسينا في خلال تصويره لنفسه وآلامه تلك القصة التي سيوردها عن هذه الام المنكوبة :

فأصبحت ظمآن الجفون الى الكرى
وان كنت ريان الحشا من تألمي
وأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع
له شعراء القوم من متردم

وهو ينثر الحكم خلال القصيدة مما يؤثر على بنيانها المتماسك ويحيلها الى صورة وعظية كلامية في بعض مواضعها وخاصة حين يستطرد الى دفاعه عن الدين ، ومهاجمة اولئك الذين لا يفهمون شرائعه ويسيئون استغلاله .

فليس بدين كل ما يفعلونه
ولكنه جهل وسوء تفهم
لئن ملئوا الأرض الفضاء جرائما
فهم أجرموا والدين ليس بمجرم
ولكنهم في جنح ليل من العمى
تمشوا بمطموس العلائم مبهم
وقد سلكو تيهاء من امر دينهم
فكم منجد في المخزيات ومتهم

وتتكرر هـذه الظاهرة - الاستطراد والبعد عن الوحـدة الموضوعية والاخلال بالسياق الفني للقصيدة عنـد الرصافي في مواضع اخـرى مثل قصيدة « السجن في بغداد » (١) و « اليتيم في العيـد » (٢) ، والملاحظ وجود الكثير من التفصيلات التي لا تتلائم مع سياق القصيدة ولا يحتاجها بناؤها العضوي ، كما ان كثرة الصور الدخيلة لا تترك مجالا للإيحـاء الذي تتمتع به لغة الشعر ، كما انها تقلل من قيمة التجربة الشعورية ، فكلما قلت تفصيلات الصورة كلما زاد ايحاؤها الفني « ان الصـورة تكتشف شيئاً بمساعدة شيء آخر . والمهم فيها هو ذلك الاستكشاف ذاته ، اي معرفة غير المعروف لا المزيد من معرفة المعروف . ولهذا لا يكون التشابه بين الشيئين تشابهاً منطقياً . وكما يقول العالم اللغوي كارل فسلر : « انصورة الاقـتران اللغوية التي من هذا النوع ليست على الاطلاق حركات منطقيـة للتفكير . انها حلم شاعر حيث تتضام الاشياء ، لا لأنها تختلف فيما بينها او تتحد ، بل لانها تجتمع في الفكر والشعور فى وحدة عاطفية » (٣) .

وهذا النص يفسر لنا لماذا يبدو الشعر الفخم الجزيل الذي عرفنـاه عن الرصـافي مفتقداً للإيحـاء الشعري والوجداني وللوحـدة العضوية القوية المتماسكة .

---

(١) الديوان ص ٤٢ .

(٢) الديوان ص ٥٨ .

(٣) عزالدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر . ص ٣٤ عن :
Herbert Read Collected Essays in Literary Criticism, (Faber & Faber) London PP 98 . 99.

غير ان النماذج التي عرضناها للرصافي لا تعني ان نموه الفني قد توقف عنـــد مرحلة معينة لا يتجاوزها ، بل ان له تجـــاربه الفنيـــة ذات البنيان المتماسك والمعمارية القـــوية ، ومثـــال ذلك قصيـــدته « وقفـــة في الروض » (١) .

ناح الحمام وغـــرد الشحرور
هذا به شجن وذا مسرور
في روضة يشجي المشوق ترقرق
للـــماء في جنباتها وخـــرير

وتتداعى الصور الفنية الرائعة التي تنعكس في وجدان الشاعر بهجة وفرحاً ، وتتخذ الالفاظ عنده دوراً ايحائياً موحياً :

للنرجس المطلول ترنو أعـين
فيها وتبسم للأقـاح ثغـــور
تحلت خزاماهـا البنفسج خدنها
وغـدا يشير لوردها المنثور
وكأن محمـر الشقيق وحـوله
في الروض زهر الياسمين يمور
شمع توقد في زجاج أحمر
فغـدا حواليـه الفـراش يـدور

ونجد عنده روح البحتري الوصافة ذات الرونق والبهاء .

---

(١) الديوان ص ٢٢٥ .

فأجلت في الأزهار لحظ تعجبي

والفكرتي بصفاتهن مرور

هذا في الحقيقة هو التكامل الفني الصحيح بين الفنان والطبيعة ، وهو الموقف الذى تقوم على اساسه فلسفة الصورة في شعرنا الجديد بخاصة . فعالم الافكار - وهو بطبيعته غير واقعي - يحاول ان يصبح واقعيا بمعانقته للأشياء والبروز خلالها (١) .

وحين يعالج الشاعر موضوعا من مستحدثات الحضارة مثل الساعة(٢) يجعل منه ايضا بناء معماريا يمتاز بالوحدة العضوية والتجاوب بين اجزائه .

وخرساء لم ينطق بحرف لسانها

سوى صوت عرق نابض بحشاها

حكت لهجة التمتام لفظاً ولم تكن

لتفصح الا بالزمان لغاها

لها ضربان في الحشا قد حكت به

فغدا تغشاه الهوى وحكاها

جرت حركات الدهر في ضرباتها

وبانت مواقيت الورى بعماها

وهي صورة متكاملة تتجاوب حركاتها وتتماسك وتتلاحم ابياتها ، لتعطى لنا صورة قد لا تبدو واقعية وذات تطابق تام مع الحس والعقل

---

(١) د . عزالدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ١٢٧ ؛

(٢) الديوان ص ٢٣٣ .

ولكنها على كل حال بناء كامل وقوي، ومن هنا كانت الصورة دائما غير واقعية وان كانت منتزعة من الواقع. لأن الصورة الفنية تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها الى عالم الوجدان اكثر من انتمائها الى عالم الواقع (١) ،

وتجارب الرصافي الوطنية ذات نفس شعري طويل ، وقوة لفظية وشعورية نابضة بالحياة والحركة ، وتتلاحم صورها تلاحماً جذريا حتى وكأنها الشلال الهادر ، ويتضح هذا المفهوم في قصيدته « ايقاظ الوجود » (٢) .

اليك اليك يا بغداد عني
فاني لست منك ولست مني
ولكني وان كبر التجني
يعز علي يا بغداد اني
اراك على شفا هول شديد
تتابعت الخطوب عليك تترى
ويدل منك حلو العيش مرا
فهلا تنجبين فتى اغرا
أراك عقمت لا تلدين حرا
وكنت لمثله ازكى ولود

وتتضح الوحدة الموضوعية للقصيدة في تجارب الزهاوي الفنية ، فها هو ذا في وجله من الموت يعبر عن هذه الخاطرة المؤلمة تعبيراً صادقا مع

---

(١) د . عزالدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ١٢٧ .

(٢) الديوان ص ١١٦ ،

نفسه فيقول (١) .

يا ويلتنا سأموت بعد قليل
وأفارق الدنيا وكل جميل
سأجد مرتحلا الى دار البلى
بعد المقام ولا يطول رحيلي
ساحث في ظلمات ليل حالك
سيري الى عدم بغير دليل
سأشط عن وطني الحبيب مخلفاً
صحبي هناك واسرتي وقبيلي
سأنام ثم انام في ملحودة
ضاقت وفي ليل علي طويل
ستضيء بعدي الشمس فى صحواتها
وتعود تطلع غب كل افول
ولسوف ينساني الألى احببتهم
ويصد عنى صاحبي وخليلي

والملاحظ ان تلك التجربة التي عبر فيها الشاعر عن «احساسه بالعدم» ورجفته من الموت تجربة ناجحة قلما نجد لها مثيلا فى بقية قصائده .

ورنة الحزن فى شعر الزهاوي تنضج تجاربه الفنية وتساعده على ان يشيد بناء القصيدة تشييداً متماسكا موارا بالعاطفة الصادقة ، وتجعل نظرته اكثر

---

(١) الديوان ص ١٠٣ :

عمقاً ونفاذا ، ان الرؤيــة الحسية ذات وجه واحــد ، فأنت حين تنظر فانك تنظر في اتجاه واحد ، فترى وجهاً واحــد من الاشياء ، وقــد ترى انصع الوجوه أو ابشعها ، فأذا تعددت وجوه الرؤية لم يعــد ظاهر الأمر موضع التقدير حين تصل الى مرحلة الحكم على الاشــياء وانما يتولد من تعارض الوجوه المرئية مدرك شعورى يختلف عن كل وجه من وجوه الرؤيه ، لأنه تنازل عنها وتجاوزها . وفي هذه الحالة سرعان ما يتكشف للانســان ذلك التعارض المحزن بين عالمين ، هما فى ظاهر الأمر وفى الحقيقة لابد ان يكونا عالماً واحداً (١) .

ويؤثر هذا الحزن فى تجاربه الفنية حتى نحس طعم المراره في قصيدة « ابن المفارق » (٢) للزهاوى التي يمزج فيها بين تمزق روحه وفســاد مجتمعه ، فيقول :

نبــا الدهر بالاخوان حتى تمزعوا
وحتى خلت منهم ديار واربع
ونابهم خطب فشــتت شــملهم
وكان بهم شــمل المكارم يجمع

ثم يصف الطغمة الفاســدة التي حاطت بذوي الســلطان في دار الملك :

هناك ناس خالفوا ســنن الهدى
فعدت لهم في البغي بوع واذرع

---

(١) د . عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ٣٥٠
(٢) الديوان ص ٨٠

أتــوا بشناعات فعيبــوا فحاولوا
عدولا فجاءوا بالذي هو اشنع
تباهوا بما حازوه مــن رتب سموا
بها ووسامات على الصــدر تلمع

ويختتم هــذا الأنين بحكمة تدعو الى الاهتمام بالعمل ، وان يكون التقدير نابعاً من الجهد والخلق :

اذا لم يكن صنع الفتى زينة له
فليس يحليــه الوســام المرصع
ولا الرتب المعطاة ترفع شأنــه
اذا مــا كان في فعــله ما يرفــع

ويلعب « الموت » دوراً رئيسياً في تأصيل احساس الزهاوي بالقهر والحزن والضياع ، وهو ان كان يلجأ الى القصة حينا ليدفع الينــا بتجربته فى قالب فني متماسك فذلك لما يتيحه له قالبها من قدرة على التصرف والتعبير عن كينونته ، ويتضح هذا فى قصيدة « أرملة الجندي » (١) التى يستقي حوادثها من الواقع :

الا انما هذا الذي لك أنقل
له مثلما أرويه أصل مؤصل

ويسترسل فى وصف حال الأرملة وما تلاقيه من عنت الحياة وشظف العيش بعد رحيل زوجها ، ويقول على لسانها :

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٨٢

ولست على الشكوى أروم اذا دنا

مماتي الا ريثما انحول

ولكن روحي للسماء رقيها

هنالك من نجم لنجم تجول

الى ان تلاقي روح زوجي « صادق »

فتتصل الروحان والبين يخجل

وتدلنا التجارب الفنية التى عرضناها للرهاوى على اتجاهه نحو تفضيل الوحدة العضوية للقصيدة وقصرها على غرض واحد مع تناوله من كافة جوانبه واستيفائه فنيا ووجدانيا وشعوريا ، هذا بالرغم من كونه قد حاول التخلص من الوحدة العضوية للقصيدة حين قدم لديوانه « اللباب » عام ١٩٢٨ بكلمة في الشعر اجاز فيها تعدد الاغراض في القصيدة الواحدة فقال: «وللشاعر ان يجمع في بعض قصيده اكثر من مطلب بشرط ان يكون بين مطالبها صلة تربط حلقاتها المتعددة وأحسب أن هذا اقرب الى طبيعة التفكير او الاحساس فانهما لا يأتيان الا في صورة امواج هي فورات النفس او ثوراته يستقل كل منها عن الاخرى وتكون القصيدة حينئذ اشبه بباقة من مختلف الازهار مع تناسق فى الوانها (١) » ولكن الملاحظ انه حين حاول التحلل من وحدة الغرض في القصيدة وضع له شرطا يقيده وهو ان يكون بين مطالبها شرط واحد هو الصلة . وهذه الصلة هى ما نعنيه بوجود رباط فنى بين أجزاء القصيدة الواحدة

---

(١) الزهاوي : مقدمة ديوان اللباب

ولم يقتصر الاتجاه نحـــو الوحدة العضوية للقصيدة على انتاج كبار الشعراء العراقيين كالزهاوي والرصافي ، وانما تبعهم في هذا بعض شـعراء الصف الثاني الذين ساروا على هـــذا النهج محاولين الخطو بالقصيدة العربية نحو آفاق ارفع وأوسع .

ونضرب مثلا لذلك بالشاعر رشيد الهاشمي في هـــذه القصيدة التي يظهر فيها تأففه من خطوب الليالي وصولات الزمن ، فيقول (١) :

نـوب الليـالي خفـنى ... أو مـــا سمعت تأففي ؟
رافقتـــني طفـــلا وذا ... زمـــن الصبـــا فتخلفي
ســلطت انذال الرجا ... ل على الأعز الاشرف
فرموا فؤادي والجفـو ... ن بعـــبرة وتلهف
زيدي عداك ان نـــو ... ر قريحتي لا يختفي
لا تحسبي انـــي أذل ... ونـــار عزمـــي تنطفي

والخلاصة ان الاتجاه نحو بناء القصيدة في تكامل وتناسق وتجاوب بين صورها المختلفة بحيث لا يمكن حذف بيت او اكثر دون اختلال السياق الفني لها ، كان الطابع المميز لدعاة التطور والتجديد في الشعر العراقي وقد وجدنا هذا في نماذج الرصافي والزهاوى والهاشمي .

ثانيا : الاطار اللغوي :

أهتم النقاد العرب ـ قديمهم وحديثهم ـ ببيان صلة الكلمة بالشعر

---

(١) ديوان رشيد الهاشمي ص ٩٨ ط ١٩٦٤

وتحدثوا عن الفصاحة وقننوا لها ووضعوا لها المعايير والصفات ، فها هو ذا الجرجاني في « دلائل الاعجاز » (١) يعرف اللفظ الأفضل بقوله :

« وقصارى تفاضل الكلمتين لا يكون اكثر من كون احداهما مألوفة مستعملة والاخرى غريبة وحشية ، أو تكون حروف هذه اخف وامتزاجها احسن ، ومما يكد اللسان أبعد » .

ويربط الناقد العربي بين المعنى واللفظ ، اذ ان اللفظ واسطة لتوصيل المعنى وهو يكسبه رونقاً وحلاوة وطلاوة ، ولكي يكون التعبير ناصعاً قريباً الى النفس لا بد وان يكون اللفظ موافقاً للمعنى . فيقول (٢) :

« من المعلوم ان لا معنى لعبارات البلاغة والفصاحة والبيان التي ينسب فيها الفضل والمزية الى اللفظ دون المعنى غير وصف الكلام بحسن دلالته وتمامها ثم تبرجها في صورة هي ابهى وازين وأحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من نيل القلوب ، ولا جهة لاستكمال هذه الخصال غير ان يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو به أخص ، واحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية » .

ولم يكن هذا رأي نقاد العربية القدامى فقط ، ولكنه رأي يتفق عليه نقادالعصر الحديث ايضاً ، فيقول الدكتور عزالدين اسماعيل (١) :

اللغة هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة اداة للتعبير

---

(١) الجرجاني : دلائل الاعجاز ص ٢٦ ط المنار
(٢) نفس المصدر ص ٣٥
(١) د . عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ١٧٣ و ١٧٤

« ... وليس في وسعنا ان نتمثل الشعر منفصلا عن جذوره الأولى العريقة في القدم ، يوم فرح الانسان فرحته الأولى الغامرة ، يوم استكشف اللغـة ويوم تهيأ له استكشاف الوجود عن طريق هذه اللغة . فالشعر هو الامتداد المستمر لتلك الفرحة الأولى ، هو استكشاف دائم لعالم الكلمة ، واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة . ومن ثم كان الشعر هو الوسيلة الوحيـدة لغنى اللغة وغنى الحياة على السواء . والشعر الذي لا يحقق هذه الغاية الحيوية لا يمكن ان يسمى شعراً بحق . »

والشعراء اقدر الناس على فهم قيمة الكلمة . وهم الذين يغوصون في اعماقها ليعرفوا اثرها . ولذلك كانت اللغة اداة ذا قيمة بالغة في يد الشاعر اذ انها المعيار الحقيقي لقدرته وتمكنه ، ومدى المامه باسرار العربيـة حتى لقد اصبح الشعر العربي سجلا امينا للغة العربية « والمطولات من المعجمات تشهد بذلك ؟ فهي تزخر بالشواهد الشعرية ، ذلك ان علماء اللغة الاقدمين كانوا يثبتون الكلمة ودلالتها مقيدين ذلك بما قاله فلان أو فلان من الشعراء الجاهليين والاسلاميين » (١) .

وليس اللفظ الحسن او الجميل الذى ينتقيه الشاعر قاصرا على بطون المعجمات والقواميس ، اذ قد يكون من كلام الناس ما يصلح لان يكون لغة للشعر وهذا ما نلاحظه فى انتاج الشعراء العراقيين في بداية القرن ، اذ انهم اتجهوا الى لغة الجماهير يتعلمون منها ويستفيدون تعبيراتها وما ذلك الا لانهم ارتبطوا اجتماعيا بقضايا التحرر والكفاح الوطنى ، والتزام معظم الشعراء المبرزين بالدفاع عن حقوق الناس المشروعة مما طور لغة الشعر

---

(١) د . ابراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ص ٨

وجعلها قريبة من أفئدة الناس ، ونحن نتفق فى هذا مع الدكتور عز الدين اسماعيل في قوله (١) لقد نشأت فكرة الالتزام اذن فى العصور الحديثة نتيجة لاحتكاك الاديب بمشكلات الحياة التى يعيشها وادراكه لخطورة الدور الذى يقوم به ازاء هذه المشكلات . ومن ثم تحدد مفهوم الادب منذ وقت مبكر فى العصر الحديث بأنه (نقد للحياة) او تفسير لها) وكان ذلك معناه ضروره احتكاك الاديب بمشكلات عصره وقضاياه ، حتى يتمكن من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس الى ما هي رازحة فيه ، وتوعيتها بواقعها ومصيرها » .

ولهذا فاننا نعتبر ان انعطاف الشعراء العراقيين نحو اللغة السهله القريبة من افهام الناس وذوق العصر يندرج تحت التجديد فى الشكل الفنى وأبرز من تزعم هذا الاتجاه الجديد الزهاوى والرصافى والصافي النجفى فلقد اتصف شعر هؤلاء الشعراء بالسهولة التى ربما وصلت عند بعضهم الى الافراط والركاكة ، او الى المستوى الذى لا يبتعد كثيرا عن لغة الناس فى تخاطبهم واجتماعاتهم ، كما نلاحظ ذلك في شعر الزهاوى والنجفى .

ومن الامثلة على ذلك قول الزهاوى (٢) :

ما أنسى يوم بدت في القطر حادثة
من الحوادث تنسى الوالد الولدا
واذا ألمت به دهياء كارثة
فأورثته الجوى والحزن والكمدا

---

(١) د . عز الدين اسماعيل : الشعر العربى المعاصر ص ٣٧٤
(٢) الديوان ص ١٤٥

وقوله (١) :

لقد كنت فى درب بغداد ماشيا
وبغـداد فيهـا للمشـاة دروب

فاننا نلحظ في قوله : « من الحوادث تنسى الوالد الولـد » تعبيرا يكاد يكون دارجا او عاميا مما تتناقله ألسنة الناس في الاسواق ومع هذا فان مجيء هذه اللغة فى موضعها حيث ان ما ألم بالقطر من كوارث يمس حياة الناس فان ما يخطر على بال الشاعر مباشرة هو ان يأتى بالتعبير الملائم الذى ينطق ايضا عن خواطر الناس في مثل ذلك الموقف .

وكذلك عبارته « وبغداد فيها للمشاة دروب » هى رغم سهولتهـا الشديدة تتناسب مع الصورة العامة للقصيدة التى بكملها بقوله (٢) :

فصادفت شيخا قد حنى الدهر ظهره
له فوق مستن الطريق دبيب
عليه ثياب رثة غير انها
نظاف فلم تدنس لهن جيوب
تدل غضون في وسيع جبينه
على انه بين الشيوخ كئيب

فما يشغل الزهاوى هو التعبير عن فكرته ووصف حال هذا العجوز

---

(١) الديوان ص ١٢٢

(٢) الديوان ص ١٢٢

المتجول في دروب بغداد وقد ظهرت عليه أمارات الفاقة والبؤس ، وقد يوقعه هذا الاهتمام بالمعنى في مزالق عدم الاهتمام باللفظ او اللجوء الى اللغة السهلة القريبة التى تسعفه في التعبير وتوصل فكرته الى اكبر عدد ممكن من سامعي شعره :

« والرهاوي كما هو شائع ومعروف شاعر الفكرة يتوجه للمعنى فلا يكترث باللفظ ان يكون مصيبا في الابانة عن الفكرة ، وقد احب الزهاوى ان يقال عنه الفيلسوف او شاعر الفلاسفة ، وقد عرف بالتحرر والتجديد وهو من أجل ذلك يقذف بآرائه وأفكاره في الدين والاجتماع والاخلاق وآراؤه قد اتصفت بالجرأة والتحرر ... (١)

ويسير احمد الصافى النجفى في شعره على نفس المنهج اذ يعتمد على اللغة السهلة التى تأتى مادتها من طبيعة حياة الناس ايضا ، منها هو ذا في قصيدته « وصف مستشفى وطني يقول (٢) :

ومستشفى متى يدخل اليه
مريض يسترح من ذى الحياة
كأن به لعزرائيل جندا
يميت الناس من قبل الوفاة
تشاهد للحياة هناك بابا
وأبوابا تشاهد للممات

---

(١) د . ابراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ص ٤٦ ، ٤٧

(٢) الديوان : ص ٨٢ الامواج

ترى باب الحياة عليه قفل
وأبواب الممات مفتحات

يسافر منه للاخرى دواما
قطار للعشى وبالغداة

فعبارات « يسترح من ذى الحياة » و « يميت الناس من قبل الوفاة » و « ترى باب الحياة عليه قفل » و « يسافر منه للاخرى دواما قطار » تكاد تكون عبارات من نشر الحياة اليومية ، فالالفاظ ها هنا ملقاة في الطريق ولكن عين الفنان تلتقطها وتنسقها فى عقد فنى متكامل ليصبح بناء فنيا رغم سهولته الواضحة ورغم سلاسته وبعده عن الاغراب الا انه يؤدي الغرض المقصود منه ، ويجعل من الشعر لغة الحياة اليومية التى تصبح اكثر التصاقاً بمشاكل الناس وقضايا المجتمع .

وهكذا كان شأن الصافي في كثير من شعره ، ويتصف شعر الصافي بسهولة اللغة ، وهذه السهولة ذات مدلول خاص ، ذلك ان الشاعر لا يجد صعوبه في شعره ، بل قل لا يجد نفسه في اختيار مادة لغته ، فهو يرسلها كما يرسل حديثه اليومي شأنه في ذلك الافصاح بمادة يستعملها سائر الناس في شئونهم العامة (١) .

ويتناول الرصافي قضية اللفظ في الشعر ، اذ يرى اللغة محدودة ضيقة لها قوانينها ولها امكانياتها المرسومة . وهي بكل تراثها وتاريخها وغناها عاجزة عن الوفاء بحاجة الشاعر ، ذلك لأن أفكاره وعواطفه لا تجد الوعاء المناسب مهما كان الشاعر مالكا لناصية اللغة عارفاً بأسرارها وهو بوضح

---

(١) د. ابراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ص ٨٥

رأيه هذا في قصيدة « خواطر شاعر » (١) التي نسوق منها قوله :

أرى اللفظ معدوداً فكيف اسومه
كفاية معنى فاقــه العد والحصر
وافق المعاني في التصور واســع
يتيه اذا ما طار في جــوه الفكر

ويمتاز الرصافي عن الصافي النجفي في كونه جامعاً بين المحافظــة والتجديد معاً ، اذ نرى محافظته واضحة في لجوئـه الى الصور القديمة كالوقوف على الاطلال وبكاء الديار الدارسة ، أو الغوص في اعماق النفس الحائرة وهو في جولته القديمة هذه يستعين باللفظ الجزل الرصين الذي يوائم بين حاجته النفسية وحاجته التعبيرية ، ويتضح هذا في قصيدته «السـجن في بغداد » (٢) التي نجتزيء منها قوله :

سكنا ولم يسكن حراك التبدد
مواطن فيها اليوم ايمن من غد
عفا رسم مغنى العز منها كما عفت
« لخولـة اطلال ببرقـة فهمد »
بـلاد اناخ الـذل فيها بكلـكل
على كل مفتول السبالين اصيد

اما تجديد الرصافي فيتمثل في لجوئه الى اللغة السهله التي تشبه لغة

---

(١) الديوان : ص ١٨١

(٢) الديوان : ص ٤٢ وما بعدها

الاخبار اليومية في الصحف «وربما كانت السهولة مظهرا من مظاهر التجديد في شعره الذى يتمثل في تناوله للاغراض الجديدة بلفظ هو الصق بلغة الاخبار اليومية». (١)

اذ ان الرصافى شاعر المجتمع الذى وضع نفسه وشعره في خدمة قضاياه ، والتبشير بأهدافه ، ومعالجة مشكلاته ، لذا نجده حريصا على ابراز فكرته قبل كل شيء ويتضح هذا في قصيدته « خواطر شاعر » (٢) التي يقول فيها :

وللنفس في أفق الشعور مخايل
اذا برقت فالفكر من برقها قطر
وما كل مشعور به في شئونها
قدير على ايضاحه المنطق الحر
ففى النفس ما اعيا العبارة كشفه
وقصر عن تبيانه المنطق الحر
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به
بيان ولم ينهض بأعبائه الشعر

وهذا الاخلاص للفكرة والمعنى جعل الرصافى ـ على تبحره في اللغة يقف حائرا امامها رغم سعتها وقدرتها وتوفرها لديه ، وفى رأينا انه لا ضير في ذلك ما دامت اللغة عنده وصيلة لاداء المعنى الذى يحرص على ابرازه .

---

(١) د . ابراهيم السامرائى : لغة الشعر بين جيلين ص ١٢
(٢) الديوان ص ١٨١

وخلاصة بحثنا فى الاطار اللغوى انه شهد اتجاهين : اتجاها محافظا اقتضته طبيعة الثقافه القديمه التى استقصاها الشعراء العراقيون، وطبيعة بعض الاغراض التي تحدثوا عنها والبسوها أوعيه من اللفظ الجـــزل الرصين واتجاها تجديديا يتمثل في محاولتهم التقريب بين لغة الشعر ولغة الشعب وهم فى هذه المحاولة التجديدية يسايرون التزامهم تجاه قضايا الشعب الاجتماعية والسياسية ، ويحاولون ان يجعلوا من الشعر رسول الشاعر الى قلب الجماهير العريضة .

ولكن هذا الاتجاه قد يكون له مزالقــه التى تؤدى بالشـــاعر الى استخدام بعض الالفاظ الركيكة او التى تنبو عن الذوق الادبـى .

وكان هذا التيار قويا واضحا في شعر الصافى النجفى والزهاوى ، وذا ملامح محافظة فى شعر الرصافى .

وهذا التيار التجديدى فتح الافاق الواسعة امام لغة الشعر وأثر تأثيرا كبيرا فى جعله الصحيفة السيارة ، والنداء القوى للكفاح ، اما اثره الفني فلم يكن نهضة ملموسة في الشعر العراقى كما لم يكن ابداعا خلاقا مثلما فعل شكسبير حين نقل لغة الشارع الى لغة الشعر .

ثالثاً : الاطار الموسيقى واثر مدرستي الديوان وابوللو :

كان التوسع فى الاغراض الشعرية دافعا لايجاد أطر موسيقية جديدة ولـكن هذه التجربة كانت مترددة نظرا غلبة التراث المحفوظ وحرص ابناء العروبة على ما حفظوه من دواوين كبار الشعراء ، وخوفهم من الانطلاق نحو اشكال جديدة قد تؤدى بهم الى الفوضى الموسيقية ، اذ ان البيت الشعرى ذا الشطرين المتوازيين عروضيا والذى تحكمه فى نهايته

قافيه تتكرر في بقية القصيدة كان يمثل النظام الجمالى التقليدى الذى حرص عليه الشعراء طوال عصورهم ، وهم ان جددوا فقد اضافوا الاشكال الجديدة ونوعوا القوافي دون ان يمسوا البنية العروضيه للبيت ، غير ان التجديد فى البنية العروضية للبيت سار بعد ذلك فى اتجاهين هما : (والمرحلة الثانية هى المرحلة التى فتتت فيها البنية العروضية للبيت واكتفى منها بوحدة واحدة من وحداتها الموسيقيه هى : (التفعيلة) تقوم وحدها في السطر أو تتكرر في عدد غير منضبط في بقية السطور . وهذه المرحلة هى مرحلة « السطر » الشعري . أما المرحلة الثالثة فرحلة متطورة عن السابقة ، ويمكن تسميتها بمرحلة « الجملة الشعرية » (١) .

وما يعنينا هنا هو بيان الاتجاه الذي سارت فيه حركة التجديد في الأوزان الشعرية وهل كانت متأثرة بما حدث فى البلاد العربية الاخرى وبخاصة مصر التي كانت منبعاً لحركات التجديد والمناداة بها في أوائل هذا القرن .

مدرسة الديوان :

كان ظهور مدرسة الديوان في مصر ظاهرة جديدة وصحية للشعر العربي عامة ، اذ انها جعلت رسالتها إعادة الشعر الى مهمته الأولى « مهمة التعبير عن النفس ، وتصوير العواطف في صدق واخلاص وواقعية . لذلك عنفت المدرستان - مدرسة الديوان والمهجر الأمريكي - فى النعي على الموضوعات القديمة والاخيلة والصور المستمدة من بيئات لا يكاد يعرف الشاعر عنها الا ما حفظ ، ولذلك عبد لما حفظ في كل ما يتصل بتصويرها ،

---

(١) د . عزالدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر ص ٧٩ .

وكان لهجوم المدنيين على مجرد وصف الالفاظ وحشد التعبيرات المتخفية الأثرية في كلام موزون مقفى ان برئ الشعر الحديث من كثير ، وان ظل يعاني الى اليوم جزءاً ليس يسيراً من هذه الظاهرة » (١) .

وقاد الاساتذة عباس العقاد وابراهيم المازني وعبدالرحمن شكري هذا الاتجاه الجديد الذي اخذ عن ثقافةالغرب دون ان يفقد طابعهالاسلامي العربي . « ان الشرق يستطيع الاخذ عن ذخائر العلوم والآداب الغربية دون ان يتخلى عن الطابع الاسلامي العربي الذي يطبع مدنية الشرق وثقافته » (٢) . وكان هذا الرافد الذي تسرب الى شعرهم وادبهم هو الرافد الرومانسي الثائر الذي رجع بالشاعر الى الذات يستبطنها ويستكنه امرارها فنجد عبدالرحمن شكري يتغنى بالشاعر بيرون فيقول (١) .

تقولا قولا فتذرى الدمع من شجن
كأن قلبك مدلول على الصبر
ألبسته من مواد الحزن ضافية
فخلتها من مواد القلب والبصر
فكر كأن ملاك الحزن يسعده
موكل بصروف الدهر والغير
: : : : :
قد اجتبيت على الآراء اشرفها
حتى كأنك معنى الصدق في الخبر

---

(١) سهير القلماوي : حول التجديد في الشعر المعاصر ص ١٨٢ .

(٢) تشالس آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ترجمة عباس محمود ص ٢٤٣ .

ولم يحمل أئمة مدرسة الديوان لواء التجديد في مصر فقط ، وانما أمتد أثرهم الى العراق ، فها هو ذا المازني ينشر قصيدة في مجله الحريـــة بالعراق عام ١٩٢٤ ويطلق عليها اسم « الشعر الطلق » .

تقول القصيدة وهي بعنوان « محاورة قصيرة » (١) (مع ابن لي بعد وفاة امـــه) :

لم أكلمه ولكن نظرتي
سألته أين أمك ؟
أين أمك ؟
وهو يهذي لى على عادته
منذ تولت - كل يوم !
كل يوم !
فانثنى يبسط من وجهي الغضون
ولعمرك كيف ذاك
كيف ذاك !
قلت لما مسكت وجهي يداه
أترى تملك حيلة ؟
أى حيلة ؟
قال : ما تعنى بهذا أبتاه ؟
قلت : لاشيء أردنه
ولثمـــته

هذا النموذج الذى عرضناه للمازني يبين ثورة مبكرة على بنية العروض

---

(١) مجلة الحرية العدد الصادر في ١٥ شباط ١٩٢٤

العربي والاطار الموسيقي التقليدي ، وقد وجدنا هذا الاتجاه موجوداً عند بقية شعراء الديوان والذين تأثاروا بهم من بعد . يقول الأستاذ العقاد في مقدمته لديوان المازني :

« فان أوزاننا وقوافينا أضيق من ان تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربي فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين في ايديهم القوالب الشعرية فيودعونها ما لاقدرة لشاعر عربي على وضعه في غير النثر ، ألا يرى كيف سهل على العامة نظم القصص المسهبة والملاحم الضافية الصعبة في قواديهم المطلقة ؟ وليت شعري بم يفضل الشعر العامي الفصيح بمثل هذه المزية؟! » (١)

وتجلى الاتجاه في التحرر من القافية في بعض قصائد شكري الطوال فنرى في قصيدته « صوت الليل » (٢) تعدد القوافي يقول :

ملأت الكون من نفس عميق
فأسمع كل ذي قلب مفيق
واجريت الجلال على سكون
يفيض على ظلامك كالأنين
واخرست الحياة وراغبيها
وريح الموت تخفق منك فيها

---

(١) العقاد : مقدمة ديوان المازني ص ١٩

(٢) ديوان شكري ج٢ ص ١١٨

غير ان التحرر من الوزن والقافية لم يطبق الا في صور شعرية ضئيلة عند مدرسة الديوان اذ ان الجانب المحافظ في الشكل غلب عليهم برغم قدرتهم على التنويع فى الأوزان والقوافي ، غير ان اهم سمات التجديد عندهم الاتجاه الى حديث النفس ازاء الكون واسراره مع الاحتفاظ بوحدة القصيدة الموضوعية .

« فأما من حيث البناء فقد ذهب هذا الجيل الى انه ينبغي ان تكون القصيدة بنية حية متماسكة ، لايتقدم فيها بيت ولا يتأخر عن موضعه ، واما من حيث الموضوع فقد راى هذا الجيل ان يعدل عن موضوعات مدرسة البعث وان يكون الشعر حديث نفس ازاء الكون واسراره ، والحياة الانسانية وما تزخر به من آلآم وآمال » (١)

ورات مدرسة الديوان ان دور الشعر هو النفاذ الى الوجدان ، وقدعبر شكري عن هذا المفهوم في قصيدته « الشعر » (٢)

فقال :

ان النفوس صحائف ... الشعر من آياتها
والنفس طير صادح ... والسحر في نغماتها
لو راع كر الدهر شئ ... ربع من نبراتها
فترى الحياة قنيصة ... في الشعر من عقداتها
والعيش نهزة شاعر ... يقتص من فلتاتها

---

(١) د . شوقي ضيف . حاضر الشعر العربى متصل بماضيه ص ١٦٧

(٢) ديوان شكري ج٤ ص ٣٣٤

والشعر تاريخ النفوس ومعقـــل لحياتهـــا
والشعر كأس للنفوس حذار مـــن نشواتها
والشعر ورد يانع غرسته فى جنـاتـــها
والنفس ريح قد هفت بالشعر مـــن نفحاتها

ولا غرو ان النماذج التى وضعها شعراء الديوان امام الشعراء العراقيين نقلت لهم وجهة نظر جديدة وجعلتهم اكثر جراة فى الخروج على الاوزان والقوافي . ونرجح ايضا جماعة ابوللو وما احدثته من رجة في الفكر المصري قد امتدت آثارها ايضاً الى العراق .

جماعـــة ابوللو :

كانت جماعة ابوللو ذات اثر بارز في حركات التجديد الـتي شملت الشعر العربي في مصر وغـــيرها وذلك لان عضويتها كانت مفتوحة امام جميع الأدباء من البلاد العربية كما كانت مجلتها التى صدر العدد الاول منها في سبتمبر ١٩٣٢ واستمرت في الصدور حتى ١٩٣٥ منبرا للمجيدين مـــن شعراء العروبة ويكفى ان امير الشعراء احمد شوقي اختير لرياستها ولما توفي شوقي اختير خليل مطران رئيسا ، وهذا الشاعر العظيم كان مدرسة لأبناء العروبة بجانب المدرستين المعروفتين حينذاك وهما مدرسة الديوان ومدرسة الشعر التقليدي . يقول الدكتور محمد مندور فى هذا الصدد : (١)

« على انه الى جوار المعسكرين اللذين كانا يقتتلان حـــول الشعر في

---

(١) محمد مندور : الشعر المصري بعد شوقي ـ الحلقة الأولى ١٩٥٥ ـ ص٨٩

مستهل هذا القرن ، وهما معسكر الشعر التقليدي ومعسكر الديوان كان هناك عملاق لم يهاجمه أصحاب الديوان لأنه لم يكن من دعـــاة الشعر التقليدي ولكنهم مع ذلك لم يحتضنوه ولا اعترفوا بأستاذيته وتجديده وتطعيمه الشعر العربى باصول واتجاهـــات الشعر الغربي وخروجه بالشعر من الذاتيـــة الى الموضوعية وتطويع قوالبه واوزانه للشعر القصصي والتصوير الدرامي .»

وجمعت ابوللو مزيجاً من الثقافات والمشارب فلم تكن تمثل اتجـــاها فكريا معينا يجمع عليه جميع اعضائها وانما كان هدفها كما حدده رئيسها بعد ذلك احمد زكى ابو شادى هو :

« السمو بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شـريفـــاً مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر ــ ترقية مستوى الشـــعراء أدبيـــاً واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم (١)

وعندما ترفع جماعة ابوللو لواء مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر تجذب نحوها الراغبين فى التجديد فى مصر وغيرها من الاقطار العـــربية وان جماعة كان من مؤسسيها احمد محرم وحسن كامل الصيرفى والدكتور على العنانى وابراهيم ناجى واحمد الشايب ومحمود ابو الوفا واحمد ضيف وعلى محمود طه وغيرهم (٢) ، لكفيلة بأن تكون ركيزة تجديدية مناصرة للنهضات الفنية والادبية فى العراق وذلك عن طريق الرحلات التى كان يقوم بها شعراء العراق الى مصر او عن طريق المجـــلات وخاصة مجلـــة أبوللو التى كانت توزع على نطاق واسع فى الوطن العربى الكبير وتحمل

---

(١) د . مندور . الشعر المصرى بعد شوقى ــ الحلقة الاولى ص٩٠

(٢) نفس المرجع ص ٩١

فى صفحاتها النماذج التى يحاول دعاة التجديد فى العراق محاذاته والنسج على منواله . وقد ادرك ابو شادى الدور القومى لجماعة ابو للو فى تصديره للعدد الاول حين قال (١) « ونظرا للمنزلة الخاصة التى يحتلها الشعر بين فنون الادب ، ولما اصابه واصاب رجاله من سوء الحال ، حينا الشعر من اجل مظاهر الفن وفى تدهوره اساءة للروح القومية ، لم نتردد في ان نخصه بهذه المجلة التى هى الاولى من نوعها فى العالم العربي » .

وكانت تلك الدعوة التي اطلقها ابو شادى محور يلتئم حوله كل شعراء العروبة اذ نجد فى ابو للو ـ بجانب شعراء مصر البارزين ـ اسماء شعراء من كل اقطار العروبة « ومن شعراء السودان عبدالله عبد الرحمن ومحمد احمد المحجوب وتوفيق احمد البكرى . ومن شعراء تونس ابو القاسم الشابي ومحمد الحليوى . ومن العراق محمد مهدي الجواهري وحسين الظريفي ، ومن شعراء المهجر ايليا ابو ماضي وشفيق المعلوف ورياض المعلوف (٢).

والذى نرجحه هو أن هذه الجماعة بالاشتراك مع مدرسة الديوان قامت بدور كبير في حركة التجديد فى الشعر وبخاصة فيما يتصل بالاطر الموسيقية .

الزهاوي والاطار الموسيقي :

والزهاوى اول من دعا في العراق الى التحرر من الاشكال التقليدية والبحث عن شكل جديد للقصيدة ، ونحن نتفق في رأينا مع من قال :

---

(٢) د ، مندور : الشعر المصرى بعد شوقى ـ الحلقة الاولى ص٩٢

(٢) نفس المرجع ص ٩٣

« وقد وجدت من المصادر المتوفرة بين يدي ان الزهـــاوي أول من دعا في العراق الى هذا الشعر » (١)

ويدعو الزهاوي الى تنوع القافية بعد كل بضعة أبيات ، كما يدعـــو الشاعر الى ان ينظم على أن وزن شاء ، فيقول :

« ولا أرى مانعا من تغيير القافية بعد كل بضعة أبيات من القصيدة عند الانتقال من فصل الى اخر كما فعلت في عدة قصائد لا دفعا لملل السامع من سماع القافية الواحدة في كل بيت كما يدعى بعضهم ، - فتلك حجـــة من يعجز عن اجادتها ، والا لمل الناظر وجوه الناس لوجـــود انف بارز في وسط كل وجه - بل اراحة للشاعر من كد الذهن لوجدانهـــا ، فان الاتيان بها متمكنة ليس في قدرة كل شاعر .. واجيز للشاعر ان ينظم على اى وزن شاء سواء كان من اوزان الخليل او غيرها » (٢)

وكان التجديد في الاطار الموسيقى عند الزهاوي محدودا اذ كان يرى الاحتفاظ بالبحر الشعري سواء أكان قديماً أو جديداً مع التعبير في الروي بعد كل بضعة أبيات ، فيقول في هذا المعنى :

« ان يحافظ الشاعر في قصيدته على البحر ، سواء اكان من بحـــور الشعر القديمة ام الجديدة ، وان ينتقل بعد كل بضعة ابيات الى روى جديد فان القصيدة لا تخلو من مطالب مختلفة مع مناسبة بعضها . (٣)

---

(١) د . يوسف عزالدين : في الادب العربى الحديث ص ٢٣٧

(٢) الزهاوى : الديوان ص ب

(٣) محاضرة القاها الزهاوى سنة ١٩٢٢ ونشرت في جريدة العراق شباط ٢٢ .

وطبق الزهاوي بعض نظرياته في تجديد الشكل الموسيقي على شعره كما في قصيدة « الشعر المرسل » (١) التي جاء فيها :

فحصت بطون الكون فحصا فلم أجد
سوى حركات فيه لم ادر ماهيا
اذا خلت الدنيا من النفر الالى
احب فؤادى فالسلام على الدنيا
انا اليوم امرى في يدى غير انني
احاذر من ان يخرج الامر من يدى
من الناس من ان غبت عنه فانه
عدو وان لاقيته فصديق
كذاك اختلاف الناس في كل حقبة
محاسن قوم عند قوم قبائح
اذا كان في الدنيا عدو يضرني
فذاك لساني ثم ذاك لساني

وثارت الاقلام مدافعة عن الشعر المنظوم ومهاجمة التجديد في الازوان والتحرر من القوافي وداعية الى الالتزام بالشكل القديم بينما دعت وجهات النظر الاخرى الى المحافظة على الشكلين : القديم والجديد ، ويمثل هذا الاتجاه رفائيل بطي الذى قال ردا على الزهاوي : (٢)

---

(١) الديوان ص ٣١ و٣٢

(٢) رفائيل بطي : مجلة الحرية (١) تموز ١٩٢٥ .

« ان ما يدعو اليه هو الشعر المنثور بعينه ، واذا اطلق الشعر العربى من القافيه فأحرى به ان يطلقه من الوزن ليكون ارساله صحيحـا فيصبح حينئذ الشعر المنثور الذي هو شعر بمعانيه والفاظه ولكنه ليس منظومـا وتخال ان الانفس العصرية اصبحت تمج التقليد ، وتكره القيود ، لذلك هى ترحب بالطرائق الجديدة السهله ، نظير الشـعر المنثـور ، اننـا مع مناصرتنا لمشعر المنثور لا نجـد قيمة الشعر المنظوم ، ولا نود ان يقاوم فانه ركن مهم فى عالمنا الادبى ، بل ليبق الشـعر المنظوم وبجانبه الشـعر المنثور ، لتظل القصائد الغر المنظومه اثارا خالدة لكبار الشـعراء الناظمين ولتظهر بدائع الشـعر المنثور في مقالات وكتب يكون لها تأثيرها في جمهور القارئين .

ورغم ثورة الزهاوى على كل قديم واباحته النظم فى اى وزن يشاؤه الشاعر سواء اكان من اوزان الخليل او غيرها ، فانه لم يأت بجديد فى هذا الميدان .

وكل محاولته غير تجربة الشـعر المرسل ما قام به من تفتيت جزئي للموسيقى الشعرية التقليدية بالخروج عن اطار وحدة البيت المتكررة ، وذلك بتنظيم جديد للأبيات كالذي نجده في قصيدة « حسرات » (١) التي رتبها بهذا الشكل :

أرجى انصداع الليل والليل أسفع
وانتظـر الشـعر وقلبي موجـع
فلما بدت مـن جانب الشرق تلمع

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٤٤ و ٤٥

شكوت الى الشعرى العبور حياتي
فلم تسمع الشعرى العبور شكاتي

شموس بأجواز الفضاء تدور
وارض تجافي الشمس ثم تزور
واكوام احياء هناك تمور

أرى حركات في الطبيعة جمة
فمن ذا الذي قد احدث الحركات

وتسير القصيد على هذا النسق الجديد الذي نوع في موسيقية الشعر غير ان الشاعر يعود فيكرر هذه الصورة فى الابيات الأخرى ، وهكذا يكون قد فرض على نفسه شكلا موسيقياً ثابتاً . وقد اتبع الزهاوي هذا النظام في عدة قصائد من دواوينه . غير ان هذا الشكل في التنظيم ليس بالجديد فقد عرفه الشعراء من قبل كما عرفوا اشكالا اخرى اكثر تعقيداً[1] .

اما بالنسبة للقوافى فنلاحظ انه مارس الخروج عليها في قصائد متعددة وفي وقت مبكر ايضاً ، وتدلنا على ذلك قصيدته « الصارخة » التي كتبها في حدود ١٩١٩ واتبع فيها نظام المخمس وهو نظام ليس بالغريب على الشعر العراقي سواء في القرن التاسع عشر او ما قبله .

وظل بعد ذلك يتلاعب بالقوافي فشطر وخمس ، كما بنى كثيراً من قصائده في مسدسات ومسبعات ومثمنات ، وظل هذا شأنه حتى اعوامه الاخيرة .

تلك الظاهرة في شعر الزهاوي دليل واضح على ميله ورغبته فى التخلص من قيد الموسيقى الرتيبة الذى تفرضه بنية القصيدة التقليدية .

الرصافي وموسيقى الشعر :

لم يقف الرصافي موقف العداء من حركات التجديد في موسيقى الشعر اذ رأى الشعر المنثور تياراً جديداً ينبغي النظر اليه مع عدم الغض من الاطار التقليدي القديم . بل انه ذهب الى حد ان الشعر المنثور تقليد للشعر المنظوم من حيث اثره في النفس ورآه غير صالح للغناء ،ذلك ان الشعر الغنائي Lyric قاصراً على الشعر التقليدي المنظوم فقط ، اما هذا الجديد فقد دعاه الرصافي بالشعر (الصامت) اي الذي لا يتغنى به . فقال :

« هذا وما الشعر المنثور العارى من الوزن والقافية ، فهو شعر بالمعنى الأعم اي هو شعر بمعانيه التي تفعل في النفس ما يفعله الانشـــاد المقترن بالنغم والايقاع ، الا انه لا يتغنى به فعلا ، فهو اذن تقليد للشعر المنظوم من جهة الغاية المقصودة به ، وحبذا لو سمي الشعر المنثور بالشعر الصامت ، لعدم اقترانه بالغنـــاء والرقص وسمي المنظوم بالناطق لاقترانه بذاك » (١)

ويرى الرصافي ان الوزن والقافية ليسا تقييدا للشعر وانما هما اطلاق له في مجال الشعور والعاطفه ، وان التوقيع الموسيقي الرتيب انما يســـاعد على الانفعال والتاثر . فيقول : وانما الشعر مسرح للنفس ، ومثـــار للشـــعور والعاطفة ، واذا كان الوزن والقافية هما الغناء نفسه ، فتقييده بهما اطـــلاق له من مسرح العواطف والشعور . وهل ينكر منكر ان الغنـاء قنطرة النفس

---

(١) مجلة الحرية (١) تموز ١٩٢٥

وهو جواب لسؤال سألته المجلة هو : ما تقول في الشـــعر المنثور الذي ابتدعه الريحاني والشعر الذي سماه صاحبه بالشعر المرسل؟

الى العواطف وبعدها الى الشعور والحس (١)

وانطلاقا من هذا المفهوم عن غنائية الشعر حافظ الرصافي على الاطار الموسيقى القديم والتزم القافية الواحدة في جل قصائده ، ولم يحاول الخروج على هذا النظام الا في قصائد معدودة منها قصيدة « البلبل والورد » (٢) التى حاول فيها التلوين الموسيقى ، وقصيدة « اغرودة العندليب » (٣) التي اتبع فيها نظام القافية المتحدة في مصراعى البيت . فقال :

سمعت شـعرا للعندليب
تلاه فـوق الغـصـن الرطيب
اذ قال نفسي نفس رفيعـة
لم تهو الا حسن الطبيعة
عشقت منها حسن الربيـــع
احسن بذاك الحسن البـديع

ولم يترك الرصافى اثرا ملموسا فى تجديد الشكل الموسيقى ، ولكنه حاول أن ينظر بغير وجل الى التجديد الذى فرضته طبيعة الثقافات الوافدة واثر المدارس الفكريه الغربية والعربية . والذي انتج لنا طائفة من شعراء الصف الثاني والثالث الذين بذلوا محاولات قد تبدو لاول وهلة انها سخيفة وبعيدة عن الشعر كل البعد . ولكنها على اى حال خطوات وجلة ومترددة

---

(١) مجلة الحرية (١) تموز ١٩٢٥
(٢) الديوان ص ٢٤٣
(٣) الديوان ص ١٤٤

على طريق التجديد في الاشكال الموسيقية ، وهي تجارب غير ناضجة وربما افتقرت الى الثقافة الشعرية ولكنها تمثل عندنا معالم على طريق التجديد في الاطار الموسيقي .

محاولات التجديد في الاطار الموسيقي :

اصبح الشعر المرسل الشغل الشاغل لكثير من الشعراء العراقيين وانبرى بعض النقاد يدعون الى التحرر من القافيه وارسال القصيدة بدونها متشبهين بدعوة عبد الرحمن شكري في مصر . ومن ابرز الذين هاجموا شعراء القافية شكري الفضلي الذي دعا الى ان « الوزن نوع من الغناء ، وهو كما يكمل القافية يكمل بغيرها من الالفاظ ، وعلى هذا فوجود القافية وعدمها سواء بالنظر الى استقامة الوزن (١)

ودلل على صدق قولة بقصيدته التى نشرها مع مقاله وعنوانها « حمامة وهرة » .

كانت تنوح حمامة	والصبح مرآة ادكار
فتريك حاجتها الى	ألم التآلف والمعاش
حنت الى الف لها	ثم ابتغت أكلا وشربا
سر الطبيعة كامن	في قلبها الحر الصغير
لكنها لم تدر ما الا	جل المتاح وما الغناء
فهوت اليها هرة	في سرعة السهم المصيب
فتخبطتها بين انياب	واظافر حداد

---

(١) جريدة العراق - ٤ حزيران ١٩٢٥

وكأنما قتل الحمامــة لم يبشرهــا بمــوت
هـذه الحيـاة وسيلــة للموت ليتك لم تكنهــا

ولم تكن هذه المحاولة بمعزل عن حركات التجديد في مصر وخاصة جماعة الديوان كما ذكرنا . غير ان الكثيرين من الادعياء اندسوا باسم الجديد في جماعة شعراء الشكل الجديد ووصفوا الألفاظ التي يصح ان نطلق عليها النثر الفني لانها لا تمت الى الشعر بصلة قريبة او بعيدة : « ولجأ للشعر الحر في العراق حينئذ ضعاف الشعراء الذين لم تكن لديهم ثقافة عربية اصيلـة ، ولا اطلاع عميق على آدابها » (١) .

والأمثلة على هذا كثيرة ، نسوق منها قصيدة لشاعـر يدعى (وليم ذياب نعمة) جاء فيها (٢) :

ليس ما نجهله يجعلنا جهلاء
بل ما ندعيه
ليس ما نرائي به يجعلنا ودعاء
بل ما نقصده
ليس ما ننشره يجعلنا أدباء
بل ما نفعله
ليس ما نفعله يجعلنا أتقياء
بل ما نرتاجه

---

(١) د . يوسف عزالدين : فى الأدب العربي الحديث ص ٢٤٥ .

(٢) جريدة صدى بابل العدد ٨٨ الصادر في ٨ آيار ١٩١١ .

ويعلل الدكتور يوسف عزالدين ظهور هذا اللون من الشعر المرسل الذي لا وزن له ولا قافية الى ضعف الثقافة العربية للناشرين الذين يسمحون بخروج هذا الشعر الضعيف الذي يسيء الى التجديد ويضعفه ، فيقول تعليقاً على هذه القصيدة :

« وقد إهتمت - صدى بابل - بنشر نماذج من هذا الشعر لان صاحبها داود صليوه كان ذا ثقافة عربية ضعيفة محدودة ، وكان ركيك الاسلوب فوجد في الشعر المرسل شيئاً جديداً يوافق ثقافته الفقيرة التي لا تعرف قوة ورصانة الاسلوب » (١) .

واستمرت هذه المحاولات تسير في طريق النثر الفني كما يظهر في قصيدة محمد الهاشمي التي نشرت في جريدة العراق سنة ١٩٢١ وجاء فيها :

هو هكذا متألم في حياته الحزينة
لا تلوح على فمه الا ابتسامات خفية
لا اثر لها في اعماق فؤاده المضطرب
لم تضحك له الايام ولم يضحك لها

وهو كما نرى نثر فني بعيد عن الوزن والقافية .

وعندما زار امين الريحاني العراق عام ١٩٢٢ ألقى روفائيل بطي القطعة التالية محتفياً به وناهجاً على منواله (٢) :

---

(١) د . يوسف عزالدين : في الأدب العربي الحديث ص ٢٤٥ .

(٢) مجلة الزنبقة اول تشرين الأول ١٩٢٢ .

وسوف يعرفني رفاقي
متى رفعوا الغشاوة عن اعينهم يعلمون
انني واياهم في الجوهر متفقون
وان اختلفنا في الأعراض
في ذلك اليوم لا اعشق الطبيعة وحدي
بل اعشقها واخواني سوية ونسير في سبيلها معاً
فنفوز في الحياة الحقة الحياة الخالدة
حياة الحب والسلام
حياة الحقيقة والوئام

وهذا النثر الفنى استعراض لثقافة ناظمه الفلسفية وكلامه عن الجوهر والعرف ليس الا محاولة للتحليق في عالم الفلسفة اما الموسيقى الشعرية والخيال الشعري فيفتقر اليهما .

وحاول بعض الشعراء العراقين الاحتفاظ بالرقة الموسيقية فى اختلاط الأوزان ببعضها مع التحرر من قيود القافية والوزن الواحد فنجد للشاعر بسيم الذويب هذه القصيدة بعنوان (ايتها الفتاة) (١) :

ارفعيـــه !
مزقيـــه ؟
واطرحيه !
بين احجار القبور

---

(١) مجلة الصحيفة العدد الثالث السنة الأولى ٦ شباط ١٩٣٥ .

وانهضي سافرة الوجه وغني :
هكذا كان السفور
ليس عارا أو شنارا
ان يجارى
سير تيار الدهور
فارفعي البرق عنك واطرحيه
تحت نيران القدور
بل دعيه !
غسليه !
وادفنيه
بين طياب التراب
ثم لا تبكي وقومي بارتياح
هكذا مات الحجاب
ان سئلت
من دفنت ؟
فأجبت
انه نعش النقاب
سيقولون عليه رحمة الله فصلي
واقرئي ام الكتاب
ظلموك
سجنوك
زوجوك

شر زوج في الوجود
قائلا زوجي لا تخرج الا
يوم تدعوها الحود
قد كفانا
يانسانا
ما لقينا
من خمول وجمود
فلندع كل قديم ! لا تقلد !
اننا لسنا قرود !

وهي قصيدة ترتفع في موسيقاها عن الاشكال المسفة التى استغلت شعار التجديد . وهي مما يجوز في الشعر الخليلي التقليدي ولكن الشاعر وزع الكلمات على السطور ومن الممكن كتابتها مشطرة .

وتستمر المحاولات للتجديد في الاطار الموسيقي للقصيدة متأثرة بالريحاني وكما يقول الدكتور يوسف عزالدين .

« وتنشر الجرائد العراقية انواعاً غريبة وانماط عجيبة من هذا الشعر الجديد الغريب الانماط متأثرة بالريحاني المتأثر بالشعر الامريكي الذي اعتبره رفائيل بطي زعيم مدرسه الشعر الجديد في العالم العربي » (١)

---

(١) د . يوسف عزالدين : في الأدب العربي الحديث ص ٢٥٩ .

ولم يكن معنى هذا ان النماذج كلها خلت من الشعر الجيد ، بل أن بعض الشعراء حاولوا التفاني والاخلاص من اجل تقديم صورة جديدة للشكل الشعري كما نجد قصيدة للشاعر طارق عبدالحافظ نورالدين (١) .

سحر الجمال
كاعب في وجنتيها
فجر احلام
ينام
رب تقبيل يزيد
في احمراره
دمعة من مقلتيها
لهب آمال
يضام
بجمال لا يسير
في أواره
كاعب جسمها زبد البحار
ففيها الضياء وفيها دماء
ثغرها الحلو الجميل كدنيا
من السحر خصيبة

والخلاصة ان هذه المحاولات من اجل ايجاد صورة جديدة لشكل

---

(١) جريدة بغداد ١٩٣٧ .

القصيدة العربية لم تلق رواجاً اوتشجيعاً اذ ان الزهاوي والرصافي وغيرهما من شعراء الصف الاول كانوا اكثر ميلا الى النظم القديم وان تعاطفوا مع الشكل الجديـــد وحاولوا اعطاءه الفرصة لينمو ويستمر ويثبت قدرته على الصمود مع المحافظة على الشكل القديم للقصيدة .

وكانت محاولات الشعر المنثور او الشعر المرسل او النثر الفني خطوات مترددة وضعيفة ولم تكن بذات خطر . ولكنها كانت ارهاصات ومقدمات لشعراء جاءوا بعد ذلك وجددوا في الموسيقى الشعرية .

خاتمـــــة البحث

[illegible]

خاتمة البحث

ان الوضع المضطرب الذى عاشه العراق طيلة الاجيال العديدة السابقة والتي أعقبت حكم العباسين ، كان قد دفع بالعراق الى أغوار بعيدة من التأخر والانحطاط شمل كل جوانب حياته فكريا واجتماعيا وسياسيا .

فقد عملت الاقوام التى تناوبت الحكم فيه على عزله عن كل اتصال بالعالم طيلة الحقبه الزمنية التي رزح العراق فيها تحت حكمهم ، كما قطعت عنه كل تيار حضارى قد يتسرب اليه من الخارج .

يضاف الى ذلك ما قامت به تلك الاقوام من هدم وتخريب واهمال لكل عناصر الحضارة العربية التي كانت قائمة فيه ، ولم يسلم من أذاها الا بصص خافتة من بقايا ثقافته العربية ظلت بعيدة في أركان الجوامع والتكايا وبين جدران بيوتات بعض الاسر العربية ، كان لها فضل الامساك بخيط التراث العربى الدقيق والابقاء عليه حيا لتتزود منه وتعيش على اجتراره .

وكان العثمانيون اخر تلك الاقوام التي سادت العراق والذين لم يكن عهدهم بأحسن ممن سبقهم ،فقد ظل العراق طيلة أيامهم يعانى من اضطراب الاحوال وفساد الحكم مما اخر قيام كل اثر للنهوض والتحرر ، في الوقت الذى كان غيره من الاقطار العربية الاخرى يخطو خطوات واسعة نحو النهضة ومسايره ظروف العصر الحديث بسبب ما تهيأ لها من ظروف لم تتهيأ للقطر العراقي . الذي ظل تحت حكم العثمانيين المباشر حتى بداية القرن العشرين .

وكنتيجة حتمية لاضطراب الوضع وترديه ، أن يضطرب الفكر عامة وينحصر في دائرة مغلقة محدودة بحدود البيئة التي فرض عليها الانعزال والجمود : : :

والشعر وسيلة من وسائل هذا الفكر التي تعكس جوانبه وترسم خطوطه .. لذا فان الشعر الذي تمخضت عنه تلك الفترة جاء ضعيفا مختلا هبطت مضامينه بهبوط الافكار وترديها كما تحددت أهدافه ومراميه بحدود البيئة التى ولد فيها :.

فالشاعر في هذا العصر لم يجد ما يغذى موهبته سوى بقايا ثقافة قديمة راح يجترها اجترارا ويعيش على تقليدها وترديد ما تسعفه موهبته باستيعابها ..

وفى رسالتنا هذه حاولنا عقد فصل عن حالة الشعر في تلك الفترة على اعتبار انها الفترة التي سبقت عصر النهضة والتي تمثل آخر عهد من عهود التقليد والانحطاط . اولا : ثم لنتبين المدى الذى انحدر اليه الشعر قبل مرحلة التطور ثانيا .

وقد تضمن هذا الفصل الحديث عن اهم الاسباب التى أدت الى جمود الشعر وضعفه ثم بيان قيمه الموضوعية التى دار ضمنها الشعراء اعقبناه دراسة فنية لهذا الشعر باعتباره فنا من الفنون الادبية .

ولما كان الهدف في تلك الرسالة هو رصد مظاهر التطور والتجديد التى اصابها الشعر العراقى من حركة النهضة الحديثة في العراق ، لذا فقد حاولنا اولا دراسة الاسباب التي ادت الى بعث الفكر فى العراق ، ومن ثم

تقويمه وابرازه الى حيز الوجود لينعكس بعد ذلك على صفحات الادب عامة والشعر منه بصفة خاصة .

ففي الثلث الاخير من القرن التاسع عشر بدأت علائم تحول وانقلاب في سماء الفكر العراقى ظهرت فى الأتجاه السياسي والاجتماعى ولم تطرق مجال الادب الا فى اواخر هذا القرن ،

وقد حاولنا ان نجعل من تلك العلائم نقطة انطلاق تبدأ منهـــا دراســتنا لتطور حركة النهضـــة العراقيـة الحديثة وتتبـع آثارهـــا في الشعر العراقي .

وقد خرجنا من تلك الدراسة بنتائج اهمها :

١ ـ ان حركة النهضة في العـــراق كانت وليدة عدة اسباب ســياسية واجتماعيه وثقافية تضافرت جميعاً على بعثها ، ومـــن ثم تقويمها لتتكامل بعد ذلك فى الفترة التي اعقبت هذا العصر . .

٢ ـ ان الشعر العراقي الذي ساير تطور تلك الحركة وعايش احداثها ، قد اصاب من التطور والتجديد قدراً واسعاً تركز في الاغراض والمضامين اكثر مما اصاب من التطور فى الجانب الشكلي . .

وقد عللنا تلك الظاهرة بسببين :

الأول ـ الى اعتقاد الشعراء الذين تولوا رفع راية القيادة في هذا العصر بأن حاجة مجتمعهم الى الرسالة والتبليغ اكبر من حاجته الى الفن والصنعة ، لذا فقد صبوا جـــل اهتمامهم على نقل افكارهم بأوضح الطرق واقربها الى افهام الجماهير . . ولعل ذلك يبدو واضحاً من خلال آرائهم التي عبروا عنها

نثراً وشعراً ، والتي اوردناها في تلك الرسالة انرصد على ضوئها اهم الاتجاهات والمفاهيم التى لعبت دوراً كبيراً في توجيه اغراضهم الشعرية ورسم خطوطها . .

اما السبب الثاني - فقد عزوناه الى طبيعة ذلك العصر الذى اضطربت احداثه بحيث لم يتهيأ المجال فيه للشاعر ان يلتفت الى الجوانب الفنية والتي لا تخلق عادة الا فى فترة طمأنينة الشاعر وخلوده الى اجواء نفسية هادئة .

كما وجدنا ان الأغراض التي تركز الاهتمام بها اكثر من غيرها هي تلك الاغراض التي تتعلق بالمجتمع وبالحياة السياسية ، بل والحياة الانسانية عامة . سواء كانت تلك الاغراض قديمة ثم تطورت كالشعر السياسى الذى اخذ النصيب الأوفر من اهتمام الشعراء وكانت حصيلة الشعر العراقي منه اكبر من حصيلته من الاغراض الاخرى ، أو اغراض جديدة جاءت بها طبيعة العصر الحديث كالشعر الانساني والشعر الاجتماعي بكل ضروبه والشعر التأملي .

وتناولت الدراسة التجديد في الشكل الفنى للشعر العراقى الحديث ، وكيف اتجه الشعراء العراقيون ، وفي مقدمتهم الزهاوي والرصافي الى الخروج من قيود الصنعة الثقيلة التى ورثها الشعر من عصور الانحطاط .

وتركز التجديد في الجانب الشكلي على الجوانب التالية :

البناء الفني :

اذ اتجه الشعراء الى وحدة الموضوع في القصيدة وحاولوا ان يجعلوا

البيت الشعري داخلا ضمن بناء معماري كامل للقصيدة ، كما وجهوا عناية خاصة نحو الصورة الفنية وابتداع اشكال جديدة منها . ودرست هذه الظاهرة في شعر الزهاوي والرصافي كرائدين للشعر العراقي الحديث .

الاطار اللغوي :

إتجه الشعراء نحو اللغة السهلة التي تخاطب افهام الجماهير وثقافتهم المتواضعة ، ونظراً لاهتمام الشعر بالمضمون ، واتجاهه نحو القضايا السياسية والاجتماعية ، كان من الضروري ان تكون لغته كذلك موصلة للمفاهيم الجديدة . وطبقنا هذه الظاهرة على شعر الرصافي وللزهاوي والصافي النجفي .

الاطار الموسيقى واثر مدرستي الديوان وأبوللو :

لم يكن الشعر العراقي بمعزل عن حركات التجديد في الوطن العربي الكبير وبخاصة ما كان يجري في مصر من تغيرات في مضامين الفن واشكاله فعرضنا لمدرسة الديوان وجماعة ابوللو وما تضمنته افكارهما من تجديد تسربت آثاره الى الشعر العراقي الحديث. ثم دراسة الاطار الموسيقي وكيف حاول بعض الشعراء التخلص من القافيه ، واطلقوا الدعوة لما اسموه «الشعر المرسل» او «الشعر المنثور» على غرار ما فعل عبدالرحمن شكري في مصر ، وحللنا دعوة الزهاوي ونماذجه التي دعت الى هذا الفن الجديد .

ودرست دعوة الشعراء الذين نادوا بالتخلص من القافية والوزن معاً ، وكان يغلب عليهم طابع الضعف وعدم القدرة على الاداء الجيد ولذلك كان نظمهم أقرب الى النثر الفني .

والملاحظة ان الدعوة الى التحرر من الوزن والقافية لم تلق تأييداً كبيراً في العراق إذ ان الرصافي دافع عن الشكل القديم للقصيـــدة ولكنه لم يقف موقف المناهض للتجارب الشعرية الجديدة .

والخلاصة ان الشعر الشعر العراقي الحـــديث لم يشهد تغييراً كبيراً في الاطار الموسيقي ، وظل الشكل المحافظ هو الاطار الغالب .

هذا ما استطعنا الوصول اليه في بحثنا هذا عن حركة للتطور والتجديد ي الشعر العراقي ، ولعلنا نكون قد وفقنا في وضعنا لتلك الدراسة التي ربما لا تكون مكتملة بعض الشيء ولكنها قـد تخدم الموضوع في مجـــال البحث العلمي الواسع .

« والله الموفق »

المصادر والمراجع

١ ـ ابراهيم الابيارى : الوطن في الادب العربى

مصر . المكتبة الثقافية عدد ٧٣ . ١٩٦٢

٢ ـ ابراهيم الطباطبائى : ديوان الطباطبائى

صيدا ، ١٣٣٢ هـ

٣ ـ ابراهيم الوائلى : الشعر السياسى العراقى فى القرن التاسع عشر

بغداد مطبعة العانى ، ١٩٦١

٤ ـ احمد الشايب : الادب العربى بين الوحدة والتنوع

مصر . مطبعة الاعتماد

٥ ـ احمد الشايب : تاريخ الشعر السياسى الى منتصف القرن الثانى

مصر . مكتبة النهضة العصرية

٦ ـ احمد الشايب : أصول النقد الادبى

القاهرة ، ١٣٥٩ ـ ١٩٤٠ م

٧ ـ احمد الصافى النجفى : الحان اللهيب (ديوان)

دمشق ، ١٩٤٧

٨ ـ أحمد الصافى النجفى : الاغوار (ديوان)

بيروت ، ١٩٤٤

٩ - احمد محمد الحوفي (دكتور) : القومية العربية في الشعر الحديث ؟

١٠ - أرنست . أ . رامزور دكتور : تركيا الفتاة ، ترجمة احمد صالح العلى (دكتور)
بيروت ، منشورات مكتبة الحياة

١١ - أمجد الطرابلسى : محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام .
معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة

١٢ - أمين الريحاني : قلب العراق
بيروت ، مطبعة صادر ، ١٩٣٥

١٣ - أنور الجندى : معالم الادب العربي المعاصر

١٤ - أنيس الخورى المقدسى : الاتجاهات الادبية في العالم العربى الحديث
مصر ، ١٩٥٢ ، ط أولى

١٥ - بدوى طبانه (دكتور) : معروف الرصافي ، حياته وبيئته وشعره
القاهرة ، مطبعة الرسالة نشر مكتبة الانكلو المصرية : ١٩٥٧ ، ط الثانية

١٦ - البزاز (حسن البزاز) : ديوان البزاز ومعه ديوان الجوهر د الموصلى
مصر ، ١٣٠٥ هـ : المطبعة الشرقية

١٧ - تشارلس آدمز : الاسلام والتجديد في مصر (بدون تاريخ)
« ترجمه عباس محمود »

١٨ - توفيق على برو : العرب والترك في العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨ - ١٩١٤) رسالة ماجستير . القاهرة
جامعة الدول العربية ١٩٦٠

١٩ ـ جميل سعيد (دكتور) : نظرات في التيارات الادبية الحديثة
في العراق
القاهرة ، معهد الدراسات العربية
العالية ، ١٩٥٤

٢٠ ـ الجواهري (محمد مهدى الجواهرى) : ديوان الجواهري
بغداد، ١٩٤٩، مطبعة بغداد

٢١ ـ جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة علي حيدر الركابي
مصر ، ١٣٦٥ ، ١٩٤٦

٢٢ ـ حيدر الحلي: ديوان الحلى ، تحقيق على الخاقاني
النجف ، ١٩٥٠

٢٣ ـ داود سلوم (دكتور) : تطور الفكرة والاسلوب في الادب
العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين
رسالة ماجستير من معهد الدراسات
الشرقية في لندن ١٩٥٥
بغداد ـ مطبعة المعارف ١٩٥٩

٢٤ ـ الرصافي (معروف) : ديوان الرصافي
مطبعة دار الكتاب العربي ، ط الثالثة ١٩٤٩

٢٥ ـ روفائيل بطى : الصحافة في العراق
القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٥

٢٦ ـ روفائيل بطى : سحر الشعر
مصر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٢

٢٧ - رؤوف الواعظ : معروف الرصافي ، حياته وأدبه السياسي
مصر ، دار الكتاب العربي

٢٨ - رئيف خوري : الفكر العربي الحديث
بيروت ، منشورات دار المكشوف ١٩٤٣

٢٩ - زكي مبارك (دكتور) : ملامح المجتمع العراقي
القاهرة ، مطبعة امين عبدالرحمن ، ١٩٤٢

٣٠ - زكي المحاسني (دكتور) : نظرات في ادبنا المعاصر
القاهرة،المكتبة الثقافية (٥٢).١٩٥٢

٣١ - الزهاوي (جميل صدقي) : الثمالة (ديوان شعر)
مطبعةالتفيض الاهلية - بغداد ١٩٣٩

٣٢ الزهاوي (جميل صدقي) ديوان الزهاوي جمع الدكتور محمد
يوسف نجم ج١

٣٣ - الزهاوي (جميل صدقي) : ديوان الزهاوي — طبعة ١٩٢٤

٣٤ - ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية
بيروت ، دار العلم للملايين الطبعة الموسعة

٣٥ - سامي الكيالي : من الادب المعاصر
حلب ، دار النشر الحديث ، ١٩٥٧

٣٦ - سامي الكيالي : الراحلون

٣٧ - سلامه موسى : الادب للشعب
القاهرة ، طبع ونشر مكتبة الانجلو المصرية

٣٨ - سهير القلماوي : حول التجديد في الشعر المعاصر

٣٩ ـ شوقي ضيف (دكتور) : البارودي رائد الشعر الحديث
مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٤
٤٠ ـ شوقي ضيف (دكتور) : دراسات في الشعر العربي المعاصر
مصر ـــ دار المعارف ، ط الثانية
٤١ ـ صالح القزويني : ديوانه (مخطوط)
مكتبة الاثار ، بغداد
٤٢ ـ صديق الدملوجي : مدحت باشا
بغداد ، مطبعة الزمان ١٩٥٢ ـــ ١٩٥٣
٤٣ ـ صفاء خلوصي (دكتور) : معروف الرصافي
٤٤ ـ طه حسين (دكتور) : حديث الاربعاء ج ٢ ،
دار المعارف ، القاهرة
٤٥ ـ عباس العزاوي : تاريخ الادب في العراق
بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٢
٤٦ ـ عباس العقاد : مقدمة ديوان المازني
ط ، المجلس الاعلى للفنون والاداب ، القاهرة
٤٧ ـ عبدالباقي العمري : الترياق الفاروقي
العراق . ط . الشيخ عثمان الموصلي ١٣١٦ هـ
٤٨ ـ عبدالفتاح شواف زادة : حديقه الورود
مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية ببغداد
٤٩ ـ عبدالغفار الاخرس : مجموعة عبدلغفار ا الغلاخرس
بغداد ، شركة التجارة والطباعة .

٥٠ ـ عبد الغفار الأخرس : بغداد الطراز الأنفس (ديوان)
استنبول ، ١٣٠٤ هـ
٥١ ـ عبد الرحمن شكرى : الديوان
حققه وجمعه نقولا يوسف
القاهرة ، ١٩٥٨
٥٢ ـ عبد الرحمن الكواكبى : ام القرى ، مصر
٥٣ ـ عبد الرزاق الحسنى : العراق قديما وحديثا
صيد ، مطبعة العرفان ، ١٩٥٨
الطبعة الثالثة المنقحة
٥٤ ـ عبد الرزاق الهلالى : تاريخ التعليم في العراق
بغداد شركة الطبع والنشر الاهلية ١٩٥٩
٥٥ ـ عبد الكريم الدجيلى ، محاضرات عن الشعر العراقى الحديث
ط . معهد الدراسات العربية سنة ١٩٥٩
٥٦ ـ عبدالله الفياض : الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠
بغداد . مطبعة الارشاد ، ١٩٦٣
ط . اولى
٥٧ ـ عز الدين اسماعيل (دكتور) : الادب وفنونه
القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٨
ط . ثانية
٥٨ ـ عز الدين اسماعيل (دكتور) : الشعر العربي المعاصر ـ قضاياه ـ
وظواهره الفنية والمعنوية
دار الكتاب العربى . القاهرة ١٩٦٧

٥٩ - عزت الفاروقي : (ديوانه)
مخطوطة رقم ٩٦٧ المجمع العلمي العراقي
٦٠ - علي الخاقاني : شعراء الحلة او البابليات
بغداد ، المطبعة الحيدرية . ١٩٥١
٦١ - علي عباس علوان: «الزهاوي» رسالةماجستير (غير مطبوعة)
جامعة القاهرة كلية الاداب
٦٢ - عمر دقاق : الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث
حلب ـــ دار الشرق
٦٣ - فيليب وبلارد : العراق ، دراسة في تطوره السياسي
ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ١٩٤٩
٦٤ - قدري قلعجي . مدحت باشا
بيروت ، دار العلم للملايين
سلسلة اعلام الحريه (٣) طبعة ثانية
٦٥ - الكاظمي « عبد المحسن الكاظمي » : ديوان الكاظمي
مصر ١٩٠٩
٦٦ - لو نكريك : أربعة قرون في تاريخ العراق
ترجمة جعفر الخياط - بيروت
٦٧ - ماهر حسن فهمي (دكتور) : الزهاوي
القاهرة - المؤسسة المصريه العامة
للتأليف والنشر ، أعلام العرب
٦٨ - ماهر حسن فهمي « دكتور » حركة البعث في الادب العربي
الحديث ، القاهرة

٦٩ ـ المازني : ديوان المازني
ط . المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب

٧٠ ـ محسن الخضرى : ديوان شعره

٧١ ـ محسن غياض : عبد المحسن الكاظمى ، رسالة ماجستير « غير مطبوعة »
مكتبة آداب جامعة القاهرة رقم ٢٦٠

٧٢ ـ محمد أنيس (دكتور) الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤هـ ـ ١٩١٤م)

٧٣ ـ محمد خلف الله أحمد ـ معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها . القاهرة . دار احياء الكتب العربية

٧٤ ـ محمد رضا الشبيبى : ديوان شعره

٧٥ ـ محمد زغلول سلام « دكتور » ـ القومية العربية فى الادب الحديث
القاهرة ، دار المعارف

٧٦ ـ محمد سعيد الحبوبي : ديوان شعره
منشورات مكتبة العرفان

٧٧ ـ محمد عبد المحسن طه بدر ـ التطور والتجديد في الشعر المصرى الحديث
رسالة ماجستير « غير مطبوعة » مكتبة آداب جامعة القاهرة برقم ١٥٩

٧٨ ـ محمد غنيمى هلال « دكتور » ـ الادب المقارن
القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية
١٩٦٢ ط . ثالثة

٧٩ ـ محمد فريد ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية
مصر ، مطبعة محمد افندى مصطفى
ديسمبر ١٨٩٣ م ، ط . اولى

٨٠ ـ محمد محمد حسين « دكتور » ـ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، المطبعة النموذجية بمصر
١٣٨٢ هـ ط ثانية

٨١ ـ محمد مصطفى هدارة « دكتور » التجديد في شعر المهجر
مصر ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٧

٨٢ ـ محمد مندور « دكتور » ـ الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الاولى
القاهرة . معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥

٨٣ ـ محمد مندور ـ الشعر المصري بعد شوقى ، الحلقة الثانية
القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٧.

٨٤ ـ محمد مندور ـ قضايا جديدة في ادبنا الحديث
بيروت ، دار الاداب ، ١٩٥٨

٨٥ ـ مصطفى الشهابى « الامير » ـ القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ـ

٨٦ ـ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ـ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، القاهرة ، مطبعة المقتطف والمقطم ، ١٩٤٨

٨٧ ـ نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، دراسات في شعر المهجر
القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤

٨٨ ـ ناصر الحانى ـ محاضرات عن جميل صدقى الزهاوى ـ
حياته وشعره
القاهرة ، معهد الدراسات العربية ١٩٥٤

٨٩ ـ هلال ناجي ـ الزهاوى وديوانه المفقود
القاهرة ، مطبعة نهضة مصر

٩٠ ـ ولى الدين يكن ـ ديوانه ، ط ١٩٢٤

٩١ ـ يوسف عز الدين « دكتور » ـ الشعر العراقي في القرن التاسع
اهدافه وخصائصه
القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥

٩٢ ـ يوسف عز الدين (دكتور) ـ الشعر العراقى الحديث
القاهرة ، الدار القومية ١٩٦٥

٩٣ ـ يوسف عز الدين دكتور ـ في الادب العربي الحديث
بغداد ، ط . دار البصرى ، ١٩٦٧

٩٤ ـ يوسف عز الدين: (دكتور): خيري الهنداوي مطبوعات معهد
الدراســات العربية العالية ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .

٩٥ ـ يوسف كمال حتاته « تعريب » : محاكمة مدحت باشا
القاهرة ، مطبعة هندية ، بدون تاريخ

الدوريات والمجلات

(١) الآداب (مجلة) عدد (٣) سنة ١٩٦١ .

(٢) الابحاث (مجلة ج (٢) السنة السابعة .

مقـال للسيـد ابراهيم العريض عن الشعر وقضيـة الأدب العربي الحديث .

(٣) الاعتدال (مجلة) السنة الثانية العدد ٤ .

مقال للأستاذ محمد رضا الشبيبي عن شعراء النجف .

(٤) الثقافة (مجلة) عدد (٨) سنة ١٩٥٩ .

(٥) الرسالة (مجلة) م ١ سنة ١٩٣٧ ج ١٩٣ ص ٤٠٢ .

مقال للاستاذ الزيات عن ثقافة الزهاوي .

(٦) الرسالة (مجلة) السنة ٢ (م٢) - ١٩٣٤ عـدد ٥٩ .

مقال لـ (أ. الجابري) عن الحركة الفكرية لشباب العرب .

(٧) الرسالة (مجلة) السنة ١٩٣٧ م١ العدد ٢٠٤ ص ٨٨٢ .

مقـال للأستاذ فخـري أبو السعود عـن المعنى والاسلوب فى الأدب .

(٨) الرسالة (مجلة) عدد ٧٠٥ سنة ١٩٤٧ .

(٩) العرفان (مجلة) ج ٥ و ٦ م ٤٢ سنة ١٩٥٤ ،

(١٠) الزهور (مجلة) ج ١ سنة ١٩١٣ .
مقال للشاعر محمد رضا الشبيبي عن الأدب العربي في العراق.
(١١) الكاتب المصري (مجلة) ج (١٥) ديسمبر ١٩٤٦
(رسائل الزهاوي) .
(١٢) لسان العرب (مجلة) ج١ سنة ٧ .
مقال للأستاذ الشايب عن الأب انستاس ماري الكرملي .
(١٣) لغة العرب (مجلة) ج ٢ سنة ٦ .
مقال الزهاوي (كلمة في الشعر) .
(١٤) المفيد (صحيفة) عدد ١٢٠٦ سنة ١٩١٣ .
(١٥) المقتبس (مجلة) م (٨) سنة ١٩١٤ .
مقال عن الحركة العلمية فى البلاد العثمانية .
« ١٦ » المقتطف « مجلة » م ٩٢ سنة ١٩٣٨ ج ٣ .
مقال للأستاذ انيس المقدسي .
« ١٧ » مهرجان الشعر الأول ـ دمشق ١٩٥٩ .
مطبوعات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة .
« ١٨ » مهرجان الشعر الثاني : مطبوعات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة .
« ١٩ » الهلال « مجلة » ـ المجد الذهبي سنة ١٩٤٢ .
« ٢٠ » الهلال « مجلة » ج ٣ عام ١٩٠٨ .

المحتـوى

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
١٩٥٨	١٩٦٨	٢	٣
يتشعب	بتشعب	٣	٤
وكليا	وكما	١٠	٥
عصور	عصوره	١٠	٧
مكافأنهم	مكافأتهم	١٠	٩
مكافته	مكانته	١١	٢٢
العلة	الصلة	١٢	١٧
لانها حقيقتها	لانها في حقيقتها	١٢	١٨
وتنفساً	وتنفيساً	١٦	١
باغيات	باغياث	١٦	٥
بحرى	يجري	١٦	٦
وضعت	رنقت	١٦	٩
من	ومن	١٦	١١
حز	تمر	١٦	١٤
الالثاماً	الا لثاماً	١٦	١٩
تكتفن	تكتفي	١٨	١٤
اوقات	الاوقات	١٩	١٣_١٤
هام	هامة	٢٢	٤
وقبحهم	وقبحهم على	٢٢	١٣
بعضهم	بعضهم بعضاً	٢٢	١٤
علي	على	٢٢	١٤
أغنام	كالاغنام	٢٢	٢٠
زت	نزت	٢٣	٢

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
يوزبرك	يوزي برك	٢٤	٣
ليتنا	ياليتنا	٢٤	٥
وقبيل	وقبل	٢٤	٧
٢ الشعر العراقي	والشعر العراقي	٢٤	٢٢
ص ٣٢	ص ١٣٩		
(٢)الشعر العراقي	(٢) الشعر العراقي	٢٤	٢٣
ص ٣٢	ص ١٤٤		
لا يعود	لا يعول	٢٦	٦
اشتهلها	استهلها	٢٦	١٠
حـــامين	ما بين	٢٦	١٢
جاد	جاء	٢٧	١٩
نصوص	لصبوه	٢٧	٢٠
يشكر	يشكو	٢٨	٤
تشتكي	لشتكي	٢٨	٧
صففت	ضعفت	٢٨	١١
يتغزل	فيتغزل	٢٩	١٣
الخاصة	الخاصة	٢٩	١٦
عيقه	عتيقة	٣٠	٥
انتقلتا	انتقلنا	٣٠	٧
لا يجيدون	لا يحيدون	٣٠	١٣
القصيد	القصيدة	٣٢	١٦
التعرف	التعريف	٣٧	١
راجع ص٩	ص١٩	٣٧	١٢

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الحربث	الحديث	٣٧	١٣
يعانونة	يعانونه	٤٢	٢٠
وطبمي	وطبيعي	٤٤	١٢
بكثر	بكثير	٤٨	٣
المعجبيين	المعجبين	٤٨	١٢
بجعل	يجعل	٤٩	٥
لشاوي	نشاوى	٥٣	١١
السجف	السجفا	٥٣	١٤
تلك الاحداث (٢)	تلك الاحداث بقول الرصافي (٢)	٥٣	٤
المساواة	المساواة	٥٩	١٦
لتقبيح	تفتيح	٥٩	١٨
ابة	امة	٦٠	٥
تغتذى	تتغذى	٦٣	١٠
سنة ١٩٢٣ (١)	سنة ١٩٢٣ (٢)	٦٤	١٨
اطر	اطير	٦٥	١٥
بدأ	بدأ	٦٨	١
مطلع قصيدته ساكت الشك (٢)	(١)	٦٨	٢٠
(٣)	(٢)	٦٨	١٣
قصيدته لو يعلم القبر (٤)	(٣)	٦٨	١٧
الثارآ	آثار	٦٩	٣
العصور	الصور	٧٠	٦
تهمد	ثمهد	٧٠	١٣

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ظل	فصل	٧٠	١٦
على الضيم	الى الضيم	٧٠	٢٠
المقتصى	المتقصي	٧٢	٨
ليحمدا	ليجمدا	٧٣	٤
تعقشت	تعشقت	٧٦	٣
هاويا	هاديا	٧٧	١٧
(١)ديوان الرصافي ص ١٨٠	ص ١٨١	٨٠	٢٢
الواقعة	الواقعية	٨٢	١٦
الفوافي	القوافي	٨٣	٧
نفص	نقص	٨٣	١٢
متها	منها	٨٣	١٣
اشعت	اشعث	٨٣	١٨
وهبت	رضيت	٨٦	٧
مهما في قيمتها	مهما ظهرت فقيرة في قيمتها	٩٢	٣ـ٤
ذو احرف في ابجد وهوز	من ابجد وهوز	٩٢	١٤
بالدكر	بالذكر	٩٤	١
لحويه	لحريه	٩٤	٣
لمزل	المنزل	٩٥	٢
لا رى	لا يرى	٩٥	٧
لبسو	لبسوا	٩٧	٢
غريمه	عزيمة	٩٧	١٢
لظيفها	نضيفها	٩٨	١٩
بوادرها	بوادرها	٩٨	٢٢

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ستيعاب	استيعاب	٩٩	٢	وينتبهو	وينتبهوا	١٢٤	٣
وربما	ربما	٩٩	٢	الراسبات	الراسيات	١٢٥	١٧
غدتها	غذتها	٩٩	١٠	يستمصي	يستقصي	١٢٥	٢١
الفومية	القومية	١٠٠	١	ظل	ضل	١٢٦	١٦
الاعراض	الأغراض	١٠٦	١٢	جمعاً	جميعاً	١٢٦	١٩
تجاربة	تجاربه	١٠٧	٩	الوادين	الواديين	١٢٧	٩
القلاع	التلاع	١٠٧	٢٠	والقرود	القرود	١٢٨	٧
كاله	كآله	١٠٨	١	سفن	سنن	١٢٨	١٠
مطرز	مطرزا	١٠٨	٨	فكدا	فكدنا	١٢٨	١٧
الاهجار	الاحجار	١٠٨	١٢	ان	ابن	١٢٩	٤
الصيف	المصيف	١٠٩	١١	المحلون	المحتلون	١٣٠	٦
للصيف	للمصيف	١١٠	١٠	شاتنه	شائنه	١٣٠	٢٠
قدمه	قدومه	١١٠	١٣	الغوب	الغرب	١٣٢	١
الشتاء	الشتا	١١١	٩	يحذوهم	يحذرهم	١٣٢	١٨
معلقا	مملقا	١١١	٩	اخذت	اتخذت	١٣٤	١٣
مامساويه	مأساويه	١١٣	٧	لمجال	المجال	١٣٥	٦
القوم	القومية	١١٥	٢١	الابتداب	الانتداب	١٣٥	٨
حياة	مياه	١١٦	١	الاملام	الاقلام	١٣٥	١١
اشاقه	انشاقه	١١٧	٨	البصبر	البصير	١٣٥	١٤
لا يعنى	لا يني	١١٧	١٢	معبد	معهد	١٣٥	٢٢
وهل	وهو	١١٨	٤	بجنبنا	تجنبنا	١٣١	٢
المورد	الوردة	١١٨	٥	ففزىم	ففزتم	١٣٦	١٨
فاالزبيريون	والزبيريون	١٢٠	١٠	الملك	الملك	١٣٨	١٦
بينها	بنيها	١٢٣	١٢	بغم	بفم	١٤١	٦

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
المطبعة المصرية	العصرية	١٤١	٢٢	تجلب	تجلت	١٦٠	١٢
اريقه	اروقة	١٤٢	١٠	تتمنى	نتمنى	١٦٥	١٤
لم السما	لم ترض السما	١٤٢	١١	غبرنا	غيرنا	١٦٨	٢
لا يتحرر	لا ليتحرر	١٤٣	١	بيننا	بينها	١٦٨	٧
واستراد مجدها	واسترداد	١٤٣	٩	الظر	النظر	١٦٩	٩
محدوده	محدده	١٤٣	١٦، ١٨	نسوفه	نسوقه	١٦٩	١٢
الهبوات	العبرات	١٤٥	٥	كى	كل	١٧٠	٣
تذكرنى	تنكرني	١٤٥	١١	ننسى	تنسى	١٧١	٤
تشفى	تنفي	١٤٥	١٩	يزلهما	ينزلهما	١٧٢	١
دهرك	عزك	١٤٥	٢١	الخبر	الخير	١٧٣	١٣
بجيش	تجيش	١٤٥	٢٣	سير	سبر	١٧٤	١٩
الجمرات	الحسرات	١٤٥	٢٣	فما	فيما	١٧٥	٦
عمائمهم	عمامهم	١٤٦	١٤	الامة	آلامه	١٧٥	٢٢
سجاياها	سجاياهم	١٤٧	١٨	من الوصال	عن الوصال	١٧٧	١٩
وألبقت	وألفيت	١٤٨	٦	هم يسعدن	هم يعدون	١٧٩	١٤
اقبال	اقيال	١٤٩	٥	مثاله	مشاله	١٧٩	١٥
لم ينسى	لم ينس	١٥٠	٩	اعوزهم	اعوزتهم	١٨٠	٧
الآماق	الاماق	١٥١	١٥	سخينه	سخينة	١٨٠	٧
الحرم	الحزم	١٥١	١٦	يفشعر	يقشعر	١٨١	١
نحبا	خبب	١٥١	١٧	الحمالة	المحاله	١٨١	٥
عاش	عاث	١٥١	٢٠	اذا كانت	اذ كانت	١٨١	٧
محمد	بحمد	١٥٢	٥	اخبراً	اجبراً	١٨١	١٤
الشام	الشآم	١٥٣	١، ٣	لموارد	الموارد	١٨٢	١٩
الجامع	الجامح	١٥٧	١١	الاجماع	الاجتماع	١٨٤	٨
الحلفاء	الخلفاء	١٥٩	١٦	العيار	العهار	١٨٨	٩
فقرأعوا	فقرأوا	١٦٠	٧	جموع	جميع	١٨٩	٢

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الشرح	الشرع	١٨٩	١٢	على	علّ	٢٠٩	٨
وهي	وهى	١٨٩	١٧	نرى	نسري	٢١٠	٨
(١) ديوان	ص ١٥ـ١٦	١٨٩	١٩	في العراق	وهو في العراق	٢١٥	١٠
الزهاوي ص١٤				لديوان	الديوان	٢١٧	٥
التحلحل	والتخلخل	١٩٠	٨	عيد	عهد	٢٢٠	٣
ينال	يقال	١٩٣	٣	اموغ	اصوغ	٢٢١	٣
الامر	الامير	١٩٣	١٦	المطالح	المطلع	٢٢٣	٣
وشيعت	وسيقت	١٩٤	٢	سلكو	سلكوا	٢٢٣	٢٠
زيلخا	زليخا	١٩٤	٥	صحي	صحبي	٢٢٨	٩
جزاءاً	جزءاً	١٩٦	٥	انبن	انين	٢٢٩	١٠
فرعق	فراعق	١٩٨	٤	عداك	عداءك	٢٣٢	١١
المباي	المباني	١٩٨	٧	وبحدثوا	وتحدثوا	٢٣٣	١
حاجبيه	حجاجيه	١٩٨	٨	اللفظ	اللفظ	٢٣٣	١٣
في بالنا	فما بالنا	١٩٩	٩	تتاقله	تتناقله	٢٣٦	٥
يهجع	ينجع	١٩٩	١٢	نشر	نثر	٣٣٨	٧
تخـ	تخر	١٩٩	١٤	فهمد	ثهمد	٢٣٩	١٥
فيها	فما	٢٠١	١	المدستين	المدرستين	٢٤٣	١
بنيت	ينبت	٢٠١	١٠	تأثاروا	تأثروا	٢٤٥	٢
باناس	بالناس	٢٠٤	٤	طياب	طيات	٢٦٠	١١
دخائل	دخائل	٢٠٤	٥				

ملاحظات :

١ ـ نص عبد الغفار الاخرس الذي ورد في ص ٢٣ هو من مجموعة عبد الغفار الاخرس ص ٥٩ ـ ٦٢ وجاءت في الطراز الانفس ص ١٩٧ ـ ١٩٩ .

٢ ـ ابيات محمد امين التي جاءت في ص ٢٧ هي عن كتاب الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٧٠ ج ٢ ؛

٣ ـ نص الصافي النجفي الذي ورد في ١٢٢ ـ ١١٣ هو من ديوانه الاغوار ص ١٨٢ ـ ١٨٣ وقعت الاشارة اليه في ص ١١٣ برقم (٣) ،

٤ ـ نص الشبيبي الذي ورد في ص ١١٦ من ديوانه ص ٥٣ .

٥ ـ جاء في الصفحه ٢٠٠ في أبيات الكاظمي كالآتي :

انما يحمد الثراء لقوم ... فالمعالي بغيره لن تنالا

والصواب :

انما يحمد الثراء لقوم ... يحسنون العلوم والاعمالا
اطلب العلم ان طلبت المعالي ... فالمعالي بغيره لن تنالا

مطبعة الايمان
بغداد - شارع المتنبي ت ٦١١٩٤٥

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٤٣ / ١٩٧١
مطبعة الايمان - بغداد ٨ / ١٠٠٠ / ٨ / ١٩٧١

DEVELOPEMENT
OF MODERN IRAQ
POETRY

1870 - 1939

by

ARABIA TAWFIQ LAZIM

الثمن ٧٥٠ فلساً

Al-Iman Printing Press (Baghdad - Iraq)